Najm Abdel-Karim

Personalities I Have Known and Interviewed Discussions in Thought, Politics and Art

Part Two

First Published in June 2012
Copyright © **Riad El-Rayyes Books S.A.L.**
BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 531 - 0

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without prior permission in writing of the publishers.

الطبعة الأولى: حزيران (يونيو) ٢٠١٢

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

لوحة الغلاف: للفنان حسن أدلبي (سورية)

تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

المحتويات

مقدمة ١١

عبد السلام المسدّي ١٥

عبد الوهاب البياتي ٣١

عزيز أباظة ٤٩

فاتن حمامة ٦٧

فتحي رضوان ٩١

فريد الأطرش ١٠٩

كمال الدين حسين ١٢٣

محمد جابر الأنصاري ١٤٣

السيد محمد حسين فضل الله ١٦٧

محمد سعيد الصكار ١٧٧

الشيخ محمد متولي الشعراوي ١٩٥

محمود تيمور ٢١٩

محمود شاكر ٢٣١
مصطفى أمين ٢٤٣
مصطفى محمود ٢٦٥
ميخائيل نعيمة ٢٧٩
هنري بركات ٢٩٥
يوسف إدريس ٣٠٧
فهرس الأعلام ٣٢١
فهرس الأماكن ٣٢٩

مقدمة

أمضى نجم عبد الكريم ما يقرب من نصف قرن يعمل في حقول الإعلام والثقافة المختلفة. بدأ في ستينيات القرن الماضي بالوقوف وراء المايكروفون معداً ومقدماً ومخرجاً ومحاوراً وكاتباً للبرامج. وكان من مؤسسي فرقة المسرح العربي بقيادة زكي طليمات إذ شارك في تمثيل مسرحية «صقر قريش».

ثم أوفد في بعثة لإتمام دراسته الجامعية في القاهرة، وهناك عُين مندوباً لإذاعة الكويت وإذاعة أبو ظبي.

وكان يوافي الإذاعة الكويتية ببرنامج «أدب الأسبوع» وإذاعة أبو ظبي ببرنامج «مع أهل الفن».

وفي عام ١٩٧٠ أوفد إلى جامعة جنوب كاليفورنيا في لوس أنجلس فنال الماجستير والدكتوراه في الإعلام ليعود إلى الكويت ويعدّ لإنشاء قسم الإعلام فيها إلى جانب تدريسه «سايكولوجية الرأي العام والإعلام» في كلية الآداب.

وفي أوائل التسعينيات رأس الدكتور نجم عبد الكريم إذاعة «كل العرب» حيث حاور العديد من الشخصيات السياسية والأدبية والفكرية والفنية.

في الجزء الثاني من كتاب «شخصيات عرفتها وحاورتها» يتابع الدكتور نجم عبد الكريم عرض لقاءاته وحواراته مع المئات من الشخصيات التي حاورها في خلال مسيرته العملية والعلمية الطويلة والغنية.. وإزاء الكمّ الكبير من هذه الشخصيات وتنوعها اضطر إلى تقسيمها إلى مجموعات. وأمام حشد الشخصيات في كلّ من هذه المجموعات وتنوع موضوعاتها، من بينها السياسي (نيلسون مانديلا، جلال طالباني وغيرهما)، والديني والفكري والأدبي (السيد محمد فضل الله، مصطفى محمود، بنت الشاطئ، بدر شاكر السياب، محمود درويش، مصطفى وعلي أمين، نزار قباني والجواهري)، والفني (أم كلثوم وتحية كاريوكا) واللائحة تطول.

أمام هذا التنوع والكثافة الكمية والنوعية اضطر الناشر إلى اتباع نموذج من التبويب يعتمد على الترتيب الأبجدي لتلك الشخصيات دون اعتبار للموضوعات (سياسة، فكر، أدب، دين، فن، إلخ).

وتبقى المحتويات التي يبدأ بها كل جزء من هذه المجموعات دليل القارئ إلى تلك الشخصيات، بالإضافة إلى فهرس أسماء الشخصيات في آخر كل مجموعة.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن المؤلف أو المحاور لم يكن ذلك المتلقي السلبي للمعلومات والآراء التي يدلي

بها محاوره، بل يفاجأ القارئ به محرضاً ومحاوراً ومتحدياً ونداً لتلك الشخصية إلى حدّ الصدام. وفي هذا إغناء للقارئ في المعلومة ونأي به عن السطحية.

وستلي هذه المجموعة مجموعات يعمل المؤلف على إخراجها من أرشيفه ليمدّ القارئ بها.

الناشر

عبد السلام المسدّي

ظلَّ أدباء شمال أفريقيا ومفكروها حتى سنوات ما قبل منتصف القرن الماضي على غير تواصل بأدباء ومفكري وقراء المشرق العربي. . فكثيرون لا يعرفون من هو محمود المسعدي صاحب «السد» و« حدَّث أبو هريرة فقال». . والذي يُعد قامة أدبية فكرية في تونس. . كذلك هو الحبابي، والعروي، والجابري، من أدباء المغرب، وفي ليبيا يندر أن نجد من يقرأ لعلي فهمي خشيم، وعلي مصراتي، وغيرهما باستثناء صادق النيهوم الذي خرج في معطياته على المألوف مما أوصلها إلى القراء العرب.

الدكتور عبد السلام المسدّي المفكر والأديب التونسي يدخل ضمن هذا الإطار، إلا أنه قد تجاوز ذلك على الصعيد الأكاديمي، حيث امتد نشاطه إلى مناطق كثيرة في المشرق العربي.

التقيته منذ أكثر من عقد من الزمان في محافل أدبية متعددة، ولا أستطيع القول إن ما ستقرأونه هو نتاج للقاء محدد، وإنما هو

تجمع لعدة لقاءات ومحاضرات ونشاطات ثقافية وفكرية كان يساهم فيها هنا وهناك.

□ **هناك شبه إجماع عند المفكرين والمثقفين العرب على أن الأمة العربية تمر بمرحلة من الانحطاط؟!**

ــ إذا سلّمنا بذلك، فإن السبب هو أن الثقافة العربية كانت دائماً وأبداً تصهر في جنباتها الممكن وغير الممكن، والمعقول واللامعقول، والثقافة العربية كانت دائماً وعلى امتداد التاريخ مثل الحبل الذي يرقّ، ويسمك، و...، و..

□ **عفواً، في أي من العصور العربية حدث هذا المعقول، وغير المعقول؟!**

ــ رائد العقلانية بتلك الصفة كان منذ القرنين الأول والثاني هو الجاحظ، وفي القرن الرابع كان أبو حيان التوحيدي، وفي منتصف القرن الخامس كان أبو حامد الغزالي، ونظراً للظروف التي كان يعيشها فقد سعى إلى الشكل الديني من وجهة نظر كلامية، ولذلك يعدّ الغزالي مؤسساً للعقلانية داخل الإطار الديني، وداخل المنظومة الفقهية والكلامية.

□ **هل جداله مع ابن رشد يدخل ضمن هذا الإطار؟!**

أبو حامد الغزالي رد على فئة من الفلاسفة كانت قد سبقته وخاصة أبو نصر الفارابي، والقضية من هذه الزاوية هي قضية جزئية كلامية، تتعلق في ما يخص يوم الحشر وانبعاث الأجساد

والأرواح، وقِدَم العالم.. لكن أبا حامد الغزالي عندما قام بتأليف موسوعته الكبرى المسماة «إحياء علوم الدين»، كان مستشرفاً انحناء الخط إلى الأسفل على يد الفقهاء، وتحوّل العلم الديني إلى علم بالمتاجرة، ولذلك نهض هو ليُحيي ما كان قد مات، أو ما كان مهدداً بأن يموت، ومن هنا جاءت تسمية الكتاب بـ(الإحياء)، ليس فقط إحياء الصفاء الأول للسنة النبوية أو الدينية، وإنما جاء (الإحياء) بمحاولة إدخال العقل لتفسير ما هو غيبي، وما هو تعبدي وهكذا إلى أن نصل إلى ابن رشد، لكنه في مجال الفلسفة والدين. لا ننسى هذا، فهو رجل مزدوج الثقافة والتكوين. وختمت هذه الحلقة العقلانية بابن خلدون واضع علم الاجتماع أو علم العمران، وإن كنت أنا شخصياً أرى أن ابن خلدون قد أسس لشيء آخر مازلنا لم ننتبه إليه وهو لعلم «الأبستملوجيا» عربية، أسس لمشروع تقوم فيه الرؤية النظرية على أساس فلسفي بما هو نقد للعلم، وعلم بالعلم، وفلسفة للعلم.

في العصر الحديث، عندما حصلت الصدفة التاريخية مع الآخر كان العرب بصدد النهوض فقُمعت نهضتهم بسبب حركة استعمارية جاءت في القرن التاسع عشر نتيجة للثورة الصناعية، التي كانت تبحث لنفسها عن مجال حيوي، فبدأت بجمع الموارد الطبيعية من معادن مختزنة في بطون الأرض، ثم من تسويق أو ترويج لبضاعتها. ومنذ ذلك الحين، لم تكفّ يد الآخر عن التدخل لنسف أي مشروع كبير ينهض بالأمة العربية، وما زلنا لحد الآن نعيش السيناريو التاريخي مرة أخرى، استمراراً لنسف

الخط الذي يمارسه الآخر، حتى تتفكك قوى الثقافة الكبرى، وعلى رأسها الثقافة العربية.

□ **معنى ذلك أن الدكتور المسدّي يعزو ما تعانيه الأمة العربية من انحطاط في العصر الراهن إلى حِقب الاستعمار التي تعرض لها الوطن العربي؟!**

ـ بل يمكن أن أضيف أسباباً أخرى ترد على خواطرنا، هي في حد ذاتها من إملاءات الاستعمار ـ أيضاً ـ وعلى سبيل المثال غياب حرية الفكر في وطننا العربي، وفي هذا السياق لا بد لي من أن أشير أن المسؤول عن غياب الحرية هو ذلك التواطؤ الذي ساهمت فيه عدة عوامل منها أن هناك صاحب المال وهناك صاحب الفكر، وهناك صاحب القرار، ومعلوم أن العلاقة بين هؤلاء الأطراف الثلاثة، علاقة متوترة جداً في بيئتنا العربية، فنعلم أن رجل المال في حاجة إلى رجل السياسة، لأنه في حاجة إلى الأمن والاستقرار حتى يستثمر، ونعلم أن صاحب القرار ـ أي رجل السياسة ـ هو في حاجة إلى صاحب المال، وكثيراً ما يغازله وكثيراً ما يسترضيه، لكن رجل الفكر يظل في بيئتنا العربية مرضياً عنه مادام مُعلناً الولاء، ومغضوباً عليه كلما حاول أن يجرؤ بكلمة نقدية!

□ **المزاوجة بين المال والفكر التي كَثُرَ التبشير بها في السنوات القليلة الماضية، ترى ما هو دور السواد الأعظم من الناس البسطاء فيها؟!**

ـ أظن أن رجل السياسة ورجل المال في بلادنا العربية كانا إلى

وقت قريب يستشعران أنهما في غنى عن رجل الفكر، لكن الوضع الكوني قد انفجر، وأصبح صاحب القرار وصاحب المال يؤمنان إيماناً قوياً بما كان المثقف يقوله على أنه البديهيات، وهو أن الحرب، والصراع الكوني اليوم، إنما هو صراع ذو خلفية ثقافية، واليوم أيضاً أفاقت الأنظمة العربية لتعترف بأن هذه الحروب، حرب ثقافية لن يقوى عليها رجل السياسة، ولن يستطيع أن يسوّيها المال، وإنما من الضروري أن ينبري رجال الفكر لإعادة التوازن إلى هذه التركيبة الثلاثية.

فمنذ الأحداث الزلزالية الكبرى، صار رجل السياسة يستنجد خفية برجل الفكر، حتى يساعده على مقاومة الشراسة الثقافية المكتسحة!

□ أمن أجل هذا أصبح بعض رجال السياسة ممن استولوا على المال، وهم أصحاب قرار أيضاً، صاروا يصدرون كتباً، ليجمع الواحد منهم ثلاث صفات هي: المال، والقرار، والفكر؟!

ــ أنا شخصياً لا أعتقد أن نشر كتاب أو كتابين، أو كتابة روايتين كافٍ للالتحاق برجل الفكر، فالفكر احتراف، والتفكير في الشأن العام، أن يتحول الأكاديمي والمثقف إلى مثقف عضوي، أن يعيش رجل الفكر هموم مجتمعه، وهموم التاريخ، وهموم السياسة، هذا الاختصاص لا يمكن الاستغناء عنه، ولا أحد بقادر على أن يقوم بدل الآخر، ولذلك فنحن نرى منذ انهيار الكتلة الاشتراكية عام ١٩٨٥ أن الذي هيأ لهذا الخصم الجديد

هم رجال الفكر (فوكوياما، وهنتنجتون)، وهما من المثقفين الذين حركوا الآلة السياسية، وحركوا صناع القرار، ونحن مطالبون في وطننا العربي أن يستفيق أهل الفكر وأصحاب القرار، ورجال المال، لأن رجل الفكر هو الذي يمكن أن يتصدى بأمانة في مواجهة الحرب الثقافية.

□ كأن الدكتور المسدّي يشير الى مصطلح «مثقفي السلطة»؟!

ــ أنا لا أرى في هذه الإضافة ما يفيد تحليلنا، اللهم إلا أن يكون المثقف في أحد أمرين: إما أن يمارس على نفسه الرقابة الذاتية، إرضاءً لصاحب السلطة، أو أن لا يمارس هذه الرقابة الذاتية، ويمكن أن يكون قريباً من السلطة، بل ويكون جريئاً في موقفه مع كل المحاذير التي يمكن أن يصادفها. وكذلك هناك الكثير من المثقفين الذين هم غير ملتزمين وغير موالين، ولكنهم لا يجرؤون على أن يعالجوا واقعهم التاريخي معالجة عضوية، أقول: إن رجل المال ورجل السياسة الآن، إذا أرادا أن يستعينا، وأن يستنجدا برجل الفكر، فالوهم الشائع هو أن هؤلاء إذا ضغطوا على الزر أتاهم المثقف ساعياً!

□ أليست هذه حقيقة يا دكتور؟!

ــ مع الأسف هذا جزء كبير من الحقيقة، ولكن نحن نريد أن نصلح الأشياء، ونريد أن نؤسسس لعمل جديد غير مسبوق، نريد أن نسلك طريقاً غير معبدة.

□ ألا ترى معي يا دكتور أن بعض المثقفين صاروا يؤثرون ذواتهم حتى وإن كان ذلك على حساب مصالح الأمة؟ وأن البعض منهم لديه الوصفة الترقيعية التي يحلل بها لنفسه كل المحرمات؟!

ـ أنا في الحقيقة أُحمّل رجل الفكر المسؤولية، والأعباء، أكثر مما أُحمّل رجل القرار. لكن في هذه الظروف، أنا شخصياً أتصور أن استنجاد رجل السياسة أو رجل المال بالمثقف يجب أن يكون وفق بنود ظنية، أو مصرح بها في التعامل، فالمثقف له شروط يجب أن تُحترم حتى يدخل في عملية شراكة المال والسياسة والفكر، وهناك شرط وحيد يمكن أن يغنينا عن كل ما سواه، وهو أن يكون المثقف العربي في بلاده متمتعاً ولو بالقليل القليل، مما يتمتع به المثقف الغربي، فالمثقف في الغرب يُحمل كلامه على محمل من براءة التأويل، ويقبل منه النقد البناء، وله الحق في حرية القول والتعبير، وألا يُتهم بالخيانة الوطنية إلا إذا كان موالياً لجهة أمنية.

فلن يتوفر لأمتنا السير قُدماً بطريق العدالة والرخاء، ما لم يتوفر للمثقف ولرجل الفكر حرية النقد البناء.

□ بعد هذه السنين الطويلة من حياتك داعياً إلى إعلاء كلمة الحق، ومناصراً للثقافة والفكر، كيف ترى ما يخبئه المستقبل للعلاقة بين الثقافة والسلطة؟

ـ المأساة لها عدة وجوه، ورجل الثقافة والفكر في بلادنا العربي، قد دفع دفعاً إلى أن يؤثر السلامة!

□ **لماذا؟!**

ـــ خوفاً من افتقاده براءة التأويل في ما يقول!

□ **وإذا حدث، وتمت إساءة الظن في معطياته الفكرية والثقافية؟!**

ـــ إذا حدث ذلك فإنه سيدفع الضريبة! يدفعها غالية الثمن مع الأسف، ويقدم نفسه وقوداً للمعركة، دون أن يستفيد أحد بنار تلك المعركة! فهي عملية انتحارية تبدأ فردية، ثم تصبح جماعية لأن المثقف الحقيقي في بلادنا يعيش توتر العلاقة مع السلطة، ولذلك أصبح المثقفون في كثير من واقعنا العربي، يمارسون على أنفسهم رقابة ذاتية، يصلون بها ـ أحياناً ـ إلى أبعادٍ لم يطلبها أحد منهم، لأن في الأنظمة العربية خطوطاً حمراء وخطوطاً خضراء، وبين الأحمر والأخضر هناك خطوط صفراء! فدور المثقف العربي أن يكون دائماً في الصف الأول على الخط الأحمر، ينقر نقرات نقدية، إذا أشعلت له الأضواء يمكن أن يتأخر ويعود، أما مثقفونا في كثير من الأوطان، فقد أصبحوا يهجرون المنطقة الحمراء، ويهجرون المنطقة الصفراء، ويقعون فقط عند المنطقة الخضراء.

هذا من ناحية، من ناحية ثانية، تعقد المسألة الثقافية في أوطاننا العربية بامتزاج ما هو دنيوي بما هو غيبي، وهذا الامتزاج أفسد على كثير من رجال الفكر طمأنينة التفكير. رجل الثقافة العربية في حاجة إلى أمن نفسي، يريد أن يشتغل دون خوف من سوء

التأويل لدى السلطة، وكذلك من سوء التأويل لدى السلطة الدينية والعقائدية، كما حدث لفرج فودة مثلاً.

□ **هناك في واقعنا العربي إخوان قد نسجوا لأنفسهم خطاباً يصل إلى حد الاستفزاز، وشعارهم «من لم يكن معي، فهو ضدّي». .**

(مقاطعاً) أظن أن المثقف العربي في الوقت الراهن محكوم عليه أن يفصل فصلاً منهجياً وقاطعاً بين إسلام ديني وإسلام سياسي، والخطر الأكبر أن الذين يمارسون الإسلام السياسي لا يسلّمون بأن هناك إسلاماً دينياً يمكن ألا ينسجم معهم، وهم ينصّبون أنفسهم ناطقين فرديين باسم المرجعية الدينية، وهنا تتعقد من جديد علاقة السلطة برجال الفكر، انطلاقاً من هذه المحاذير، فهي نوع من الرد الوقائي تلجأ إليه السلطات العربية حتى لا يزج بالمجتمعات في فتنة التأويل والغيب!

□ **دكتور: إن الاجتهادات التي أدّت إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر استعدت علينا قطاعات كبيرة من العالم، وبالتالي، فإن الهوة بيننا وبين النهوض من كبوة الانحطاط العام صارت شاسعة!!**

ـ أنا لي احتراز كبير في الربط الآلي بين الحادي عشر من سبتمبر وموجة الإسلام السياسي النضالي بهذا الشكل القاطع، ولا أظن الغرب كان يطمئن إلى مفهوم الإسلام الديني، حتى وإن خلا من شحنة الإسلام السياسي.

□ بعدما كان هذا الغرب يشجع الاسلام السياسي بالمال والعتاد لخدمة أهدافه!!

ـ تماماً، لأن الأميركان قد شيّدوا ثقافة خاصة بهم منذ أن تأسست أميركا، حيث أسسوا فكراً لمفهوم البراغماتية التي تحولت من تيار فلسفي إلى إنجاز عملي سياسي، والبراغماتية هذه تقتضي ألا نعوّل على مثاليات سابقة مسلم بها، وإنها تقضي فقط بحسابات المصلحة. عاشت الولايات المتحدة على زخم البراغماتية إلى أن جاء دورها إثر الحرب العالمية الثانية، وفجرت القنبلة النووية، وبدأت البراغماتية تدخل في مأزق، المأزق الثاني عندما فقدت الولايات المتحدة سلطة الاستشراف لما يحدث في بعض المناطق، ولا سيما عندما راهنت على الشاه إلى آخر لحظة، ثم فوجئت بما لم تكن تقرأ له حساباً. وكذلك ثبت فشل الذرائعية أو البراغماتية في فيتنام، بعدما دخلت هذه البراغماتية سباقاً بدون فرامل، وهذه البراغماتية نفسها كانت تقتضي أن تتخذ أميركا من المسلمين حلفاء استراتيجيين، ولكنها ضيَّعت على نفسها الفرصة، وبعدما سقطت كتلة الاشتراكية، كان لزاماً أن تبحث عن خصم جديد تواجهه. والتناقض الكبير في هذه البراغماتية الأميركية أنها دائماً تحوّل العلاقات السياسية، إلى علاقة ميكيافيلية، فما فعلته في أفغانستان، وما فعلته مع العراق ضد إيران.. كل هذه صور مؤيدة لفلسفة الميكافيلية الأميركية الجديدة. والحادي عشر من سبتمبر كان إفرازاً طبيعياً لأشياء كثيرة، الأميركان هم مسؤولون عنها بالدرجة الأولى لأن الشراسة الأميركية في نطاق العولمة، وفي نطاق المنظومة الاقتصادية

الجديدة، وسيولة المال. . والشركات العملاقة المخترقة، كل هذا بعث الخوف في كل الأطراف. إذاً ما آل إليه الوضع الكوني الآن بمنطق التاريخ هو نتيجة حتمية ضرورية لاختلال التوازن الذي تسببت فيه الولايات المتحدة بشكل خاص، مما جعلنا نعيش آلاماً لم تعشها الإنسانية منذ عهد الامبراطورية الرومانية!

□ كأن الدكتور المسدّي يريد أن يقول ـ بالنسبة لعلاقة الإسلام السياسي بأميركا في الماضي ومواجهتها اليوم ـ ينطبق عليه مثل إنقلاب السحر على الساحر؟!

ـ طبعاً، هنا تتحول إلى مسألة استشرافية، وبكل معطيات القراءة الاستشرافية للتاريخ، فإن هذا وضع لن يدوم، ولن يدوم المرء على ما هو عليه.

□ لن يدوم بالنسبة لنا، أم بالنسبة لهم؟!

ـ بالنسبة إلى أميركا طبعاً. وأنا، بخلاف كل أولئك الذين يؤمنون بسياسة الأمر الواقع، أدري ما أقول، وأعي ما أقول: إذا تواصلت هيستيريا القوة، فإن كل العالم سيدخل في مرحلة تحرير وطني جديد، ولن نكون فرادى هذه المرة، فكل أطراف العالم سيكونون مستعمرات استعماراً إليكترونياً، استعماراً افتراضياً، فعندما سيكثر الضغط، سينفجر الوضع!

□ معنى ذلك أن مكافحة الإرهاب ستتطور إلى مواجهات عالمية؟!

ــ هذا بدون أي ريب، ولا يتصور أن الأميركيين سيسمحون بفكرة المغامرة، والسياسة الكونية بنيت في العصر الحديث - منذ النهضة الحديثة - على أساس أن رجل المغامرة لا يصلح للقيادة السياسية. اليوم نشهد صورة واضحة للمغامرة، قمة الهرم في أميركا تبحث عن مغامرة بأي ثمن كان، وبمنطق التاريخ أظن أن هذا الأمر يجعل من العالم يعيش في حالات من التوتر، وأحياناً يصل هذا التوتر إلى حد الزلازل. لكن مهما كانت شدة هذا التوتر، وقوة تلك الزلازل فإنها ستستمر إلى حين، أي عدة سنوات، وبعد ذلك ستكون هناك إعادة تشكيل جديد لمراسم الكون ولخريطة العالم، بما يعيد التوازن للعالم بشكل من الأشكال.

□ وهل تعتقد أن العالم العربي سيعتلي موقعاً مرموقاً عندما يعاد تشكيل توازن العالم حسب رأيك؟!

ــ إذا لم نكن أقوياء من الداخل، فسنكون في مؤخرة الصفوف!

□ وأين تكمن مقوّمات قوتنا؟!

ــ يمكن أن نقول إن السمة الصريحة للواقع العربي قد تمثلت في فشل الجامعة العربية، التي كانت هي النواة المفترضة لأن تؤسس شيئاً لمستقبل الأمة العربية، ونعلم جميعاً كيف تلونت المصطلحات!! فبعدما كنا نتحدث عن الوحدة العربية، صرنا نتحدث عن الاتحاد العربي، إلى أن تنازلنا شيئاً فشيئاً، فصار الكلام عن المصالح المشتركة، ثم العمل العربي الموحد، فالعمل العربي المشترك.. إلى أن ظهرت التكتلات الإقليمية،

التي يقال رسمياً أنها لا تماحك المؤسسة الأم ـ أي الجامعة العربية ـ ولكن بشكل من الأشكال، هي كذلك!! وفي كل هذا هناك عطالة تاريخية، وسبات تاريخي، فضلاً عن تجارب الاتحادات التي أجهضت.

□ والحل؟

ــ ما ينقصنا في واقعنا العربي هو أننا نفتقر إلى أناس يكونون قد عاشوا تجربة النضال السياسي، ثم عاشوا تجربة العمل السياسي بتحمل المسؤولية، ثم يتفرغون إلى ممارسة التفكير السياسي أي (التنظير) دون أن تغازلهم أنفسهم في أن يعودوا إلى النضال الميداني أو إلى العمل بالمسؤوليات. هؤلاء هم قطع نادر في واقعنا العربي، لأننا مع الأسف نلاحظ دائماً أن رجل الفكر إذا استنجدت به السياسة، وتحمل مسؤولية سياسية، فإنه وهو داخل المسؤولية، ينزع عن نفسه ثوب العالم المفكر، ويلبس جلباب السياسة، وعندما يخرج، وينزع قميص السياسة، فإنه لا يجد جلباب العلم من جديد!!

وللأسف ليس من تقاليدنا نحن العرب أن واحداً منا قد صاغ مشروعاً ثقافياً أو تربوياً أو اقتصادياً، فتناديه القمة السياسية بأن يأتي لتطبيق ذلك، لأن الفرد عندنا يذوب أمام البطل الأول أو أمام قمة الهرم!

□ كيف من الممكن اجتياز مهمة إرضاء قمة الهرم على حساب المجموع؟!

ــ بالوعي. وأنا ألاحظ أن وعياً جديداً عند السياسيين العرب يحدث الآن، لكنني أنظر إليه من ثقب ضيّق جداً بعدسة مجهرية. التحول الكبير الحاصل الآن هو واقع داخل ضمائر السياسيين العرب، فبعضهم أفاقوا فوجدوا أنفسهم أمام حقائق جديدة، أُعطي شاهداً واحداً فقط. . في مساء الحادي عشر من سبتمبر، كان بعض الرؤساء العرب قد بادروا بالتعبير عن موقفهم بوصف ذلك الحدث بأنه جريمة وحشية فظيعة، هل كان السياسي العربي في تلك اللحظة مستشرفاً لما ستؤدي إليه تلك الأحداث. . ؟! قطعاً لا . . ولذلك فإن هذا القول فيضٌ وسخاء، وكثيراً ما يكون هذا السخاء سبباً في أن يصبح صاحبه في منطقة التسلل على ملعب السياسة الدولية.

□ دعني دكتور أنتقل معك بالحديث عن تقييمك للفضائيات، وتقييمك لما تبّثه من الغث والتجهيل والتهميش؟!

ــ هي تدخل في منظومة أوسع منها في كثيرٍ من الحالات لتثبت أن أنظمتنا العربية تستلذ في أن يعزف الشباب عن الاهتمام بالسياسة وأن يتفرغ لكل ما هو إمتاع وتسلية. . حتى أن مفهوم الثقافة عندنا أصبح مفهوماً خاطئاً، أستطيع أن أطلق عليه ثقافة التلهية، والإلهاء. طبعاً هذه الفضائيات تأتي لتكريس هذا الواقع، وتغطي أكبر مساحة من وقتها للعمل التهريجي الذي يشوش على الفكر، وعلى الضمير، وعلى الاستقرار، وعلى فلسفة الأشياء.

وإذا بنا نستلذ، وننساق مع كامل الأسف. في هذا النطاق تدخل الفضائيات، والغريب أن فضائيات القطاع الخاص، نجد أن نصيب الفكر والثقافة فيها متميز عن الفضائيات الرسمية!

□ **هل الكتاب ظُلم في خضم هذا التهافت على الفضائيات؟!**

ـ تماماً. الكتاب ظُلم قبل كل شيء، بشيء آخر، منذ تدخلت أجهزة النقد الدولية، وقدمت الوصفات من البنك الدولي. تريد هذه الوصفات أن تضغط على الدعم الحكومي. فتقدم النصائح لدول العالم الثالث بأن تقلص من الدعم، وإذا بالكتاب يكون الكبش الأول، والضحية الأولى في نطاق إعادة الهيكلة الاقتصادية العالمية، وضُرب الكتاب ضربة قاضية في كثير من الأوطان العربية، نتيجة هذا الوضع الاقتصادي الجديد.

□ **أمتفائل أنت يا دكتور مسدّي بأوضاعنا العربية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً؟!**

ـ أنا شخصياً أؤمن بالنضال، أؤمن أن المثقف ليس في وسعه أن يسكت على كلمة الحق، لكن من باب النجاع يمكن لصياغة الموقف أن تكتنف بمرونة يتحاشى بها المفكر المصادمة المباشرة مع صاحب القرار. أؤمن بأن النضال بالفكر، بالكتابة، بالإصلاح بالرأي، هو دين لا ينقطع، ومجرد أن يتلبس الإنسان بفكرة النضال، يلغي من ذهنه سؤال النجاح والفشل.

على هذا الأساس، من الناحية الفكرية أنا متفائل جداً،

والأحداث العالمية ستعيننا في هذا الباب، أما من الناحية السياسية فلا أقول أنني متشائم، إنما المرحلة ما زالت بعيدة من الوصول إلى الديموقراطية بمفهومها الصحيح.

□ □ □

عبد الوهاب البياتـي

على امتداد مساحة زمنية تجاوزت الأربعين عاماً كنت متواصلاً مع الشاعر عبد الوهاب البياتي.

ففي قاهرة الستينيات، التي كانت تعج بالنشاط السياسي والثقافي والفكري، والفني، كنا نلتقي بشكل شبه منتظم في منتدياتها، ومقاهيها (ريش، جروبي، لاباس، كافيتيريا هيلتون النيل، إيزافتش) وغيرها من الأماكن.

ثم تفرقت بنا السبل، فصرت ألقاه في المؤتمرات الأدبية والثقافية التي كانت تعقد في أماكن متعددة من العالم، التقيته في أميركا في الثمانينيات، ودعاني إلى زيارته في مدريد في التسعينيات، ثم صرنا نلتقي سنوياً في الرياض، أثناء مشاركتنا في مهرجان الجنادرية لأكثر من عشر سنوات.. وظللت على علاقتي الطيبة به، إلى أن توفاه الله.

وبحكم صداقتي للبياتي، تيسّرت لي محاورته لأكثر من مرة في

برامج إذاعية كنت أقدمها، ولعل ما سأنتقيه في هذا المقام هو خلاصته ـ أو لنقل ـ عصارة ما يمكن أن يسلط الضوء على ملامح هامة من تجربة الشاعر عبد الوهاب البياتي في مسيرته الشعرية والأدبية والإنسانية، بعد تفريغ هذه المقتطفات لهذا الحوار معه من عدة أشرطة أحتفظ بها. . ربما ستكون نواة لمشروع كتاب عنه في المستقبل.

وقبل أن أدخل إلى موضوع الحوار مع البياتي، لا بد لي من ذكر تجربتي الأخيرة معه والتي تتلخص بالتالي:

كان البياتي قُبيل وفاته بأشهر يعيش في الأردن في منزلٍ هو أقرب إلى السرداب، وكان يعاني من الرطوبة في ذلك المكان. هاتفني إلى لندن وقال لي: إن كرامتي لا تسمح لي بأن أشكو وضعي في الأردن، وأرغب بالانتقال إلى دمشق، هل لك أن تدبر هذا الأمر؟

وعدته خيراً، ثم اتصلت بالصديق رياض نعسان الآغا وأخبرته برغبة البياتي، وبعد أيام قلائل هاتفني رياض ـ الذي كان يشغل منصباً ثقافياً كبيراً ـ وقال لي: أواثق أنتَ من أن البياتي يريد الانتقال إلى دمشق؟!.

فلم أُجبه وطلبت منه أن يمهلني حتى أتأكد من البياتي نفسه.

ولما اتصلت بأبي علي أكد لي رغبته الشديدة بالانتقال إلى دمشق. ثم تلقيت مكالمةً من دمشق من الكاتب حسن العلوي

يعنفني فيها لعدم إخباره عن موضوع رغبة البياتي بالانتقال إلى سورية.

الخلاصة ما هي إلا أيام وإذا بهاتف عبد الوهاب البياتي من دمشق يزف لي بسعادة غامرة كيف أن السوريين قد احتفوا به وأنزلوه وعائلته في بيت جميل، وخصصوا له عربة فارهة، فضلاً عن احتفاء الأوساط الثقافية السورية بوجوده بينهم.

ولم يمضِ على هذا الحدث سوى ستة أشهر، هاتفني بعدها الصديق بلال الحسن ليخبرني بوفاة البياتي، فاتصلت فوراً بدمشق للتأكد من الخبر، وإذا بصوت كريمته باكيةً منهارة ولم تقل لي سوى: «عمو نجم أبوي مات»!

□ □ □

□ أستاذ عبد الوهاب، حدد لي ملامح شكل الحوار الذي ترغب في أن أُجريه معك؟!

ــ من بداية النهاية ونهاية البداية بالموت!

□ عفواً؟!

ــ أقصد أن نبدأ حوارنا بالموت!

□ الموت؟!

ــ نعم الموت! ولكنه ليس الموت الساذج الذي ينتهي في

الجبانات والمدافن والمقابر، إنما الموت الذي يعتمد على تحويل الفعل الإنساني إلى رمز، وكيف يصبح الإنسان أسطورة، أي يعود إلى الأسطورة مثلما جاء منها!!.

هذه الحركة المتلازمة التي كانت تتبادلها الطبيعة والإنسان، الإنسان بفكره وبقلبه وبتجربته ورؤيته، والطبيعة بنظامها المعماري الدقيق!! فالإنسان يموت من أجل أن يولد! ولست هنا أريد أن أثير فاجعة جدلية الحياة والموت، ولكنني أريد التأكد من كيفية تحول الإنسان المتجدد دائماً ضمن هذه الجدلية لاستمرار الحب، والشعر، إلى أسطورة، والعكس بالعكس!!.. بمعنى آخر هو إضافة قيمة إنسانية جديدة إلى الإبداع الشعري، ودور الشعر في الحياة. والشاعر تحديداً إذا مات جسداً يولد من جديد، لأن له سلالة ممتدة تؤكد استمرار حياته. الذين يموتون هم شعراء السلاطين، لأنهم لم يستطيعوا عبور الأسوار نحو المدينة الفاضلة، فظلوا قابعين في سراديب النسيان، حتى وإن تغنى البعض بأشعارهم التافهة لأنهم لم يتجهوا بالشعر نحو وظيفته الحقيقية!!

□ **وما هي وظيفة الشعر؟!**

ـ التمرد، الثورة، التجديد، إنارة دروب حياة الإنسان بالوعي الكامل والإحساس بمصيره وقدره! فالطبّالون والمزمرون شعراً هم أشد أعداء الحياة، وللأسف أصبحت حياتنا تعج بهم!

□ **ممكن أن تذكر لي بعض أسماء هؤلاء الشعراء؟**

ــ أستثني نفراً من شعراء لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، وطبّق ما قلته على الجميع!!

□ **وما تشخيصك لهذه الظاهرة؟**

ــ انحطاط واقعنا العربي المسرع نحو التردي يوماً بعد آخر، تفشي روح العصبية القبلية، والطائفية المذهبية والعرقية، انعدام حتى ملامح ما يدل على أن هناك اتجاهاً تسير به أُمتنا نحو الديموقراطية الحقيقية، وكذلك انعدام العدالة الاجتماعية، أضف إلى هذا كله، تحكّم الموروث السلفي في توجهات حياتنا المعاصرة، وفوق هذا وذاك، فقد حلت ببلادنا كارثة عربية جديدة ضاعفت من تكريس الابتذال والتفاهات، والجهل والتهميش، أقصد بها وسائل الإعلام التي صارت تستحوذ على معظم أوقات الناس، وصارت تعتمد في عملها على كل من هبَّ ودب ممن دخلوا ميادين يفترض ألا يدخلها سوى المبدعين من ذوي الكفاءات الثقافية والفكرية والأخلاقية، ولكن بدلاً من ذلك هيمن على الإعلام المقروء والمسموع والمشاهد في بلادنا مجموعة من الانتهازيين وطُلاب الشهرة دون أن تكون لهم مواهب، وفوق هذا وذاك صارت تقود الإعلام وتخطط له أجهزة الاستخبارات في الداخل والخارج، فغيرت من وظيفته الإبداعية والإنمائية ليغدو أداة للتجهيل والتزييف تقوم على تنفيذه مجموعة من المرتزقة والمعاقين أخلاقياً.

□ **نعود إلى موضوع الحياة والموت، هل عندك في هذا الذي ذكرته فلسفة معينة؟!**

ـ نعم إن لي في هذا الموضوع رؤية قادتني إلى الإيمان بوحدة الوجود!! فالشاعر عندما تتجسده القصيدة، يكون بذلك قد شكل وحدة عضوية من خلال تجربة يعتمد فيها على حدسه الباطني، على الخيال، على الموهبة، والثقافة، ليتمكن من الأدوات الفنية لولادة تلك القصيدة، وهذه كلها أدوات استشعار تقود الشعور والإحساس بشكل عميق بوحدة الوجود.

□ هل نحن ندور في فلك محيي الدين بن عربي؟!

ـ ليس هذا ما أقصده، فأنت عندما تتفحص الفتوحات الملكية لابن عربي، تجد أن أدواته الشعرية متواضعة جداً، وبالتالي فإن هذه الإمكانات الشعرية الفقيرة، لم تتسع فيها رؤاه لاستيعاب أفكاره العظيمة! وإيماني بوحدة الوجود، لم أستلهمه من كتب الصوفيين في البداية، وإنما كان الإحساس بها ـ أي وحدة الوجود ـ ملازماً لي منذ نعومة أظافري، عندما كنت أتسربل في متاهات الأفكار، إلا أنني اهتديت إليها وأحسست بها لتكون ـ في ما بعد ـ أساساً أرتكز عليه في منطلقاتي الشعرية لإيماني الراسخ بأن القصيدة عمل إبداعي إنساني، يسعى فيه الشاعر الصادق إلى الاتحاد مع ذاته، ومع الآخر، فـ (الأنا) و(الأنت) يحدث ذلك الاتحاد بينهما، فيؤدي إلى تلك الديمومة، وهكذا فإن هذه هي الحقيقة التي تثبت صحة مقولتي عن الموت بمعنى أوضح أن تتجمع في سنوات الأزمنة المختلفة، وكذلك الأمكنة المختلفة، تتجمع كما تتجمع السُحب، وتتحد لكي تصنع المطر.

والمطر كما ورد في الأمثال: «لا تصنعه سحابة واحدة».

فالنتيجة التي استخلصتها مما قلت في بداية الحوار عن الموت هي: إن وحدة الثقافات الإنسانية النابعة عن الإحساس بوحدة الوجود، تتكون عند الشاعر الحقيقي من هذا البحث الدائم في محاولة الاتحاد بين (الأنا) و(الآخر) لعناقه والذوبان فيه.

□ لعل ما تذكره من فلسفة الموت هذه هو أقرب ما يكون إلى فلسفة التناسخ والتقمص في عودة الروح التي يحملها الإنسان لتحل في أجسام كائنات أخرى؟

ـ إطلاقاً، إن ما تذكره هو الـ (REINCARNATION) أي تقمص الأرواح، بينما ما أقصده هو رؤية واقعية تستمد مقوماتها من الواقع.

□ هل جسدت رؤيتك هذه شعراً؟!

ـ نعم، ففي ديوان «الموت في الحياة» تداخلت الواحدة بالأخرى، أي أن الظل اختفى في الظل لأن السمة الدالة، والمتجددة على وجود أبطالي في هذا الديوان الذي يتكون من قصيدة واحدة، هي أن الأموات منهم والأحياء لا يحملون شهادة لهذا العصر أو ذاك، بل إنهم من جميع العصور، وينتمون إلى كل الحضارات، والموتى الغابرون يظلون عندي شباباً، والأحياء لا يموتون لأنهم يتنقلون عبر لحظات التجدد إلى ذوات أكثر اكتمالاً! فالتجدد لا يقهره الموت، والموت يقهر الحياة ذات

الامتداد الزمني، لكنه لا يقهر التجدد بل يمده بوسائل الديمومة والبقاء.

□ بمناسبة التجدد والتجديد، هناك من يشكك في أولويتك أو في ريادتك في القصيدة الشعرية الحديثة؟!

ـ نقلتنا يا أخي نجم من الحديث في الدلالات العميقة إلى الموضوعات المسطحة والكليشيهات والقوالب التقليدية!

□ لا تنس يا أبا علي أن حواراً كهذا لا بد من التنوع فيه بطرح الأسئلة لإعطاء القارئ أكبر قدر من المعلومات عن شاعرهم، وموضوع الحياة والموت، أو الموت والحياة، يبدو لي بصراحة أنه بحث فكري فلسفي أكاديمي عسير الهضم رغم أهميته!

ـ بالرغم من أن موضوع الريادة في الشعر الحديث قد أكل الدهر عليه وشرب، إلا أنني سأروي لك بأمانة شديدة رأيي في هذا الموضوع:

إذا كان البعض يعطي نازك الملائكة موقع الريادة بسبب أسبقيتها في نشر ديوانها الأول، فإنني أقول: نعم، نازك كانت السبّاقة في النشر!! لكن رغم أهمية هذه الأسبقية إلا أنها لا تُذكر إلا على سبيل الإشارة التاريخية فقط!!.. بل وأقول بكل ثقة: إنه لا نازك، ولا السيّاب استطاعا أن ينهلا من ذلك الينبوع، بل إنهما لم يتمكنا من الإمساك بذلك النور المشع القادم من بعيد في بنية

القصيدة الجديدة التي جسّدتها قصائدي الأولى. ولو أعدنا قراءة بعض قصائد نازك والسياب، لوجدنا أنها لا تحمل من الشعر الجديد إلا شكله، وكم تمنيت لو أنهما قد كتبا تلك القصائد بطريقة الشعر التقليدي لكان ذلك أفضل لهما، وخاصة قصائد ديوان «عاشقة الليل»، وقصيدة «هل كان حباً» للسّياب، لأن محاولتهما في هذين العملين تشبه محاولات شعراء المهجر التي بدأت منذ مطلع القرن، بينما قصائدي كانت تُنشر في الصحف اللبنانية والمصرية، وكان يدور حولها جدل حاد لما أحدثته من ثورة في التجديد في بنية القصيدة الشعرية، بيد أن شهرة السياب والملائكة في ذلك الوقت لم تكن تتعدى حدود العراق!

□ أبو علي، بصراحة: ما رأيك بالسّياب؟!

ــ رغم أن سؤالك لا يخلو من سوء النوايا وبمقدوري ألا أجيبك عليه، إلا أنني سأُرضي فضولك وألخصّ باختصار قصتي مع السياب: ففي الساعات الأولى من دخولي معهد المعلمين، التقيت ببدر شاكر السّياب الذي كان قد سبقني بعام دراسي، وكان معروفاً في الوسط الطلابي بسبب مساهماته في النشاطات الثقافية والسياسية، حيث كان يلقي قصائده الوطنية، وربطت بيننا علاقات مودة، فكان يسمعني قصائده، وأُسمعه قصائدي، وكنا نتبادل الكتب التي نشتريها أو نستعيرها، واستمرت علاقتنا بالتواصل إلى أن تخرج قبلي بعام وعُين مدرساً في الرمادي. مما قلل الاتصال بيني وبينه. في هذه الأثناء، فصل السّياب من الحزب الشيوعي، فما كان منه إلا أن قاد حملة صار يهاجم فيها

مختلف التيارات التقدمية، وأخذ يصب اللعنات على الجميع بما فيهم زملاؤه في الحزب، وبعضهم كانوا أصدقاءه.

□ **وما علاقتك أنت بكل هذا؟!**

ـ لما ظهر ديواني «أباريق مهشمة» وأحدث ذلك الضجيج المدوّي في العراق وفي العالم العربي كله وقرّظه أغلب النقاد الكبار في الوطن العربي، واعتبروه الممثل الحقيقي الأول للحداثة الشعرية، أجج هذا الأمر حقداً في نفس السّياب، فدفع ببعض الصغار من عديمي الموهبة الذين كانوا يحيطون به، لمهاجمة الديوان، ومهاجمتي شخصياً!! فضربت بهجومهم عرض الحائط، ولذت بالصمت، لأنني صاحب مشروع شعري عالمي كبير، ولا وقت عندي للمهاترات.. ولم أعد أرى السّياب إلا مصادفة، ولما بدأ المرض يدب في جسده، التقيته في لقاء سريع في بيروت في إحدى دور النشر، ثم صادفته في لقاءٍ عابر في احدى مقاهي دمشق. هذه ببساطة حكايتي مع السّياب!!

□ **في إجابتك المختصرة جداً لتاريخ علاقتك بالسّياب أشرت إلى أن هناك زمالة دراسة، ومودة ربطت بينكما، ولم تقل صداقة!! من ناحية أخرى، فقد حضرت معك أكثر من محفل وأمسية يأتي الحديث فيها على ذكر السّياب فكنت تبدي امتعاضك!!.. بل إنك في إحدى الجلسات تركت المكان، مما يدل على أن هناك خلافاً شديداً بينكما؟!**

ـ لا أنكر وجود خلاف، ولكنه ليس خلافاً شخصياً، وإنما كان خلافاً في الاتجاه! إنه خلاف بين اتجاهين.

□ **ماذا تعني بـ«اتجاهين»؟!**

ـ أنا أختلف مع السّياب في الكثير من الأمور!!

□ **مثل ماذا؟!**

ـ أنا مثلاً لم أبدأ حياتي الشعرية شاعر مناسبات!! ولم ألق قصائدي في المظاهرات أو الاحتفالات، كما كان يفعل السّياب. ولهذ فإن شهرتي استمدت مقوماتها الأدبية عربياً وعالمياً، لأنني قدمت شعراً ناضجاً رحبت بنشره الصحف والمجلات الشهيرة، وتُرجم إلى مختلف اللغات العالمية، لأن قصيدتي اتسمت بروح التجديد غير المسبوق، كما أنني أتلفت كل قصائدي التي كتبتها قبل مرحلة النضوج.

□ **وهل تعتبر أن ذلك اختلاف جوهري بينكما؟! لم أر في ما ذكرته ما يشير إلى اختلاف جوهري، أم أنكما تمثلان اتجاهين متضادين!!**

ـ دعني أُكمل هذه النقطة: ما أريد قوله أن روح التجديد التي كانت تسود في قصائدي، كانت أكثر قبولاً عند الناس من كل أشكال التجديد التي كان يستخدمها السّياب في أشعاره، وهنا جوهر الاختلاف، فـ«المومس العمياء»، و«حفار القبور» كانت أقرب ما تكون إلى القصص المختلقة لإثارة الشفقة، ولم يكن لها ارتباط بالواقع المعاش الذي كنت أتناوله في أشعاري!!

□ كيف بدأت ملامح الخلاف تظهر بينكما؟!

ـ كان السّياب يهاجمني في كل المناسبات! بل إنه ألقى كلمة في أحد المنتديات الأوروبية ـ أظنه في روما ـ اتهم فيها أغلب أدباء العراق بالشيوعية، وكما هو معروف، أن تهمة كهذه في ذلك الوقت، كانت كفيلة بإنزال أشد العقوبات!!

□ أبو علي. . أعرف أن لك الكثير من الخصوم؟!!

ـ وأنا أعرفهم أيضاً.

□ إذاً لماذا يناصبك البعض العداء؟!

ـ وماذا تتوقع من ذباب الموائد واللصوص؟ فهم متشاعرون فاشلون، ويزعجهم الإبداع الصادق، وتثيرهم دعواتي إلى الكرامة والحرية والثورة، بينما هم يرون أنفسهم يلعقون أحذية أسيادهم الخصيان!

صدقني إذا ما قلت لك إنني أشعر بالفخر والاعتزاز بكراهيتهم لي!

من ناحية أخرى يا أخي، أنا اعتدت اشعال الحرائق! وجدُّنا العظيم أبو الطيب المتنبي قد تعرض هو الآخر لأذى هذه الحثالات من الحشرات البشرية، لأنه كان يثير الزوابع، وأنا لا أقل عنه تعرضاً لأذاهم، لأن الحرائق التي أُشعلها لا تقل عن تلك الزوابع التي كان يثيرها.

□ لا شك أنك قلت في هذه النماذج شعراً؟!

ــ طبعاً! هم أعداء الحياة. أعداء التقدم. أعداء الحرية! ومعركتي الأزلية هي مع هؤلاء الأعداء. قلت على سبيل المثال فيهم:

اللغة الصلعاء كانت تضع البيان والبديع

فوق رأسها «باروكة»

وترتدي الجناس والطباق في أروقة الطغاة

في عصر الفضاء ـ السفن الكونية ـ الثورات

كان شعراء الكيدية الخصيان في عواصم الشرق

على البطون، في الأقفاص يزحفون

ينمو القُمّل الطحلب في أشعارهم،

وشعراء الحلم المأجور في الأبراج كانوا بالمساحيق

وبالدهان يخفون شحوبة ربة الشعر التي تشيخ

فوق قمة (الأولمب).

□ كيف يمكن أن أصف الشاعر عبد الوهاب البياتي للقراء؟!

ــ قل لهم: البياتي هو ذلك الطفل الذي لم يفك بعد أبجدية أسرار اللغة! لا أقصد اللغة المتداولة والمحفوظة، وإنما أسرار اللغة التي يصبح فيها الإنسان كائناً مبدعاً، يهدرُ كالطبيعة التي تتدفق، طافحة بالبشر والفرح، والحزن والتمرد، والغربة والثورة! قل لهم:

البياتي، شاعر يمتلك القدرة على فك رموز تلك الأبجدية ليتحول بها إلى كاهن أو حكيم يتلو على سمع العصور سفر أسرار لغة الكون، بعدما آثر الكثيرون من العارفين أن يكتموا السر الذي أباحته لهم طبيعة التدفق النابض في شرايين الحياة! فكثيرون هم أولئك الذين لاذوا بالصمت، وأتاحوا المجال للدجالين ممن لا يملكون موهبة التفاعل مع خلق واقع إنساني جديد، فأخذوا يمارسون الرقى والأدعية والصلوات الكاذبة ليطفئوا بها ذلك النور الذي يضيء دروب الحضارات الانسانية!!

قل لهم: إن البياتي ليس إنساناً منسياً ومهمشاً في متاهات التاريخ، لأنه يؤمن بأن الإنسان ليس كما هو في ذكرى التاريخ، وإنما كيف يجب أن يكون في عصره وفي كل العصور.

قل لهم: إن البياتي يسعى لفك أسرار ذلك اللغز بمفاتيحه السحرية التي سيتمكن بها من فتح الخزائن المغلقة بوجه حرية الإنسان، وكرامة الإنسان.

□ هل يستطيع الشاعر ـ مهما كان شأنه ـ أن يفعل كل هذا الذي ذكرت، بقصيدة شعرية؟!

ــ رغم ما يحتوي عليه سؤالك من نغمة شبه تهكمية، فإن الحقيقة التي عليك إدراكها هي أن عشرات القرون مرت بالإنسان المفكر، قد تركت لنا من المأثورات ما لا نستطيع أن نحسه أو نعيه، رغم التقدم التكنولوجي والعلمي المهول!

إن الشعر الذي تركه أسلافنا لم يكن مجرد شعر، بل كان رسائل

تحتوي على الكثير من الغموض، وهذا ما لمسناه في أشعار الحضارة العراقية القديمة والحضارات الفرعونية المتعاقبة، وكذلك عند الحضارات الأخرى الموغلة في القدم.

إنها رسائل كتبت لأُناس جاءوا، ويجيئون، وسوف يجيئون بعدنا. الشعر يا صديقي يزيح النقاب عن وجه الحقائق الإنسانية الغامضة التي لم يتوصل إليها العقل بعد.

□ **هل من الممكن أن تضرب لنا مثلاً يحتوي على أشعار تؤكد على حقيقة ما تقول؟!**

ــ لن ألجأ للشعراء العظام في التاريخ، ولكني سأضرب لك مثلاً بقصيدة قلتها عام ١٩٥٩ والتي ببساطة، ما ورد فيها كان ساري المفعول في كل عصور الحضارات العراقية السابقة، بما فيها الوقت الراهن الذي أتحدث فيه إليك الآن:

لن تقتلوني أيها الأوغاد

لن تحرموني

من ضياء الشمس

لن تنصبوا الأعواد

للحب، للشاعر، للأولاد

لن تستبيحوا قصر أحلامي

ولن تخوّفوا الأطفال بالأصفاد

لن تسرقوا خزائن الفن

لن تستعبدوا بغداد

لن تجدوا

أيها الفاشيست

في انتظاركم

إلا طبول الموت والرماد

مدينتي

تفتح للشمس ذراعيها

فعودوا!!

أيها الأوغاد

لو تمعنت في هذه القصيدة ـ على سبيل المثال ـ لوجدت أنها تنطبق على عصور عراقية قديمة قبل الإسلام، وأثناء عصور الخلافة الإسلامية، كما أن ما جاء فيها هو ما يحدث الآن في العراق المعاصر!

□ ما هي القراءات التي أسست بنيان البياتي الثقافي؟!

ـ كان القرآن الكريم وتفاسيره المختلفة واحداً من أهم مصادر ثروتي الثقافية، إضافة إلى «نهج البلاغة»، وكتب الجاحظ، وابن المقفع، و«الأغاني»، و«ألف ليلة وليلة».. ومعظم دواوين أشعار العرب، بل أغلبها إن لم يكن كلها، وعكفت بصفة خاصة

على قراءة أشعار المتصوفة، وكتبهم، أما عن الكُتاب المحدثين، فقد قرأت كل مؤلفات العقاد، وطه حسين، والمازني، وكذلك ما كان يكتبه اللبنانيون وأدباء المهجر، ولا أخفيك سراً عندما أقول إنني قرأت كل روايات «الجيب». وقد لعبت قراءتي للفلسفة دوراً في تشكيل ثروتي الثقافية، أقصد الفلسفة القديمة والحديثة، وإقامتي في الاتحاد السوفياتي منحتني فرصة للتعمق في الأدب والقصص والروايات الروسية. ولم أُغفل الثقافات الآسيوية القديمة والحديثة، كثقافة الهند، وفارس، والصين.

□ لو أردنا أن نختتم هذا الحوار بأبيات تختارها من قصائدك، فماذا تختار؟!

ـ وحدي احترقت! أنا وحدي! وكم عبرت

بي الشموس ولم تحفل بأحزاني

إني غفرت لهم

إني رثيت لهم

إني تركت لهم

يارب أكفاني

فلتلعب الصدفة العمياء لعبتها

فقد بصقت على قيدي وسجّاني

□ □ □

عزيز أباظة

التقيت بالشاعر عزيز أباظة عندما كنت مندوباً لإذاعة وتلفزيون أبو ظبي في القاهرة لآخذ منه قصيدةً كان قد اتفق مع عبد الله الطائي وكيل وزارة الإعلام في إمارة أبو ظبي، على أن أسلمها للملحن محمد الموجي الذي تم الاتفاق معه على أن يلحنها لتغنيها المطربة فايزة أحمد. وكان مطلع تلك القصيدة «يا زايد الخير عش للخير».

وفيما كان يقوم الملحن الموجي بتلحين القصيدة وتحفيظها للمطربة فايزة، طلب عزيز أباظة لو أنه يشارك بالحضور أثناء التسجيل، فوجدت في طلبه فرصة ثمينة لتوطيد العلاقة مع شاعرٍ كبير بحجم عزيز أباظة.

وبعدما انتهت فايزة أحمد من غناء القصيدة التي لقيت نجاحاً منقطع النظير في أبو ظبي، وجِّهت للشاعر عزيز أباظة دعوة لزيارة الإمارة أواخر الستينيات حيث لقي الترحيب والتكريم هناك.

ولما كنت ملتزماً بتقديم برنامج «أديب الأسبوع» لإذاعة الكويت أسبوعياً فقد كان من المناسب أن يكون الشاعر عزيز أباظة أحد ضيوفي في هذا البرنامج، وما أن طرحت عليه الأمر حتى وجدته مرحّباً أيما ترحاب بل استضافني في بيته في منطقة المعادي وكان هذا الحوار:

□ **«أنّات حائرة» ديوان من الشعر خصصته لشريكة حياتك التي توفيت وهي في عز شبابها، وظللت تبكيها لسنوات! رغم أن هذا مدخلٌ حزين لبداية حوارنا إلا أنني أرجو أن أسمع منك قصة ذلك الديوان؟ . .**

ـ سنة ١٩٤٢ لا يمكن أن أنساها!! في شهر حزيران/ يونيو من هذه السنة، انتقلت إلى رحمة الله شريكة عمري وحياتي، ولم أقو على تحمل هذا الرزء حتى كدت أن أفقد كياني كإنسان! هذه الكارثة، دفعت بي إلى حالة لا أستطيع أن أصف كنهها، فعبّرت عنها بديوان كامل «أنّات حائرة»، كتبتُ قصائده في أماكن مختلفة؛ هناك في مكة المكرمة حيث كنت أبكيها أمام الكعبة المشرّفة، وفي المدينة . . عند قبر الرسول الأعظم (عليه السلام) إذ كانت الأحزان تحيط بي من كل جانب. . وقصائد أخرى، كتبتها هنا في مصر.

هذا الديوان أعتبره الصدق كل الصدق! فكل حرف جاء فيه، نابع من زفراتٍ صادقة في كياني ومشاعري وأحزاني.

[وهنا ارتج صوت الشاعر عزيز أباظة، وارتخت جفونه،

وتساقطت الدمعات من عينيه فهذا الشيخ الشاعر يبدو أنه قد أحب كأصدق ما يكون الحب، وقد عاش سنيّ حياته ناسكاً في محراب حبه، رغم مرور ثلاثة عقود على رحيل زوجته].

□ **معذرةً أستاذي، هل ترغب في أن نتوقف عن الحوار؟. (مبتسماً):**

ــ لا، لا، أصلك أثرت شجوني.

□ **متى بدأت تقرض الشعر؟.**

ــ عندما نجحت في امتحان السنة الثانية الابتدائية فاجأني والدي بهدية هي عبارة عن قاربٍ صغير لأن قريتنا كانت تطل على نهر أظن أن اسمه بحر مويس، فنظمت بهذه المناسبة بيتين من الشعر قلت فيهما:

إني لأكرم والـدي وأُعـزه وأُجلّه

فلقد هداني قارباً فوق الجياد محلّه

ثم بيّن لي أحد أعمامي أن كلمة «هداني» خطأ في هذا المكان، لأنها مرتبطة بالهداية، والهداية، تختلف عن الهدية، فصححتها إلى «أهداني».

□ **هل قلت هذين البيتين وأنت في السنة الابتدائية الثانية؟**

ــ نعم. وقلت أيضاً شعراً آخر وأنا في السنة الثالثة الابتدائية.

□ **وتحفظه؟**

ــ نعم. وأحفظ المناسبة التي قلته فيها وهي يوم صدر حكمٌ على عزيز المصري الذي كان يقود حرب طرابلس، وكان يقود فيها الجيش التركي ببرقة، وقد غضب المصريون جميعاً للحكم الذي صدر على عزيز باشا فقلت هذه الأبيات:

دارُ الخلافة لا حيّا رُباكِ حيا ولا سلمتِ من الأحداث والنُوَبِ
لقد ظلمتِ عزيزاً فاخترعت له ما شئتِ من تُهمٍ مفضوحة الكذب

□ لا شك أن المناخ الذي يجعل صبياً في سن الثانية الابتدائية والثالثة يكتب شعراً بهذا المستوى مناخ يحفل بالحياة الثقافية والأدبية؟.

ــ نعم لقد نشأت في بيئةٍ أدبية تعتني عناية كبيرة باللغة وبالأدب وبالشعر، وكانت مجالس الأباظية وأصدقائهم وضيوفهم في القرية التي نشأت فيها واسمها «الربعماية» تحفل بالمجالس التي تدور فيها ليلياً مطارحات الشعر، حيث كان والدي محمد عثمان أباظة باشا، وعمي عبد العزيز باشا أباظة، وجمال الدين بيك أباظة، والعديد من أعمامي وأخوالي يعيشون حياتهم في مناخٍ ثقافي وأدبي. وعندما انتقلنا إلى القاهرة ازدادت المجالس الأدبيةَ والثقافية ثراءً، حيث كان يرتاد بيتنا حافظ ابراهيم ومحمد السباعي، وعبد العزيز البشري وغيرهم.. ففي هذه الأجواء ترعرعت ونمت معي موهبتي الشعرية.

□ سؤال:

رفّت الأرضُ حولها والسماءُ وتناهى لها السنا والسناءُ

وزكى عندها الهدى فهي للكون جمالٌ ورحمةٌ وإخاءُ
قف ببطحائها قبالة بيت الله واخشع فإنها البطحاءُ

□ **الواضح من هذه الأبيات أن شعرك كما لو كان في أيام لبيد بن أبي ربيعة، أو زهير ابن أبي سلمى وأقرانهما، فهل تأثرت بهم وظللت واقفاً عند حدودهم؟**

ـ أشكرك على حسن ظنك أولاً، وأشكرك مرةً أخرى على أنك حين ذكرت شعري ذكرت الفطاحل القدماء، وأنا لا أدعي إطلاقاً روعة في الشعر أو أن لي ديباجة مثل تلك الديباجة كما تقول، ولكن الواقع الذي لا شكّ فيه هو أنني منذ نشأت وأنا صغير مهتم أشد الاهتمام ومعنيٌّ أبلغ العناية بتتبع الشعراء الأقدمين من جميع الاتجاهات وفي جميع المواطن العربية. وقد بدأت دراستي بطبيعة الحال كما بدأ أكثركم بدراسة الشعر الجاهلي دراسةً وافية، ولم أكن أقرأ هذا الشعر بمفردي حيث كنت ألجأ إلى الأساتذة المختصين وإلى والدي رحمه الله، ليفسروا لي ما في معانيه من كنوز.

□ **عفواً، ما هي قصة أرتباط الأسرة الأباظية بالأدب؟.**

ـ هذه قصة طويلة في الواقع يمكن أن نتجه إليها في ما بعد، ولكن لنتحدث عن والدي بالخصوص، فقد كان لديه العديد من الأصدقاء من الأدباء والمفكرين والشعراء، وكنت أتتلمذ عليهم، وأظن أن حضراتكم جميعاً سمعتم عن الشاعر حافظ ابراهيم

وسمعتم عن أستاذ كبير هو من كبار المؤرخين والأدباء: الشيخ محمد الخضري الذي كانت له مؤلفات كثيرة، وسمعتم أيضاً عن أديب من طراز رفيع جداً اسمه الشيخ عبد العزيز البشري. هؤلاء وغيرهم كانوا أصدقاء والدي وكانوا يقضون أغلب أيام الصيف في قريتنا بالشرقية، وكنت أغتنم فرصة وجودهم وأتتلمذ عليهم في الناحية الأدبية، كلٌ منهم في ما يخصه وفي ما يدريه الدراية الواسعة، ومن أجل هذا نشأتُ بحب عميق جداً للشعر العربي بكل عصوره ومدارسه، ولا زلت حتى هذه الساعة أعكف على دراسة الشعر الجاهلي وما تبعه من العصور الأخرى إلى أيامنا هذه.

□ **أعود لأطرح السؤال ثانيةً: من هم الشعراء الذين تأثرت بهم؟.**

ــ أنا قرأت للشعراء جميعاً ولكن تأثرت أشد التأثر بشعراء عديدين منهم، البحتري، والشريف الرضي ومدرسة الشريف الرضي، وإذا قلنا مدرسة الشريف الرضي قلنا مهيار الديلمي. وإلى جانب هؤلاء وإن كان أقدم منهم، تأثرت جداً بشعر أبي نواس، ولعلّي تأثرت أكثر من هؤلاء جميعاً بشاعرنا الخالد وأخشى أن أقول قبل هؤلاء بالشاعر الكبير أحمد شوقي.

□ **هل ظهر شعراء غيرك في الأسرة الأباظية؟..**

ــ الأباظيون فيهم أدباء كثيرون وشعراء كثيرون، وهذا الموضوع يرجع إلى عهد قديم جداً، فأنا أحتفظ بدواوين لأجدادنا، وأؤكد لك أنهم نظموا هذا الشعر في وقت كان الشعر فيه قد انهار.

□ لمَ لم تظهر هذه الدواوين إلى النور؟!.

ـ هي صحيح لم تظهر إلى النور ولكنها موجودة عندنا. غير أن النزعة الأدبية في أسرتنا ظلت موجودة لتعبّر عن نفسها بأشكالٍ أدبية مختلفة، فإلى جانب الشعراء هناك كتاب القصة والرواية وهناك من انخرط في الصحافة. ثم إن في مصر أسرة أخرى فيها العديد من الأدباء والشعراء وكتاب الرواية والقصة، أقصد الأسرة التيمورية فهي لها باع طويل في عالم الأدب.

□ أستاذ عزيز، نجدك في سنواتك الأخيرة قد اقتصرت في شعرك على كتابة المسرحية الشعرية فما سر هذا التحول؟.

ـ بدأت كتابة الشعر وأنا صغير، وفي الغالب كنت أكتبه لنفسي، وكذلك كنت أنشره في بعض المجلات الأدبية التي تصدر في ذلك الوقت مثل صحيفة «الصاعقة» و«مجلة السفور» و«مجلة الآداب»، ففي هذه المجلات كنا ننشر شعرنا أيام الشباب، ثم حدث انقطاعٌ ما بيني وبين الشعر لفترةٍ طويلة أثناء مرحلة الدراسة، والاشتغال في الوظائف العامة، ولكنني كنت أكتب لنفسي وأحتفظ بهذه الأشعار وعندي الكثير منها لم يأخذ طريقه إلى النشر.

وتسألني عن اتجاهي إلى الكتابة المسرحية، وأجيبك بصدق أن الذي قادني إلى هذا الميدان هو حبي بل وشغفي بما كان يكتبه أحمد شوقي من مسرحيات، فعكفت على دراستها، أعني دراسة مسرحيات أحمد شوقي، كما درست مسرحيات شكسبير،

ومارلو، وكورنيه، فوجدت نفسي أتتبع خطى أحمد شوقي وأعتني به عنايةً شديدة.

وأذكر أنني في ليلة من الليالي كنا نشهد فيها رواية «مجنون ليلى»، وكنت في ذلك الوقت في مقصورة كانت معدة ليلياً ليجلس فيها شاعرنا الكبير شوقي. وفي تلك الليلة كان إلى جانب شوقي يجلس معنا في المقصورة، أحمد رامي وتوفيق زياد، وفي فترة الراحة بين الفصلين قلت لشوقي: لماذا لا تكتب عن «قيس ولبنى»، فقال لي: ما السبب الذي يدعوني إلى ذلك؟. قلت: أظن أن الدراما في «قيس ولبنى» لا تقل روعةً عن الدراما في «مجنون ليلى» مع اختلاف الموضوعين، وأظنك لو كتبت فيه فستنتج لنا رائعةً من روائعك العظيمة! فنظر إلي شوقي وقال: لماذا لا تكتبها أنت؟.

وكنت أظن أن هذا الكلام الذي قاله شوقي إنما هو نوعٌ من الدعابة أو شيءٌ من هذا القبيل، لكن القدر أراد بعد ١٥ سنة من هذه الجلسة أن أكتب مسرحية عن «قيس ولبنى».

□ هناك من النقاد من يقول أنك تأثرت بأسلوب شوقي إلى درجة التقليد لكتاباته المسرحية؟.

ــ أنا تأثرت بشوقي من حيث الأسلوب، والواقع أن مسرحيات شوقي ومسرحياتي ـ وأنا مضطر هنا أن أذكر مسرحياتي إلى جانب مسرحيات شوقي وهذا شرفٌ قد لا أستحقه ـ أقول إن لدى شوقي في مسرحه قدرة غنائية جبارة كانت تدعوه في بعض

الأحيان إلى الإطالة من غير داعٍ قوي، وهذه الإطالة من شأنها أن تضعف إلى حدٍ ما من أثر الواقعة المراد إبرازها! فأنا من ناحيتي قد تحاشيت هذه الإطالة، وأعتقد أن النقاد الذين قالوا إنني أُقلد شوقي في الشعر الغنائي في مسرحياتي، أعتقد أنهم متجنّون إلى حدٍ ما.

□ **هل لك مأخذ على الإطالة الشعرية في مسرحيات شوقي؟.**

ـــ معاذ الله! أنا لا أستطيع أن أنقد مسرحيات شوقي، إنما أقول إن شوقي عندما يسترسل لا تستطيع أن تمسك نفسك من التأثر لأنك تسمع شعراً هو من أعلى وأرقى أنواع الشعر!!.

□ **لكن قصيدة مثل «أنا أنطونيو.. وأنطونيو أنا» في مسرحية كليوباترا قد تجاوز عدد أبياتها الخمسين بيت، ألا تعتقد أنه يصعب على المتفرج أن يتابعها دون ملل؟.**

ـــ هذا صحيح. والخطأ في هذا ليس على شوقي، إنما على المخرج، لأن المخرج يستطيع أن يختصر.

□ **هل تعتقد أن شوقي كان يلتزم بالقواعد المسرحية المتعارف عليها؟.**

ـــ قواعد؟ أي قواعد! هذه القواعد يجب أن تطبق على المتصلين بالأدب المسرحي!!. إنما أولئك الأفراد الذين يتميزون والذين لا يأتون إلا كل عشرة قرون مرة مثل أحمد شوقي فلا ينبغي أن

يخضعوا لمعايير مثل هذه القواعد لأنهم هم يخلقون قواعدهم وعلينا أن نتبعهم!!.

□ **هل تعتقد أن المسرحية الشعرية ما زالت قادرة على النجاح فوق خشبة المسرح وهي تقدم بشكلها التقليدي الكلاسيكي القديم؟.**

ــ نعم قادرة على النجاح وستظل قادرةً على النجاح، لأن الشعر هبةٌ من الله للوجود وإن الشعر أسمى من كل الفنون. نعم. هذا لا شك فيه، فالمسرحية إذا اعتني بها عنايةً حسنة، وإذا كان الشعر فيها جيداً يسترعي انتباه الجمهور ليعبّر عن مشاعرهم، وإني أوكد لك أن مسرحيات شوقي لو عرضت الآن على جمهورٍ عادي لتتبعها بكل خلجاته، ولفهم منها كل صغيرةٍ وكبيرة (...) ولكن للأسف لا أدري لماذا أُغلقت على مسرحيات شوقي الأبواب حتى أصبحت مجرد تاريخ يعنى به النقاد.

□ **هل بمقدور المسرحية الشعرية أن تهتم بمعالجة كل الموضوعات المعاصرة، أم أن خصائصها العروضية والتزامها بالقوافي يحد من شمولية الموضوعات التي تتناولها؟.**

ــ كان بتقديري أن تكون المسرحية الشعرية أصلح ما تكون لمعالجة الموضوعات التاريخية، والبطولات، والوقائع الكبرى في العالم، لكنني اكتشفت أن الأجانب قد تعرضوا في مسرحهم الشعري إلى ما يدور في مجتمعهم المعاصر من أحداث، إنهم يعالجون واقع الحياة القائم الآن، وقد حاولت أن أقوم بهذه

التجربة وكتبت مسرحية للأسف لم تظهر على خشبة المسرح لأسبابٍ لا أريد الحديث عنها.

□ **ما اسم هذه المسرحية؟**

ــ «أوراق الخريف».

□ **هل تعتقد أن المشاهد العادي يستمتع ويتفاعل مع المسرحية الشعرية كما يتفاعل ويجد متعة مع النثر الذي هو أقرب إلى طبيعته؟.**

ــ في تقديري أنا، أنه سيجد متعةً أشد وأكثر، لأنه سيستمع إلى الشعر، وكلام الشعر له علاقةٌ بالموسيقى، وأنا شخصياً شاهدت الناس وهم يستمتعون بالشعرَ المسرحي أيام كانت مسرحياتي تعرض قبل عشرين عاماً.

□ **ألا تعتقد أن الوقت قد اختلف عما كان عليه؟.**

ــ إلى حدٍ ما، ولكن الناس ما زالوا يحبّون الجمال كما كانوا، وعلينا كمبدعين أن نجعل من الناس يتشربون بروح هذا الجمال.

□ **تُعرَض هذه الأيام مسرحية «الفتى مهران» وهي شعرية، والذي يبدو أنها لم تلق ذلك الاستحسان بسبب كونها كتبت شعراً.**

ــ بالعكس، أنا أختلف معكَ كل الاختلاف في هذا الموضوع. فأنا شخصياً حضرت مسرحية «الفتى مهران» للشرقاوي ولاحظت أن الجمهور سعيدٌ جداً وهو يسمع هذا النوع من الشعر، مع

العلم أنه لم يكن شعراً أصيلاً لأنه كُتب بطريقة ما يسمى بالشعر الحديث.

□ **هل تقرأ أنت الشعر الحديث؟.**

ـ قرأت بعض نماذجه من أشعار أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور.

□ **وما هو رأيك في ما قرأت؟.**

ـ رأيي أن شعرهم خال من الوزن والنظم، ومثل هذا النوع من الكلام لا يمكن أن يسمى شعراً! أنا قد أتساهل في ما يتعلق بالقافية وأقول: من حق الشاعر أن ينتقل من قافية إلى أخرى، لكن أن لا يكون هناك وزن فهذا ما أرفضه رفضاً باتاً ولا أعتبره شعراً.

□ **يعني هل يريد الأستاذ عزيز أباظة من شعراء القرن العشرين أن يلتزموا بتعليمات الخليل بن أحمد الفراهيدي التي وضعها في القرن الثاني للهجرة، دون أن تكون لهم محاولة التجديد في التعبير عن عصرهم؟.**

ـ أنا أريد أن أُسمي الأشياء بأسمائها. الشعر شيء، وما يقوله عبد الوهاب البياتي شيء آخر.

□ **ماذا قال البياتي؟.**

ـ قال؟!.. استغفر الله! أستغفر الله! وناقل الكفر ليس بكافر.

البياتي قال: «رأيت وجه الله في واجهة أحد المخازن»!.. لا أستطيع أن أكمل! آسف. وبغض النظر عن الموضوع، دعك من الكفر، أين الوزن؟ ثم هل يعقل أن هؤلاء الشعراء الجدد لا يستطيعون حفظ قصائدهم؟.

□ **هل صحيح أنك عاكف الآن على تأليف مسرحية شعرية تتناول فيها حياة صلاح الدين الأيوبي؟.**

ــ أنا قلت إني أتمنى أن أكتب هذه المسرحية، وقد جمعت لها المادة والمصادر، ولكن لسببٍ لا أدريه تراجعت عن الفكرة وقد أتوقف نهائياً عن كتابتها، مع أن صلاح الدين شخصيةٌ جديرة بأن يُكتب عنها.

□ **هل لي أن أعرف ما هو السبب الذي ثبّط عزيمتك من الاستمرار في كتابتها؟.**

ــ هو نفس السبب الذي لم يتح الفرصة لمسرحية «أوراق الخريف» للظهور.

□ **لا تؤاخذني، لقد أخبرتني بعدم رغبتك في شرح الأسباب التي حالت دون السماح لمسرحية «أوراق الخريف» بالظهور، لكني أستسمحك الآن لو لمّحت لي: هل هي أسباب رقابية؟!.**

ــ ما دمت مصرّاً.. شوف يا سيدي: اتصل بي صديقي الأديب يحيى حقي الذي كنت قد حدّثته عن مسرحيتي القادمة «أوراق الخريف» وأخبرني أن هناك إدارة جديدة للمسرح القومي وأن

المدير الجديد يرغب بزيارتي لكي يطّلع على نص المسرحية، فدعوت يحيى حقي والمدير الجديد للمسرح القومي إلى بيتي، وكانت المرة الأولى التي ألتقي فيها برجلٍ اسمه أحمد حمروش، وبعدما قرأت عليهما مسرحيتي «أوراق الخريف»، أبديا إعجابهما بها ثم تواصل النقاش بيننا بشأنها إلى تحديد شخصيات الممثلين الذين سيجسدون الأدوار فيها. ومضى زمن ليس بقصير عرفت في ما بعد أن لجنة القراءة في المسرح القومي رفضت نص عزيز أباظة الذي كتب للمسرح القومي كما رفضت من قبل عدداً كبيراً من المسرحيات الشعرية مثل: «قيس ولبنى» و«العبّاسة» وغيرهما!!.. عندها انقطعت علاقتي بالمسرح القومي، لأن التنظيمات العسكرية الجديدة التي دخلت حتى في شأن الإبداع المسرحي لا تريد للمسرحيات ذات المستوى الرفيع، أو المسرحيات المكتوبة بالفصحى أن تأخذ لها مكاناً في التنظيم الجديد بالمسرح القومي. لهذا وجدتني غير راغب بل ليس لدي أي نزوع إبداعي لكتابة مسرحية صلاح الدين الأيوبي.

□ باعتبارك تنتمي إلى طبقةٍ أرستقراطية ثرية، هل ترى أن التحول الاشتراكي الذي حدث في مصر يستجيب لمتطلبات الشعب المصري؟.

ــ برنامجك اسمه «أديب الأسبوع»! وليس سياسي الأسبوع!. ولذلك فلن أجيبك عن هذا السؤال لأنه خارج إطار موضوعنا.

□ ترأستَ مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في القاهرة

أخيراً، ألا تعتقد معي أنه كان دون مستوى الأحداث التي تجري في عالمنا العربي؟.

ــ في اعتقادي هذا صحيح من حيث المستوى، إذ إن الظروف التي تجتازها الأمة التي نعيشها، فيها الكثير من النكبات، ولكنني لا أيأس من أن يأتي مؤتمر آخر يكون أكثر تفاعلاً مع ما يجري في المنطقة من أحداثٍ نعيشها.

□ **أنا لست مقتنعاً بهذه الإجابة! ولا أظنك أنت مقتنعٌ بها؟!**

ــ لماذا؟.

□ **لأنها تقوم على الأمنيات!**

ــ لا ياسيدي أنا مقتنع بها تماماً.

□ **نعود إلى الحرب الدائرة بينك وبين الشعر الحر من جهة، وبينك وبين الشعر العاميّ من جهةٍ أخرى؟**

ــ لا حرب ولا حاجة، فأنا لست خصماً للشعر العامي الذي أسميه «الزجل» وأنا من عشاق هذا «الزجل» لا سيما عند بيرم التونسي، وكذلك صديقنا أحمد رامي.

□ **إذن ما سر المناوشات التي دارت بينك وبين صلاح جاهين؟.**

ــ صلاح جاهين كان يدافع عما يسمى الشعر الحر، ولم يكن خلافي معه يتعلق بموضوع الزجل.

□ **هل تلتقي بأقطاب الحركة الشعرية الحديثة؟.**

ـ طبعاً، فأنا رئيس لجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب، وفي هذه اللجنة أناس من مدرسة الشعر الذي يسمى الشعر الحديث أمثال صلاح عبد الصبور، وعبد المعطي حجازي، وصلاح جاهين، ولم يحصل أننا اختلفنا في ما يعرض علينا من أعمال، لأننا لم نتحدث إلى الآن في مسألة المبدأ، أو الفكرة الأساسية، إنما عندما نناقشها بالروح الأدبية فكلّ منا يحترم آراء الآخر، ولم نختلف في جلساتنا إطلاقاً.

□ **ولكنك تختلف معهم من حيث المبدأ؟.**

ـ بصراحة أقول لك: إن جماعة ما يسمى الشعر الحر كلهم تقريباً يدينون بأيديولوجيات سياسية، ويسخّرون شعرهم لخدمة أيديولوجياتهم التي تكاد تخلو هي الأخرى من القافية والوزن. وأنا أعتقد أن الشعر ما دام بعيداً عن قضايا المهاترات السياسية فسيكون شعراً أجود وأرقى، ولكن من يريدون إدخال الشعر في متاهات المواجهات السياسية سيُفقدون هذا الفن الرقيق أهم خصائصه. وأعتقد أن أستاذنا العقاد وزميله شكري قد خطوا خطوةً في سبيل تطوير الحركة الشعرية المعاصرة ولكن أيضاً أقول بكل أسف كان هذا على حساب جودة الشعر.

□ **هل لنا في ختام هذا اللقاء أن نسمع منك أبياتاً شعرية لعلها تذكّرك بأيام الصبا:**

ـ حاضر..

ومورد الوجنات يحمل وردةً حمراء ما في حسنها من باس
يلهو بها . ياويحه . متغافلاً والنار تأكل في قلوب الناس
ياظبي قد روعت فيها غصنها ألوعتها من غصنك الميّاس
وجنيتها فأتيت ثم جناية هلا رحمت دموعها «يا قاسي»

□ □ □

فاتـن حمامة

نريد أن نمر مرور الكرام على تلك الديباجات التي اعتادت التمهيد للشخصيات المراد التحاور معها لسبب بسيط جداً هو أننا نتحاور مع فاتن حمامة، فماذا عسى أن نقدم أو نقول عنها؟

يكفي أن نذكر اسم فاتن حمامة لترتسم في أذهان القراء فوراً تلك الصور المختزنة في ذاكرة كل منهم عنها! ولهذا نبدأ الحوار مباشرةً:

□ أستاذة فاتن، منذ متى بدأ حبك للسينما؟ هل أحببتها عندما دخلت الى صالاتها وأنت طفلة؟!

ـ لقد أحببت السينما من قبل أن أدخلها، وكنت أعشقها وأنا طفلة تشاهد أحداثاً على شاشة كبيرة، وكانت تضع نفسها بين الأحداث التي تشاهدها، لدرجة الانفعال الذي يكاد أن يصبح حقيقة. كنت أعيشها حتى بعد أن تضاء أنوار الصالة.

□ معنى هذا أنك كنت تتابعين السينما وأخبارها،

وتعرفين نجومها الذين تتعايشين معهم في خيال اليقظة؟!

ـ كلا، لم أكن في ذلك الوقت أتابع أخبارها بمعنى المتابعة الواعية والمدركة، وإنما لم أكن أجد مانعاً ـ في ذلك الوقت ـ من الذهاب لمشاهدة فيلم في الصباح، ومشاهدة فيلم آخر بعد الظهر!. فهل هناك متابعة لطفلة في سني أكثر من تلك المتابعة؟!

□ يعني ذلك دخلت إلى الاستوديو للتمثيل أول مرة أمام عبد الوهاب، وكانت الصورة مكتملة بالنسبة لك باعتبار أنك كنت تتعايشين مع الأحداث السينمائية في خيالك، وقد جاءتك الفرصة لتجسيد هذا الخيال في الواقع؟!

ـ والله إن ما تقوله مبالغ فيه!! فدخول الاستوديو لأول مرة بالنسبة لي كان عبارة عن لعبة. أي والله لعبة!!

□ هذا الأمر يحتاج منك إلى أن تشرحي لنا هذه اللعبة!!

ـ أولاً، لقد تعودت على التعامل مع المخرج الذي كان يلبي لي كل طلباتي، فقد كان يتعامل معي كطفلة لها خصائص الطفولة التي لا غنى للأطفال عنها! بينما كنت أراه يصرخ، ويكون في حالة عصبية مع الآخرين من فنانين وفنيين.. لكن عندما يتعامل معي كان يبتسم، ويحضر لي الهدايا، لدرجة أنني كنت أتسبب بوقف التصوير أحياناً لكي ألعب الحبل قليلاً أو ألعب بالكرة

قليلاً. تخيّل عشرات الفنيين والفنانين يتوقفون عن العمل إلى أن أنتهي من لعبي!!

ومن هنا أعتبرها لعبة، وهذا ما قصدته عندما قلت إن البداية كانت بالنسبة لي عبارة عن لعبة!!

□ **إذن لماذا، وأنت الفنانة السينمائية الأولى في الشرق العربي، تشعرين الآن بالرهبة في الأيام الأولى من دخولك الاستوديو؟!**

ـ الرهبة حالة تنتاب كل الفنانين عندما يقدمون على عمل جديد، ومصدرها أن الفنان يحتاج الى وقت كي ينسجم ويتفاعل مع الدور الذي يؤديه. ولذلك إنني أحتاج إلى يوم أو يومين في العمل لكي أمسك البداية، وأسير بالشوط حتى نهايته في حالة من الانسجام الهارموني، وبحالة انفعالية تخدم الشخصية التي أجسدها على الشاشة. فكما تعلمنا في المعاهد الفنية: أن الفنان يقرأ النص أولاً، ويستوعب هذا النص ثانياً، ثم يتعايش مع ما فيه من شخصيات وأحداث، وفي النهاية يؤدي دوره وفقاً للاستيعاب والمعايشة لكي يبدع في أدائه. وكل هذا ليس أمراً هيناً، فلا بد من الرهبة.

□ **هل حدث للأستاذة فاتن أن تعايشت مع أحد الأنماط الإنسانية التي قامت بتمثيلها، ثم استمرت بمعايشتها لهذه الشخصية بعد انتهاء تصوير الفيلم؟!**

ـ والله على حسب الشخصية والنمط الذي كنت أؤديه في هذه

الشخصية، ففي بعض الأدوار الدرامية كنت أُصاب بحالة من الاكتئاب لعدة أيام بعد انتهاء التصوير!!

□ طيب، في حالة قيامك بدور فلاحة، وهذا الأمر يقتضيك إتقان لهجة الفلاحين، هل تبقى جذور هذه اللهجة معك لتتحدثي بها في حياتك العادية بعد انتهاء تصوير الفيلم؟!

ـ يا أخي ما أنا فلاحة!!

□ أعني أن تتحدثي في بيتك ومع أفراد عائلتك بألفاظ مرتبطة ببيئة هي ليست من بيئتك!! يعني لا يمكن أن تأتي على لفظة «البلّاص» أو «الزير» وغير ذلك من الألفاظ لعدم تطابقها مع البيئة التي تعيشين فيها!!

ـ شوف يا سيدي، إحنا ناس فلاحين، والفلاحة مغروسة في داخلي، حتى على صعيد النسب العائلي، دع عنك أبي وجدي، يعني جيل ما بعد منتصف هذا القرن، وستجدنا كلنا من الفلاحين. ولهذا لا أجد غرابة إن كنت أتصرف في عفوية وبساطة الفلاحين وأنا ضمن دائرة البيئة التي أعيشها.

□ مادمنا نتكلم عن حياة الفلاحين في الأنماط السينمائية، والأدوار التي أديتها، هل تشعرين بأن هذه النماذج الإنسانية قد كان لها تأثير على حياتك؟

ـ لقد تعايشت مع الفلاحين كثيراً منذ «دعاء الكروان»، مروراً

بـ«الحرام» وحتى «أفواه وأرانب»، فوجدت نفسي أميل إليهم كثيراً وأحبهم وأحب بساطة الحياة الطبيعية غير المصطنعة التي يحبونها. ولعلي لا أبالغ عندما أقول إنني أفضل حياة الفلاحين وما فيها من صدق ومحبة على حياة أهل المدن والعواصم المليئة بما لا أريد أن أذكره.

فكلما أذهب إلى القرى وألتقي بالناس هناك، أجدهم ألطف بكثير من أبناء المدن. وقد كونت صداقات حميمة مع الكثير من عمال التراحيل عندما كنت أعمل فيلم «الحرام».

□ هل تكونت هذه العلاقات بينك وبين هؤلاء الفلاحين وهم يعرفون ويدركون من هي فاتن حمامة؟!

ـ أبداً، إطلاقاً لأنه عندما كنا نصور فيلم «الحرام»، لم يكن التلفزيون منتشراً، وقليل من كان يملك جهاز راديو، ولعلي لا أبالغ عندما أقول إنهم كانوا يعتقدون أنني واحدة منهم.

□ وهل كنت واحدة منهم فعلاً بعد انتهاء أدائك لدورك، أعني من حيث اللبس وطريقة الأكل والتصرف بشكل عام؟!

ـ بصراحة، أنا كنت أقوم بعملية الغش بمحاولة تقليدهم في طريقة أكلهم وشربهم وقعودهم وطريقة كلامهم، فاقتربت منهم أكثر وكانوا يحكون لي حكاياتهم وأستمع إليها، حتى كدت أن أصبح واحدة منهم دون أن يدركوا هم ذلك!

□ **بمناسبة الحديث عن المرأة الفلاحة، وبحكم تجربتك معها، كيف تقارنينها مع المرأة في المدينة؟**

ــ بحرص شديد أقول حتى لا يزعل مني أحد، وأستخدم تعبير: (يمكن) تكون المرأة أو بنت البلد في المدينة تجنح إلى غير الحقيقة أحياناً، يعني قد تضطر للكذب!! لكن المرأة الفلاحة أكثر حرصاً على الأمانة والصدق، وإن كانت لا تخلو من بعض اللؤم أحياناً.

□ **أستاذة فاتن، الذي يشاهدك على الشاشة يشعر بأنك لا تمثلين الدور حتى يصل إلى قناعة أن هذه السيدة التي أمامه هي ليست ممثلة، وإنما هي تجسد حالات من الواقع المعاش بعيداً عن المبالغات، وتمثيل التمثيل الذي يقوم به البعض من الممثلين؟!**

ــ لا تنس أنني أحمل على أكتافي خبرة سنوات طويلة، ووصلت إلى مرحلة إذا لم أقتنع فيها بالدور، وأتفاعل معه وأتعايشه وأستطيع أن أؤديه بنجاح فليس من الممكن أن أقنع الذي أمامي به!

أولاً قناعتي أنا بالدور، وهذه قد تكون صعبة جداً في كثير من الأحيان في بداية الطريق، إذ لم يكن بمقدوري أن أشترط قبول هذا العمل ورفض ذاك، أو أن أرفض ما يُعرض عليَّ من أدوار، أما الآن فأنا في موقف يسمح لي باختيار ما يتناسب معي من الأدوار.

وكم من الأدوار قمت بأدائها وأنا غير مقتنعة بها، ولعلي لا أذيع سراً عندما أقول: إن تداول أدواري القديمة والتي لم أكن مقتنعة بها من خلال الفيديو، هذا التداول يؤرقني ويقلقني، لكن عزائي أن الذين يشاهدونني في أدواري الأخيرة، ويقارنون، ويدركون الفرق الشاسع بينها وبين تلك الأدوار، لا شك أنهم سيكونون على قناعة في داخل أنفسهم، ويعزون ذلك الفرق للظروف الموضوعية التي كانت تحيط بتلك الأعمال، ولهذا فأنا لا أقبل الآن أي عمل ما لم أكن مقتنعة به جداً جداً.

□ أستاذة فاتن، هل تتم قناعاتك وأنت تطالعين الورق المقدم إليك أم أثناء التصوير، أم بعده؟

ـ هناك حقيقة لا بد أن يدركها كل إنسان، وهي أن أهم عوامل النجاح للفيلم هو الورق ـ الورق وليس بمعناه المجرد ـ الورق الذي أعنيه هو السيناريو المحتوي على صور مكتوبة للشخصيات وللأحداث إلى جانب المؤثّرات الأخرى من صوت وإضاءة وspecial effect إلخ.

فعندما تقرأ السيناريو وتشعر بأنك أمام أحداث حقيقية وأشخاص حقيقيين، وتقتنع بذلك اقتناعاً كاملاً، فبالتأكيد إن ذلك الشعور سينعكس على المشاهد.

بالطبع العوامل الأخرى مثل قدرات المخرج، وحُسن اختيار طاقم العمل من الفنيين، إلى جانب المشاركين من الممثلين، هذه العوامل كلها تساهم في تقديم عمل جيد يريح الفنان والمشاهد على السواء.

□ أين يكمن ضعف العمل السينمائي؟!

ــ هناك عوامل كثيرة تساهم في ضعف الأعمال السينمائية:

العمل السينمائي تماماً كالعملية الجراحية الخطيرة جداً، فأي خطأ فيها قد يؤدي إلى الموت والهلاك. أروي لك أشياء بسيطة:

هل يعقل أن فلاحة مصرية تضع على عيونها رموشاً اصطناعية، أو تظهر على الشاشة وعلى شفتيها من الألوان الحمراء الفاقعة، أو أن تكون تسريحة شعرها مطابقة لآخر صيحات التسريحات؟!

وهل يعقل أن تكون الفلاحة المطحونة ما بين الحقول وعمل البيت ترتدي ملابس قد خرجت من عند الكوّاء لتوها؟!

للأسف هذه الأشياء البسيطة وغيرها لا يراعيها البعض، مما يصبغ صناعة السينما بالاصطناعية وبالتالي يفقدها صدقيتها لعدم تطابقها مع الأحداث والأنماط البشرية التي تصورها في الفيلم.

□ أستاذة فاتن، لقد طبقت ما تفضلت بالإجابة عليه في السؤال السابق في فيلم «أفواه وأرانب» من خلال لفة الطرحة التي كنت تقومين بلفها.. إلى جانب إصرارك على الاهتمام بكل هذه القضايا الصغيرة وبدقة. ربما يكون ذلك مصدراً للإزعاج عند بعض الفنانين والفنانات الآخرين!!

ــ ليس مصدراً للإزعاج فقط، إنما البعض منهم قد اتخذ مني موقفاً والبعض «زعل»! ولا أريد أن أذكر لك الذين صمموا على الزعل، وإنما سآتي على ذكر فنانتين أنا أحبهما كثيراً وكانتا قد

عملتا معي، مثل الفنانة رجاء حسين، وبالمناسبة هي من أفضل الفنانات وقد كانت تقوم بدور أختي التي يفترض أنها معذبة وفقيرة ومغلوبة على أمرها وعندها كثير من الأولاد. رجاء وجهها جميل، ولما دخلت الاستوديو وجدت أنها قد وضعت مكياجها ورتبت ملابسها بصورة لا تتناسب ووضعها الاجتماعي والشخصية التي تقوم بتمثيلها!! فقلت لها:

يا رجاء لا يمكنك أن تكوني بهذه الملابس وهذا المكياج وأنت إنسانة تعيسة ومعذبة، فنظرت إليَّ بعد تفكير وتأكدت أنني أسعى لمصلحتها ومصلحة الدور والشخصية التي تمثلها وبالتالي الفيلم ككل. وفعلاً كانت رجاء لطيفة جداً، إذ بادرت إلى تقطيع الجلابية (وكرمشتها).. وقلت لها: لا يجب أن تكوني حلوة بهذا الشكل! فذهبت (ولخبطت مكياجها) فكانت متجاوبة معي في الدور الذي كنا فيه عبارة عن شقيقتين يدور بينهما شجار وعراك. وكان من أبدع المشاهد في هذا الفيلم.

وهناك فنانة أخرى أحبها وأعزها جداً، وهي المرحومة وداد حمدي، أيضاً لعبت معي دور فلاحة مغلوبة على أمرها في هذا الفيلم، ولما حاولت أن أتوجه لها بالنصيحة كما فعلت مع رجاء حسين. للأسف غضبت، وتصورت أنني أتدخل في ما لا يعنيني، فمثل هذه الأشياء التي يكون مصدرها الحرص على العمل، وأن تكون المشاهد صادقة، نجد أن البعض من الأصدقاء الأعزاء يغضبون ويزعلون.

أعود للإجابة على سؤالك: إن أسباب نقاط الضعف في السينما

كثيرة، ومنها عدم اهتمام الفنان نفسه كبعض النماذج التي جئت على ذكرها.

□ **أستاذة فاتن، المثل السابق يؤكد أن الحوار مع النجوم الذين لهم خبرة يصيب وأحياناً يخيب، فتجربتك مع الفنانة رجاء حسين ووداد حمدي كيف ستقابل إذا ما أردنا أن نطبقها على النجمات الجدد اللواتي يرين أن الرموش الاصطناعية وآخر التسريحات والطلاء بالألوان الفاقعة، جزء مهم من حياتهن؟!**

ــ يا سيدي ليس هناك ما يمنع من استخدام كل هذه الأشياء على شرط أن يكون ذلك ملائماً للدور. ودعني أقول لك أكثر من ذلك: المسألة ليست رموشاً طويلة وتسريحة، وإنما عندما يثق الفنان في عمله بكل إحساسه ويؤمن به، ربما لا يجد النجاح الكافي عند الجمهور عندما يعرض هذا العمل، وإنما تأكد تماماً أن العمل الصادق لا بد أن ينجح يوماً ما حتى لو بعد سنوات!

وهذا ما حدث لفيلم «الحرام»، فـ«الحرام» فشل حينما عُرض في السينما، ولكن بعد كذا سنة عُرفت قيمة هذا الفيلم وأُعيد تقييمه. المهم إيمان الفنان بعمله.

□ **غريب ما حدث لفيلم «الحرام»، بيد أن «دعاء الكروان» لقي النجاح منذ العروض الأولى!!**

ــ طبعاً، بسبب الظروف الموضوعية والزمانية لكل من الفيلمين.

□ **أستاذة فاتن، هل ما زالت تتابعين مشاهدة هذه الأفلام عندما تظهر في التلفزيون؟!**

ــ نعم، قطعاً «الحرام» ما زلت أتفرج عليه.. و«دعاء الكروان» لازم أجلس أشاهده حتى نهايته وكأنني أراه للمرة الأولى!

□ **وبقية الأفلام؟!**

ــ أفلامي أنا؟!.

□ **نعم؟!**

ــ بعضها أكرهها!

□ **هل لدى الأستاذة فاتن مكتبة فيديو لكل أفلامها في المنزل؟!**

ــ ولا حتى صورة لأي فيلم من الأفلام!!

□ **لماذا؟!**

ــ خلاص، اللي فات. فات وانتهى المهم الذي سيأتي.

□ **أستاذة فاتن، مادمت تتحدثين عن الآتي، فلو قلنا إن حال السينما العربية وصلت إلى مرحلة الضمور والذبول، ماذا تقولين؟!**

ـ طبعاً السينما التي أحببتها طوال حياتي، والتي أعتبرها أداة اتصال أقوى من أي أداة أخرى، ولها من التأثير ما يفوق كل وسائل التعبير، وخاصةً عندما تعالج قضايا الإنسان وحالات

التشوه التي لحقت بهذا الإنسان، والعكس أيضاً، فحالات البشر والسعادة التي تطفح بها المشاعر الانسانية.. وأكثر من كل هذا وذاك: فقد اضطلعت السينما بالدور العلمي المؤثر في تطوير المسيرة البشرية.. لهذا فأنا أحب السينما.

□ يبدو لي أن الأستاذة فاتن تكره أفلام العنف كما صرحت أكثر من مرة؟!

ــ أنا بطبيعتي إنسانة مسالمة، وسبب كرهي للعنف ينسجم مع طبيعتي. لكن إذا كان هذا العنف سيؤدي بالمشاهد إلى ازدياد بعده عن الجريمة، ويظهر الفارق الشاسع بين صراع الخير والشر.. هنا تصبح له وظيفة لا بد منها في العمل الفني. أما إذا كان العنف للعنف، فهذا ما لا أطيق مشاهدته.

□ هل هذا الموقف ينبع من تجربة ذاتية أم أنك شاركت في بعض الأفلام ذات الطابع العنيف، ثم قررت الابتعاد عنها؟!

ــ أبداً، أنا لم أشارك في أفلام عنف، فأنا أكره العنف منذ صغري، كما أنني لا أحب أن أشاهد العنف في السينما، فكيف بالله عليك أشترك في فيلم فيه عنف!!

□ أستاذة فاتن: الملاحظ أنك في أعمالك الفنية التي ظهرت في السنوات الأخيرة، قد استحوذ على اهتمامك الجانب الاجتماعي والمرتبط بقضية المرأة على وجه التحديد..

ــ أبداً أنا لم أتخصص بنوعية معينة من الأفلام، خذ «دعاء الكروان»، و«الحرام» مثلاً. تدور أحداثهما بين الفلاحي، لكنها تتناول قضية الإنسان في كل مكان. هناك في أميركا اللاتينية أو في أي قرية عراقية، وربما تحدث مثلها في مدينة مغربية. وهكذا تجد أن التنوع يغلب على أعمالي.

□ **إذن لماذا نجد أن السينما العربية قد اتجهت في الوقت الحاضر إلى إنتاج أفلام لا تحتوي على المضامين التي تتحدثين عنها؟!**

ــ والله أنا حينما أتكلم عن السينما العربية، إنما أتكلم عن القليل النادر، ولا أحفل بتلك الأفلام التي تقصد المكسب والمكسب فقط بأية وسيلة!!

إنما أنا أتحدث عن ذلك الواحد بالمئة من الأفلام التي لا بأس بها.

□ **واحد بالمئة فقط؟!**

ــ فقط!! وأعتبر أنها نسبة لا بأس بها!!

□ **هذا يعني أن صناعة السينما العربية قد انحدرت إلى أدنى مستوياتها.. على لسان سيدة الشاشة العربية!!**

ــ للأسف نعم، والبعض يتهمني عندما أتكلم عن هذه النوعية من الأفلام الهابطة بأنني ضدّ الكوميديا!! فأردّ على هؤلاء بالقول: إن الكوميديا تستطيع أن تقول أشياء كثيرة، وأمامنا أمثلة أفلام تشارلي شابلن، فأنا لست ضدّ أفلام الكوميديا،

إنما أنا ضدّ تلك الأعمال التي تدغدغ غرائز الجمهور بتقديم أعمال رخيصة وبأي ثمن!!

□ **أستاذة فاتن، على من تقع مسؤولية رواج مثل هذه الأفلام؟! هل يتحمل مسؤوليتها الجمهور؟ أم بعض السينمائيين؟!**

ـ أنا لا أريد أن أُحمّل السينمائيين المسؤولية لأنه في النهاية يبدو أن المسألة مسألة عرض وطلب، والكثير من المنتجين ليسوا على استعداد للخسارة. المسؤولية على وزارة الثقافة. نعم وزارة الثقافة، مع أنني شد ما أكره كلمة (أمنع) أو (أشطب) أو (أقصّ).. فأنا أكره كل ذلك، ولكنني أفرض ضريبة على مثل هذه الأفلام لأدعم بها الأفلام ذات الطابع الفني الرفيع.

للأسف هذه الأفلام الرديئة أصبحت تجد دعماً لأنها تأتي بالمال، في حين أن الأفلام التي يفترض أن تقدمها مصر كعاصمة للفن في العالم العربي أخذت تتراجع.

أكرر مرة أخرى: المفروض على وزارة الثقافة أن توقف كل الدعم الذي تقدمه لهذه النوعية من الأفلام، بمعنى أن إيقاف الضريبة على الملاهي والذي يرجع ريعه إلى جيوب المنتجين ممن تخصصوا بالأفلام الهابطة يجب ألا يسري عليهم، بل تفرض عليهم ضريبة أعلى بينما تشجع الأفلام الجيدة. وكذلك العمل على بناء دور عرض جديدة، وتجديد دور العرض القديمة. كل هذا وغيره من الممكن أن تقوم به وزارة الثقافة، والذي يجب أن تفرضه كضريبة على تُجار السينما.

□ ألا ترين أن الجمهور يساهم إلى حد ما بسبب إقباله على هذا النوع من الأفلام الهابطة؟!

ــ والله نحاول أن نقدم له إنتاجاً أفضل من السائد الآن، وسوف يأتي مرة ثانية وثالثة عندما يلاقي أمامه نوعية مختلفة عما عودناه عليه.

□ هناك ظاهرة انتشرت بين النجوم، وهي أنهم لا يحاولون عرض أفلامهم أثناء وجود عروض أخرى تحظى بالرواج الجماهيري، وهذا يؤكد إحساسهم بهبوط مستوى أفلامهم. ولذا فإن البعض منهم يفضّل أن يعرض أفلامه عندما تكون الساحة خالية من العروض الناجحة!!

ـ أجيبك على هذا السؤال ببساطة يا سيدي: مصدر هذه الظاهرة أن الفنان أو الفنانة بات يخشى على اسمه حتى لا يقال إن الفنان الفلاني أو الفناة الفلانية قد قدم فيلماً استمر عرضه لأكثر من عشرة أسابيع، بيد أن الفنان الثاني أو الفنانة الثانية لم يستمر عرض أفلام أي منهما لأسبوعين على الأكثر! وهذا تفكير لا يتماشى والخُلق الفني المتعارف عليه عند كبار الفناني. فمن الممكن جداً أن أنزل أنا بفيلم جديد جداً ومهذب جداً، ويحتوي على كل الصفات الفنية لكن ينتهي عرضه بعد أربعة أسابيع، في حين أن فيلماً آخر ينزل مع فيلمي في نفس الوقت من الممكن أن يستمر إلى سنة أو أكثر، فهل معنى ذلك أنني فنانة فاشلة والفيلم الذي مكث لمدة سنة أو أكثر هو الناجح؟! هذا كلام لا يجوز!

ولهذا فإنني أطالب وزارة الثقافة بإنشاء دور عرض تليق بالأفلام الراقية وبالناس الذين يبحثون عن الرقي.

□ وما علاقة دور العرض بهذا؟!

ـ أقول لك: لقد توقف الناس عن الذهاب لدور السينما، وأصبحوا يفضّلون مشاهدة أفلام الفيديو في بيوتها.

□ وهل ترى الاستاذة فاتن أن مشاهدة الفيديو تختلف عنها في دار السينما؟!

ـ بالطبع، الشاشة الكبيرة تمنح المشاهد بانورامية أكبر من شاشة التلفزيون. هذا من الناحية الفنية، أما من الناحية الاجتماعية، فإن الذهاب إلى السينما عبارة عن فسحة للعائلة، يعني بدلاً من أن تجلس أمام التلفزيون فإنك تنهض وتخرج بعائلتك، بالإضافة إلى ما يصحب هذه الرحلة من تغيير في الزمان والمكان، وكل هذا له تأثير.

فأنا عندما أطالب بإنشاء دور جديدة للعرض، بسبب أن الواحد منا لم يعد يجرؤ على مجرد التفكير في الذهاب الى دور العرض الحالية حيث الألفاظ النابية والتي تصل إلى درجة السوقية أحياناً، وهذا يُسيء إلى سمعة المجتمع العربي بالقياس لغيره من المجتمعات الذين يجلسون لمشاهدة الأفلام في دور العرض وكأن على رؤوسهم الطير كما يقولون في الأمثال، هذا إلى جانب الكراسي المحطمة، والشاشة المظلمة، والإضاءة السيئة، والصوت الرديء جداً، وكل هذه

عوامل تساهم بجعل أي فيلم من الأفلام مهما حرصنا على إتقانه وعلى نجاحه، فيلماً فاشلاً. ولهذا أنا مصرة على أن تكون هناك دور عرض سينمائية على مستوى حضاري في مصر وفي البلدان العربية.

□ أستاذة فاتن، منذ كم سنة لم تدخلي إلى دار عرض سينما عامة؟!

ــ والله أخجل أن أقول لك منذ أكثر من عشر سنوات!!

□ إذن أين تتابعين الحركة السينمائية، وكيف تشاهدين الأفلام العربية؟!

ــ هناك بعض الزملاء والمنتجين يكرمونني بعرض أفلامهم في صالات خاصة في الاستوديوهات، وهناك ما يصل بين يدي من الفيديو.

□ معنى هذا أنك لا تتابعين مشاهدة معظم الأفلام التي ظهرت مؤخراً؟!

ــ لا، لا، لا. هناك أفلام رفضت أن أراها أو أشاهدها لسبب واضح، وهو أنني لست مستعدة أن أجامل على حساب سمعة السينما العربية.

□ كيف تتابعين الجيّد من الأفلام؟

ــ والله ظهرت أعداد كبيرة من المخرجين، وأحببت أن أتعرف

إليهم من خلال أعمالهم، لأني أحب أن أعرف كيف يفكرون، وقد تسمح الفرص بالعمل معهم. وكان البعض منهم لطفاء، وعرضوا عليَّ أفلامهم ومنهم من غضب مني لأنني قلت له الحقيقة!!

□ هل تعتقدين أن الجيل الجديد من السينمائيين لديه حساسية من النقد؟

ــ النقد الذي لا يضع البديل ليس نقداً! والذي ينقد دون أن يقول لماذا أيضاً يتجاوز حدود الأعراف النقدية. فأنا عندما أنتقد لا أنتقد لمجرد النقد، وإنما لأنني تشبعّت عبر ممارستي بمقاييس ومفاهيم وأعراف فنية.

□ هل كان جيلك لديه حساسية من النقد؟!

ــ أولاً يجب أن تعلم أن النقاد في وقتنا كانوا من السياسيين ومن الكتّاب، وأسماؤهم تعد من أعمدة أساطين الثقافة في مصر، ولهم مؤلفات في كل مناحي الحياة ومنها الفن، مما كان يعطي الأعمال الفنية نوعاً من الحيوية والجدية بسبب النقد والتحليل.

□ ألا تعتقدين أن الاهتمام بالسينما قد أصبح الآن أقل إذا ما قورن بأيامكم؟!

ــ أيامكم!! ماذا تعني بأيامكم؟! فأنا مازلت أعيش أيامي معكم فأيامي هي أيامكم أيضاً، لكن مع ذلك، قطعاً إن التلفزيون قد أخذ الشيء الكثير من الاهتمام بصناعة السينما،

وهذه الظاهرة ليست عندنا فقط، وإنما في العالم كله. وإني كثيراً ما كنت أتساءل لماذا لا أعطي التلفزيون مثلما كنت أعطي السينما؟! وبما أن وسائل الإعلام قد تطورت، وبما أن الناس سيشاهدونني على التلفزيون بشكل أوسع، فلماذا لا أتعامل مع هذا التطور الجديد؟!

ومثلما كنا نعطي فناً من الوزن الثقيل فنياً في السينما، نستطيع أيضاً أن ننتج أعمالاً تلفزيونية بنفس المستوى. ولهذا وجدت نفسي أجيب عن السؤال بأن أقدمت على بعض الأعمال التلفزيونية.

□ وكيف كانت التجربة التلفزيونية؟!

ـ والله في السينما كان الفنان يتهيب عندما يدخل في كل تجربة جديدة، وكان الفنان يعيش في حالة اضطراب ويتساءل: هل سيستقبل الناس عمله بالترحاب؟ هل. وهل. وهل؟!

□ كيف؟!

ـ يعني ممكن أكون أنا محظوظة جداً إذ بدأت العمل التلفزيوني باقتباس من أعمال مسرحية كنت على ثقة من نجاحها لأنني قد تعايشت معها بكل إحساسي.

□ وماذا كانت النتيجة؟ وهل ستستمرين بالإنتاج التلفزيوني؟

ـ النتيجة أن السينمائيين قد هاجموني وغضبوا مني جداً،

والبعض منهم اعتبرني أقف مع التلفزيون على حساب السينما! ولم أردّ على ذلك لأنني كنت في لندن وشهدت مسرحيات كثيرة في التلفزيون كان يقوم بأدائها كبار الممثلين السينمائيين هناك، وهذا الذي شجعني وجعلني أؤمن بأن التلفزيون يستطيع أن يقول أشياء كثيرة قد تعجز السينما عن قولها.

□ هل وجدت اختلافاً في الكلمة التي تقال في التلفزيون أو المشهد المعدّ تلفزيونياً عنها في السينما؟!

ــ بالطبع، التمثيل التلفزيوني أو المسرحية التلفزيونية تجمع بين المسرح والسينما معاً، يعني على الممثل أن يضع في اعتباره أن الكاميرا تقترب منه جداً وتلتقط لوجهه أدق التفاصيل، فتكون لديه القدرة على التعبير المتواصل بدون توقف أو قطع، كما في المسرح، يستطيع الممثل أن يمتد بالمشهد أو المسرحية في حالة انفعال متصل بالحدث الذي يؤديه.

□ أستاذة فاتن، قلت إنك اخترت التجربة التلفزيونية بسبب انفعالك بالمسرحيات التي قُدمت إليك متلفزة، فهل معنى ذلك أن الأستاذة فاتن حمامة قد حنّت لأيام المعهد العالي للفنون المسرحية الذي أتممت فيه دراستك؟

ــ لم أتمم فيه دراستي، وإنما قضيت فيه سنتين ولم أتخرج منه!!

□ **أليس غريباً أنك لم تعملي بالمسرح نهائياً؟!**

ــ إطلاقاً!

□ **لماذا؟**

ــ يمكن بسبب الخوف، أنا أخاف عندما أقف على خشبة المسرح.

□ **قد يكون خوف أيام الدخول والانسجام في الدور فقط، كما يحدث لك في السينما؟!**

ــ لا، أنا ما زلت أخاف أمام الكاميرا أول أيام التصوير فقط، أما في المسرح فأعتقد أن هذا سيسبب لي إزعاجاً ما بعده إزعاج. يمكن لا أستطيع النوم لمدة شهرين لو كنت أعرف أنني سأظهر على خشبة المسرح وأمام الجماهير.

□ **يعني المواجهة مع الجماهير!!..**

ــ مقاطعة: أنا لا أستطيع مواجهة الجماهير!! لا أقدر على ذلك.

□ **أعرف أن لك تجربة وقفتِ فيها على المسرح، وقد صفّق لك الجمهور طويلاً، في تجربة الاحتفال بذكرى أمير الشعراء أحمد شوقي.**

ــ لا، لا، هذه تجربة لها خصوصيتها، إذ كان المسرح ضيّقاً جداً، وفي نفس الوقت كان عدد المتفرجين محدوداً، ومعظمهم من الأدباء والشعراء ورجال الفكر والسياسة.

□ لقد أثارت تلك التجربة جدلاً حول قدرة فاتن حمامة على إلقاء الشعر.

ـ الحمد لله (عدّت على خير)، لكنني مصرة على أن النجاح في تلك الأمسية كان بسبب الشعر نفسه الذي كان قد كُتب بطريقة غنائية، فكان من السهل جداً أن يصل للناس ببساطة. وعلى كل حال هذه محاولة قدمتها على المسرح منذ مدة طويلة ولم يُتح لي تكرارها مرة أخرى. ولا أعتقد أن إلقاء الشعر مسألة مستعصية أو صعبة على النجم السينمائي، فالسير لورانس أوليفييه، كان من أبدع وأروع من يُلقي الشعر الشكسبيري، وكذلك الفنان العظيم أورسون ويلز الذي يُعد من أفضل الذين يلقون الشعر.

□ هل تعتقدين أن إلقاء الشعر من الممكن أن يأخذ مكانه على المسارح ويصبح له نجوم؟

ـ والله من الممكن أن يحدث ذلك، وقد قرأت رأياً للأستاذ عزيز عيد أنه يحبذ الإلقاء بالطريقة السهلة والبسيطة. وهناك من يقول إن الشعر يجب أن يُلقى كما كتبه الشاعر، يعني ينحو منحى واقعياً بعيداً عن التمثيل، أما أنا فأعتقد أن البساطة والإحساس بالكلام أهم دعائم الوصول إلى وجدان المستمع. وأنا من خلال تجربتي الوحيدة في إلقاء شعر شوقي كنت سعيدة جداً، وقمت أيضاً بعملية إحصاء للأطفال ممن كانوا يتفرجون على مسرحية شوقي التي كنت ألقيها في التلفزيون وتوجهت إليهم بالسؤال عما إذا كانوا قد شعروا بالضيق أو

الملل؟ ومعظمهم أجابوا بالنفي وكانوا سعداء بالأشعار وبالإلقاء.

□ هل ما زلت تهتمّين بآراء الصغار في كل ما تقدمينه؟!

ــ هذا مهم جداً. لأن الصغار لا يكذبون ولا يجاملون، ويقولون الحقيقة بدون لف ولا دوران.

□ هل أرجع اهتمامك برأي الأطفال في أعمالك إلى أنك بدأت العمل وأنت طفلة، ووقفت أمام الأستاذ محمد عبد الوهاب؟

ــ لا أدري، فربما تكون هذه مسألة مرتبطة عندي بالعقل الباطن، لكن الحقيقة أن وقوفي مع عبد الوهاب كما قلت لم يكن بتلك الرهبة، لأنني لم أكن في تلك السن أُمثل، وإنما كنت أتصرف بطبيعية وتلقائية.

ربما لأن طبيعتي في الحياة منذ الصغر كانت تسير على هذا المنوال الطبيعي، فأنا عندما أعود من المدرسة، أقف على المنضدة وأُلقي خطبة وأقوم بتقليد المدرسين والمدرسات، وبعد مشاهدتي لأي فيلم كنت أقوم في اليوم التالي بتقليد معظم الممثلين والممثلات، لذلك لما وقفت أمام الكاميرا لأول مرة كنت طبيعية جداً.

□ ألا تذكرين بعض الصعوبات التي مررت بها آنذاك؟!

ــ بالعكس، فقد كانت من ألطف الأيام، ودعني أروي لك هذه الحكاية التي ما زال البعض ممن عاشوها يتندرون بها:

أذكر أن الأستاذ عبد الوهاب قد ضحك عندما كنت أنا أمثل، فما كان مني إلا أن أظهرت انزعاجي ووضعت يدي على خصري وتوجهت نحو المخرج وقلت له: «من فضلك.. أطرد محمد عبد الوهاب بره لأنه يضحك!!».

.. فما كان من العاملين جميعاً في الاستوديو إلا أن ضجوا جميعاً بالضحك، ووجدت نفسي أضحك معهم!!

□ □ □

فتحي رضوان

منذ بدايات منتصف القرن الماضي، تقيّض لفتحي رضوان أن يلعب دوراً هاماً، وفعالاً في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة، إذ يُعزى إليه الفضل في تأسيس معظم المؤسسات التي اطلعت بالنهوض والتجديد بكافة مرافق فنون الثقافة، وبكل أشكالها وتنوعاتها، حينما أنيطت به مهمة إنشاء وزارة الإرشاد في إبان قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ في مصر. . بل منذ أيامها الأولى.

عندما التقيته عام ١٩٦٨ في مكتبه في القاهرة كان قد تقاعد من كل المهام الرسمية، وعاد لممارسة المحاماة. . وفي أثناء وضع المحاور والمنطلقات التي سأتناولها بالحوار معه، كنت في حيرة من أمري: ففتحي رضوان، رغم أن له العديد من المؤلفات المتنوعة، ما بين كتابة السير والمسرحيات والقصص والبحوث، إلا أن الأدباء لا يصنفونهُ كأديب، وينظرون إليه باعتباره من رجال السياسة، بينما يتعامل معه أهل السياسة باعتباره من الأدباء!

أمام صعوبة هذه المعادلة، كان لا بد لي من الخروج من مأزق الحديث عن التخصص في الأدب والثقافة أو السياسة، إلى التحاور معه حول تجربته في شيوع صناعة الثقافة! أقول صناعة الثقافة ـ هنا ـ مجازاً باعتبار أن فتحي رضوان قد جعل من فنون الثقافة في العقد الأول من منتصف القرن الماضي، تمور في حركة، هي أقرب ما تكون إلى ورشة عمل، حيث كانت المطابع ـ في مصر ـ تطبع كتاباً في كل ست ساعات، وفرق الفنون الشعبية صارت تجوب الآفاق العالمية، وتلقى إعجاب العالم في مختلف القارات، أنشئت العشرات من الفرق المسرحية في تلك الحقبة، وكذلك نشطت حركة صناعة السينما بشكل غير مسبوق، كما أنشئت معاهد لفنون السينما والباليه، والموسيقى، وغيرها من المعاهد الفنية الأخرى، وتم تنظيم المتاحف، ودور الآثار، بعدما كانت عرضة للاهمال، فضلاً عما كانت تقوم به الإذاعة من دور كبير وعظيم في التأثير على الرأي العام المحلي والعالمي.

والعرب ـ من غير المصريين ـ ممن عايشوا تلك المرحلة، يدركون كيف كان تأثير دور الثقافة والفنون والإذاعة المصرية عليهم!!.. بل إن ذلك التأثير قد شمل العديد من بلدان آسيا وأفريقيا.

وفي الأيام الأولى لقيام الثورة المصرية، كان فتحي رضوان سجيناً سياسياً، وقد أطلق سراحه في الأسبوع الأول من قيامها، حيث أُنيطت به مباشرة المهام الثقافية والإعلامية. وسألته:

□ **كيف حدث ذلك يا أستاذ فتحي؟!**

ــ اعتقلت في ٢٦ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٥٢ بدون أي اتهام، لكن الأحكام العرفية التي أعلنت أثناء حريق القاهرة الذي لا علاقة لي به من قريب أو بعيد، جعلت رئيس الوزراء علي ماهر يصدر أمراً شفوياً باعتقالي!!

ولما سمعت بيان الثورة في يوم ٢٣ تموز/يوليو عن طريق الراديو، قفزت فرحاً، وأيقظت زملائي في الحجرة في المعتقل ـ أذكر منهم يوسف حلمي، وسعد كامل ـ وبعد يومين أخبرني الضابط أن أكون مستعداً للخروج، إذ إن هناك طائرة خاصة مجهّزة لنقلي إلى منطقة بوكلى بالرمل في الإسكندرية، وهو مقر رجال الثورة، الذين لم أكن أعرف منهم أحداً سوى أنور السادات، إذ توطدت بينه وبيني المعرفة عندما كنت أترافع عن بعض المتهمين في قضية مقتل أمين عثمان، ولم يكن هو من بين من كنت أترافع عنهم.

□ **وهل أُنيطت بك المهمة الرسمية عندما التقيت برجال الثورة؟!**

ــ لا، المسألة ليست بهذا الشكل! فعلي ماهر باعتباره ظلّ رئيساً للوزراء أثناء قيام الثورة، هو الذي اقترح إطلاق سراحي، لأقوم بدور الوساطة بينه وبين رجال الثورة، ظناً منه بأني على صلة بهم، رغم أن الملك قد أبدى موافقته المبدئية على معظم مطالب الضباط!..

هذا موضوع شرحه يطول، ولكي أعود للإجابة عن سؤالك، فأنا التقيت بعبد الحكيم عامر، وأبديت له تخوفي من وجود علي ماهر رئيساً للوزراء، فهذا الرجل كان ملكياً حتى النخاع، وكان يدبر المؤامرات السياسية ضدّ خصومه وأصدقائه من داخل السرايا عندما كان رئيساً للديوان الملكي، ومستشاراً للملك فاروق!!

فقال لي عبد الحكيم: أريد منك أن تصطحبني لتلتقي بزملائي، وتحدثهم بنفسك عن وجهة نظرك في علي ماهر!

ولما التقيت بهم رحّب بي عبد الناصر بطريقة لافتة، وسألني إذا كنت أتذكره؟!.. وأضاف: أنا جمال عبد الناصر كنت في «مصر الفتاة» وكنت أنت يا أستاذ فتحي أستاذنا ورئيسنا. ثم تحدثت إليهم عن المهمة التي جئتهم من أجلها، وبالفعل ما هي إلا فترة وجيزة حتى أطيح علي ماهر، بعدما رشحت لهم بديلاً عنه ليتولى رئاسة الوزارة في تلك الحقبة الحرجة، وهو سليمان حافظ، لأنه كان وطنياً شريفاً منذ أن كان طالباً، وكاد أن يعتلي حبل المشنقة في قضية اغتيال السردار الشهيرة، ثم إنه مارس العديد من الوظائف الحكومية، إضافةً إلى أنه يُعد من رجال القانون، ويقف على قدم وساق مع عبد الرزاق السنهوري.

ورُشّحت بدايةً لوزارة الشؤون الاجتماعية، ووجد البعض أن علاقتي بقطاع العمال قد تشكل خطورة، كما كانوا يتصورون!!

واقترحت أن تُنشأ وزارة للدعاية، إذ لم تكن هناك وزارة للإرشاد أو الإعلام أو الثقافة في مصر، في ذلك الوقت!

وقد اعترض البعض على المسمى فوجدت أن تسمية الإرشاد قريبة إلى تراثنا الإسلامي والعربي.

□ **كيف كانت تصوراتك أثناء تلك الظروف، للدور الذي كانت ستطّلع به وزارة الإرشاد؟!**

ــ انطلقت من مبدأ أن «العملة الجيدة تطرد العملة الرديئة»، فما كانت عليه الحالة الثقافية أنها في غاية السوء، كانت سوقية وفجة، غير موجهة، لا تسمح للإنسان أن يتذوق الفن أو الأدب أو الفنون الجميلة، والإرشاد يعني تنوير الناس بإعطائهم البيانات الصحيحية، وجعلهم مستعدين لتجميل حاضرهم ومستقبلهم، وهذا الدور لا يمكن أن تبلغه ثقافة التسويق والاستهلاك والجهل التي كانت سائدة. كان لا بد من إيجاد ثقافة جيدة تصل إلى الناس عبر وسائط فنية متقنة، تساهم فيها العقول النيّرة، فتأخذ لها مسارات تصب كلها في وجدان الإنسان المتلقي.

□ **وهل تعتبر نفسك نجحت في مهمتك؟!**

ــ كانت مهمتي أن أؤسس وزارة من العدم!! ولم تكن لدي الكوادر البشرية التي أستطيع من خلالها أن أحقق ما تطمح إليه البلاد من وعي ثقافي، فمن المضحك المبكي، أن أديباً كيحيى حقي كان يعمل مدير إدارة التجارة الداخلية بوزارة التجارة والصناعة!! ونجيب محفوظ كان موظفاً في مؤسسة القرض الحسن بوزارة الأوقاف؛ وعلي باكير كان مدرساً بوزارة المعارف، وقد جئت بهؤلاء والعشرات، بل والمئات غيرهم، لتبدأ مسيرة وزارة الإرشاد!

□ كيف كان تعاملك مع العقلية العسكرية وأنت مدني؟!!

ـ الواقع أن الصراع كان قوياً سواء داخل مجلس قيادة الثورة أو خارجه، كان البعض منهم يعتقد أن يكون رأس الهرم في الثقافة والدعاية والإعلام، هو الذي سيصبح الرجل الأول عند الجماهير. من هنا كان الصراع!!

فعلى سبيل المثال، أنا طلبت ضم مصلحة الآثار ومصلحة السياحة والفنون الجميلة إلى وزارة الإرشاد، وإذا بالعقبات والدسائس والأكاذيب تحيط بي من كل جانب.. لكن بصراحة أقول: إن وقوف عبد الناصر إلى جانب هذه الوزارة هو الذي جعلها تأخذ دورها الريادي.

وأروي لك هذه القصة:

«في إحدى المرات أهديت لأعضاء مجلس الوزراء، من إصدارات وزارة الإرشاد كتاباً، وتشجيعاً للقراءة جعلنا سعره خمسة قروش، وإذا بأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة يقول لي ونحن في الاجتماع: يا فتحي أنت بتنفخ في قربة مقطوعة!!، الناس في مصر لا تقرأ، ولا تحب القراءة.

فقلت له: لو أن واحداً قرأ الكتاب لكان مكسباً، فرد عبد الناصر قائلاً: اطمئن يا أخ فتحي أنا هو ذلك القارئ الوحيد الذي سيقرأ ذلك الكتاب بكل سعادة.

وكان الكتاب يتناول شخصية (تاليران) وقد ترجمه محمد بدران،

وفي الجلسة الثانية من مجلس الوزراء بعد أسبوع قال لي عبد الناصر:

أما أنت يا فتحي، سهّرتني للصبح.. وتاليران ده أنا ما اعرفش عنه أي حاجة.. وأضاف: وين بقى اللي بيقول ماحدش يقرا في الشعب المصري؟!.. وكان عضو مجلس قيادة الثورة المعترض على طباعة الكتاب حاضراً..»!

□ **هل معنى ذلك أن عبد الناصر كان قارئاً؟**

ــ ما رأيك لو قلت أنه أنشأ وزارة الثقافة مصغّرة أثناء إعداده لتنظيم الضباط الأحرار!!

□ **كيف؟!**

ــ أقول لك: لقد عهد إلى الضابط أمين شاكر للقيام بترجمة العديد من الكتب السياسية، وكانت تُطبع على الستانسل، وتوزع على الضباط!!

أو تعرف أن تلك الكتب أعادت طبعها دار المعارف في سلسلة «اخترنا لك».

□ **نعود إلى الصعوبات التي كنت تواجهها في عملك؟!**

ــ هي صعوبات وبس..!! إنها معارك طاحنة!! اعطيك نموذجاً صغيراً منها: صرّحت يوماً بأن وزارة الإرشاد تقوم مقام وزارات الشؤون الاجتماعية، والعمل، والصحة، والأوقاف،

والمعارف، بل وتقوم مقام الأزهر. وقلت إن الإرشاد تجمع هذه الأجهزة الموجودة فعلاً، ولكن لا تؤدي دورها كما يجب!! فقامت عليّ الدنيا ولم تقعد!

أما المعركة التي نشبت بيني وبين أحد وزراء الزراعة، فحدّث عنها ولا حرج.. لأنني طالبت بضم المتحف الزراعي لوزارة الإرشاد، فهذا المتحف لا يزوره أحد، وأرى أن من مهامي أن أجعله ـ أي المتحف ـ قبلة للدارسين والزوار، والمهتمين بتاريخ الزراعة الثري جداً في مصر.

والشيء نفسه وأكثر منه حدث عندما حاولت ضمّ المتحف المصري للوزارة، فهذا المتحف العظيم كان عبارة عن حطام من الأحجار، مع أنه كان يضم روائع فنية لكل واحدة منها قصة، وكان واجبي أن أجعل هذه الأحجار المهملة تنطق محدّثة عن نفسها!

وقلت لأركان قيادة الأزهر: بدلاً من اقامة السرادق هنا وهناك للحديث المباشر والساذج عن الدين الإسلامي، لم لا تقوم وزارة الإرشاد بإنتاج أفلام تسجيلية، ومسرحيات تتضمن الأخلاق النبيلة، وتحثّ على مكارم الأخلاق بأساليب مبدعة ورائعة، بعيداً عن هذه السذاجة التي يقوم بها المشايخ في المدن والقرى.

وفي إحدى المرات قال لي عبد الناصر: يا فتحي البعض يتصور أنك تشتغل لحساب إسرائيل، وأخذت أفكر في ما قاله عبد الناصر فتبين لي أن الحرب ضدّي قد اتخذت وسائل قذرة مليئة

بالدسائس والأكاذيب، فما قاله عبد الناصر لم يكن صادراً عن فراغ، لأنني جئت بـ(فرانز ليتشاور) لإنشاء أوركسترا القاهرة السمفوني، وإذا بالتقارير السرية ضدّي تقول إن ليتشاور هذا، قائد الأوركسترا الوحيد في العالم الذي قبل أن يعزف سيمفونية «إسرائيل» المستوحاة من التوراة، وإنه يهودي متعصب، وبالتالي وجدت نفسي معرّضاً لتهمة الخيانة العظمى، مع أن قصة هذا الموسيقي قد بدأت على الشكل التالي:

كان حسين فوزي وكيلاً للوزارة معي وهو متخصص في الموسيقى، فطلبت منه أن يختار من يراه مناسباً للإنشاء والإشراف على الأوركسترا السيمفوني في مصر، فحدد هو الاسم، وتقدمت الوزارة بطلب عن طريق الخارجية المصرية، مع إخطار وزارة الداخلية، حيث كتبنا إليهما عن حاجتنا لقائد أوركسترا تتوفر فيه المواصفات التي حددها الدكتور حسين فوزي، فأرسلت وزارة الخارجية بهذه المواصفات المطلوبة إلى وزارة الثقافة النمساوية، التي قامت بدورها بترشيح (ليتشاور) باعتباره أنشأ العديد من الأوركسترات في العالم، فجاء الرجل إلى مصر وعمل فيها بإخلاص، وتبيّن - في ما بعد - بعد التحريات الداخلية، أن الرجل مسيحي كاثوليكي، وكذلك هي زوجته!!

□ **هل ترتب على هذه القضية ما يمس موقعك في الوزارة؟!**

ــ لاحظت أن هناك من زرع الخوف والوساوس عند عبد الناصر

عن فتحي رضوان، إذ وضعوني في موقف محرج عندما صارت الوحدة بين مصر وسورية، حيث كان لي رأي مخالف لخطة العمل الثقافي والإعلامي، لا تقوم على الحماسة والجعجعة والتهريج السياسي، فبعضهم كان يفهم الدعاية بشكل مغاير لطبيعتها، فأنا أرى التوجه الثقافي والإعلامي ينطلق من أن: الرسام يرسم لوحته، والمؤرخ يكتب صفحته، والأديب يصوغ بلغة جيدة قصته، والموسيقي والملحن يعبر عن مقطوعته، وهكذا دواليك بشأن بقية النشاطات الإبداعية، كالمسرح والسينما والفنون الشعبية الجامدة والمتحركة.

لكن البعض فضّل الجعجعة عبر الإذاعة والصراخ عبر الخطب! وبكل أسف فإن هذا أدى إلى أن كل الجهود الجادة قد ذهبت أدراج الرياح!!

وكانت النتيجة عجيناً بلا طحن، وصراخاً بلا نفع.

□ **هناك من أشار إلى أن حقبة الخمسينيات والستينيات وحتى السبعينيات من الناحية الإعلامية، كانت ترتكز على الدعاية القائمة على أسلوب (غوبلز) يعني أكذب وكرر الكذب، حتى يصدقك الناس!! بل غالى البعض منهم بالقول: حتى تصدق نفسك!!**

ـ أولاً: أنا لا أدافع عن غوبلز، ولكن هذه المقولة نسبها أعداؤه إليه..!! غوبلز لا يكذب. لأنه ليس بحاجة إلى الكذب.. تشرشل هو الذي كان يكذب، ألمانيا كانت منتصرة، ومكتسحة بدون الحاجة إلى الدعاية الكاذبة، ولكن الذين لجأوا إلى

الكذب، وجعلوا من النازية ـ وأنا هنا لا أدافع عن النازية ـ وكأنها ضدّ الإنسانية، وضدّ الإسلام، إنما هم الإنكليز.

غوبلز كانت لديه دعاية تعتمد على الحقائق، ولهذا كانت مؤثرة في نفوس الناس، لقد عملت دعاية غوبلز فيلماً عن الجرائم التي ارتكبها الإنكليز في جنوب أفريقيا أثناء حرب البوير، وهذا الفيلم اكتسب تعاطف الناس.

مرة أخرى أنا لا أدافع عن غوبلز، لكن أسلوبه في الدعاية كان يعتمد على إبراز الحقائق من خلال الفن، والأدب، والعلم، والتاريخ، فلماذا يحتاج مثل هذا العقل إلى الكذب؟!

ولذلك أنا في عملي لم أستعن بالمرتزقة من ذوي الأخلاق المنحطة ممن امتهنوا الفنون والكتابة، والصحافة، وما إلى ذلك، إنما حاولت أن أقدم إعلاماً رفيعاً وثقافة ملتزمة، وفنوناً معبرة عن وجدان الشعب المصري، فمصر ليست بحاجة للتبذل والتهتك كي تروج لنفسها وتدافع عن قضاياها! رغم أن خصومي، سواء كانوا في الداخل أو الخارج، كانوا يترصدون ما يعتقدونه كذباً في أعمال وزارتي، إلاّ أنهم قد عجزوا، فلجأوا إلى التهويش، والتآمر القذر، وثورة مصر بكل معطياتها سارت بالإنسان المصري في منعطفات خطيرة.. لو اعتمدت فيها على الكذب، لانهارت منذ زمن طويل!!

□ **هل لديك خطة عمل اعتمدت فيها على استمزاج آراء الخبرات، وبدأت بتنفيذها؟!**

ـ نعم، وإلا فماذا تسمي مطالبتي بجمع المتاحف المصرية من مصلحة الآثار، ومن وزارة الزراعة، ومن وزارة التربية، وغيرها من كل ما له علاقة بالفن والأدب، والتاريخ والحضارة، أن تكون تحت إشراف وزارة الإرشاد؟! أليس في هذا ما يدل على أن وراء ذلك التخطيط عقولاً تفكر وتستنبط، لأنها تعمل من أجل هدف حضاري كبير!

□ ما أشرت إليه يبدو أنك تسعى من خلاله لتحقيق أهداف نبيلة، فلماذا كانت هذه العراقيل توضع في طريقك؟!

ـ وزارة الإرشاد التي سميتها في ما بعد وزارة الإرشاد القومي، والتي أصبحت وزارة الثقافة والإرشاد القومي.. هذه الوزارة وُلدت على يدي وهي غير مرغوب فيها!! فهناك من يرى أنني سأديرها لخدمة التيارات الشيوعية، مع أنني ـ كما يعرف الجميع ـ لست شيوعياً، وهناك من اتهمني بالرجل الذي تولى المرافعة عن مجرمي الاغتيالات السياسية، وهناك من اتهمني بالفوضى، ووصلت بهم الحال أن نعتوني بـ«خريج السجون»! لكن عبد الناصر رغم أنه تعهّد بمساعدتي في عملي، ودعمي بمواصلة مسيرة الوزارة.. قال لي يوماً:

«أريد يا فتحي أن أقول لك شيئاً هاماً، أنا مش فاضي لمشاكل هذه الوزارة فإما أن تتولاها أنت، وتواجه بمفردك كل التحديات، وإما أن ألغيها»!

بعد ذلك أدركت لماذا نُحّيت عن وزارة الإرشاد، واختير لها

محمد فؤاد جلال المعروف بتبعيته المطلقة لجمال عبد الناصر، مما أدى إلى صراع بين أعضاء مجلس قيادة الثورة أنفسهم على هذه الوزارة. . حتى انتصر صلاح سالم وجناحه، الذي جعل من كافة وسائل الدعاية والثقافة والإعلام تتفرغ للحديث عن صلاح سالم نفسه، الذي ما أن كان يغادر مصر في مهمة إلا وكانت تصحبه كل قيادات أجهزة الوزارة!

وبعدما أدرك عبد الناصر خطورة الموقف، عدتُ للوزارة ثانية، ووجدتها في حالة يُرثى لها، كانت أشبه ما تكون بهيكل عظمي يتكون من جمجمة وقدمين، وليس هناك ما يصل بينهما، ولا حتى سلك واحد!

كان هناك وكيل وزارة واحد فقط، وليس فيها قسم لشؤون الموظفين، ولا أي جهاز مشابه للأجهزة الموجودة في بقية الوزارات، فكما قلت كان صلاح سالم عندما يسافر، يحمل الوزارة كلها معه، ومعظم خدماتها كانت مقتصرة على نشر صوره وإذاعة أحاديثه، وإبراز تصريحاته، فضلاً عن صوره التي ملأت كل المطبوعات!

□ **ألهذا السبب وجدت القيادة المصرية ـ أو لنقل عبد الناصر ـ أنه لا بد من إنشاء مصلحة الاستعلامات، ومجلس أعلى للفنون والآداب، وكان ارتباط هذين الجهازين مباشراً بالرئاسة. . رغم أن نشاطهما يعد من اختصاصات وزارة الثقافة والإرشاد؟!**

ــ ببساطة أقول لك: عبد الناصر رجل كان كثير المشاكل، وكان

في الوقت نفسه عاشقاً للمعرفة والثقافة والقراءة، فوجد في هذين الجهازين منفذاً مباشراً يلبي بعض طموحاته، تاركاً العبء الأثقل بالنهوض بالفنون والثقافة على كاهل فتحي رضوان في وزارة الثقافة والإرشاد!!

وبالفعل فقد أنشئت أجهزة ثقافية عديدة حققت لمصر إنجازات كبيرة، لأن بعض من تولوا هذه الوزارة، كصلاح سالم وسواه، كانوا يتصورون أن الثقافة والإعلام، والتهريج لهم، ولما فوجئوا بعد عودتي لها ثانية، بخطتي القائمة على إنشاء المعاهد كصروح تسهم في تفريخ الكوادر المبدعة، للنهوض بالمجتمع المصري، مجتمع الثورة الجديد، لم يجدوا بداً من أن يقترحوا على عبد الناصر أن يعمل على تأسيس المجلس الأعلى للفنون والآداب ومصلحة الاستعلامات، وكان وراء هذين الاقتراحين عبد القادر حاتم، ويوسف السباعي، حيث تولى كل منهما منصباً في هاتين المؤسستين، محتجين بأن لهما الأولوية فيهما باعتبارهما من العسكر، ويظنان أنهما الأكثر حرصاً على الثورة من سواهما. وأنا قبلت بهذا التنافس الشريف، واعتبرته سباقاً جميلاً نحو مصلحة الوطن.

□ هل أدى وجود مؤسسات ثقافية وإعلامية أخرى في مصر إلى جانب وزارة الثقافة والإرشاد إلى تقليص صلاحيات تلك الوزاة؟!

ــ هو لم يؤد إلى تقلصها، لكن الذين كانوا يروجون لأنفسهم، قد ازدادوا وتمادوا من خلال تلك المؤسسات وأذكر في إحدى

المرات أن عبد الناصر سألني: هل وجهت لك الدعوة لكي تأتي معنا إلى القناطر؟! فأجبته بأنني لم اتسلم أي دعوة!!

فقال وهو في غاية الدهشة: «إزاي؟! ده نهرو رايح إلى القناطر ليلقي محاضرة!! وأنت حسب معلوماتي، عندك كتاب عن حياة نهرو، فكيف لا تكون من أول المدعوين؟!».

صححت للرئيس المعلومة، وقلت له: أنا ألفت كتاباً عن غاندي وليس عن نهرو..

فقال: مش مهم!! غاندي أو نهرو، المهم أن تكون أول الموجودين!!

□ **دخلت لوزارة الإرشاد القومي تحمل الكثير من الطموحات، وخرجت منها بعد سنوات، فكم هي نسبة الطموحات التي حققتها؟**

ـ حققت الكثير، إذ أصبحت الثقافة على خريطة الحياة المصرية مختلفة تماماً عما كانت عليه!! ولم يكن في حسابي في هذا الحوار أن أقوم بإحصائية للمنجزات، فهي كثيرة!

□ **لماذا تركت الاستمرار بالعمل بالوزارة، بعدما أطلق عليها اسم «وزارة الثقافة»؟**

ـ هناك أسباب سياسية كثيرة، لا مجال للإتيان على ذكرها. وكل ما استطيع قوله بهذا الصدد هو أن أردد مقولة (فولتير) عن الحرية.. وهي: «الحرية، سواء أنك عملت ضدها، أو من أجلها، إنما أنت تتعامل معها».

□ ما هي البذور الأولى لخلفيتك الأدبية والفكرية والثقافية؟

ـ إنها والدتي!! التي كانت مكتبتها تحتوي على ثلاث مجموعات من الكتب، الأولى: تراثية دينية، وأهمها مجموعات جرجي زيدان الكاملة، والثانية: كتب مترجمة لأهم التراث العالمي. والثالثة: هي احتفاظها بأعداد جريدة اللواء التي كان يصدرها مصطفى كامل. لقد تفتحت بداياتي، وأنا برعم صغير تحت رعاية والدتي القارئة، بل والتي كانت من أشد الناس حماسة لمصطفى كامل، وبعد سنوات أصبحت من المتحمسات لسعد زغلول.

والدتي هي المنبع الأول الذي سقاني رحيق الثقافة والوطنية.

□ هل الأستاذ فتحي رضوان يعدّ نفسه أديباً بالدرجة الأولى أم سياسياً؟!

ـ في واقع الحال، أنا تخرجت من الجامعة محامياً، ولم أمارس المحاماة إلاّ في حالات نادرة لاعتقادي بجدوى وأهمية العمل السياسي الذي يجب أن نتفرغ له تماماً، فأصبحت عضواً عاملاً في حزب «مصر الفتاة» منذ عام ١٩٣٣ وحتى عام ١٩٤٢ حين انقطعت صلتي به نهائياً، وقد اعتقلت عدة مرات بسبب نشاطي في العمل السياسي.

لكنني في أثناء مسيرتي بالعمل السياسي لم أتوقف عن إنجاز العديد من الأعمال الأدبية والعلمية. أقول العلمية لأنني كتبت

وأنا في أسيوط في الثانوية العامة مقالاً عن أصل الأنواع في نظرية تشارلز داروين، وبالطبع لكي أكتب مقالة كهذه، لا بد لي من أن أقرأ عنها في العديد من المصادر ولا سيما ما كان يكتبه إسماعيل مظهر، كما كنت استعين بدائرة معارف فريد وجدي. استمرت مسيرتي في الكتابة حتى هذه الساعة لتصل كتبي إلى ما يقرب من الخمسين.

□ أستاذ فتحي رضوان، كان بودي لو أننا جئنا على بعض معطياتك الأدبية والثقافية، لكن تجربتك في صناعة الثقافة أثناء توليك المناصب الرسمية قد فرضت نفسها في هذا الحوار فشكراً!!

□ □ □

فريـد الأطـرش

في أواسط الستينيات كان فريد الأطرش واحداً من ألمع نجوم الغناء الاستعراضي في السينما العربية، وكان مقلاً في التعاطي مع أجهزة الإعلام.

وقد بذلتُ جهداً لتسجيل لقاء إذاعي معه، فكان يتعلل بكثرة أعماله، ويعدني بأنه سيفعل عندما يكون مهيأً لذلك.

فلجأت إلى الأستاذ حمد الرجيب الذي كان سفيراً للكويت في القاهرة في ذلك الوقت وكانت تربطه صلات طيبة بعدد كبير من الأدباء والفنانين، فمهد لي ذلك سبيل الالتقاء بفريد الأطرش. وقد حرصتُ على ألا تكون أسئلتي نمطية، كي لا تكون إجاباته على نفس النمط.

□ □ □

□ **إلى أي مدى من الصراحة أستطيع أن أتوجه بأسئلتي إليك؟**

ـ اطرح كل ما لديك وما تخافش مني.

□ المسألة ليست خوفاً منك!! ولكنني أريد أن أقدم فريد الأطرش من خلال رؤية غير نمطية، يعني أريد الناس تعرف عنك أشياء لم يسبق لهم أن عرفوها عن شخصيتك!!

ـ يا سيدي أنت عليك السؤال، وأنا عليَّ الإجابة!!

□ أيضاً ليس هذا هدفي!!

ـ الله!! أمال انت جاييني ليه؟!

□ من أجل تقديم فريد الأطرش بشكل مختلف عن كل ما هو معروف عنه!!

ـ شوف يا سيدي، أنا أريحك: الكل عارف أنني من أسرة عريقة في سورية، والكل عارف أنني أحد أمراء هذه الأسرة، ولأسباب سياسية شرحها يطول، اضطرت والدتي أن تفر من سورية إلى القاهرة مع أطفالها! كنا ثلاثة، أخي فؤاد، وأختي (أسمهان)، وأنا. جئنا إلى القاهرة طالبين اللجوء، وفعلاً تمت الاتصالات على أعلى المستويات، ومُنحنا اللجوء بأمر من سعد باشا زغلول!! أظن هذه البداية جديدة عليك؟!

□ يعني دخلت القاهرة لاجئاً سياسياً؟!

ـ أمال أنا بتكلم هندي؟! أيوه لاجئ سياسي!!

□ **وكيف حدث هذا الانقلاب، من السياسة إلى الفن إذن؟!**

ــ يا سيدي احنا ما كناش سياسيين ولا حاجة، ولكن الظروف السياسية في المنطقة في ذلك الوقت هي التي دفعت بوالدتي للبحث عن ملاذٍ تلجأ إليه هي وأطفالها، فاختارت القاهرة!! آدي كل الحكاية!

□ **نعود إلى الفن!**

ــ ماله الفن؟!

□ **ما هي العوامل التي ساهمت بجعلك فناناً، وكذلك أختك أسمهان قد احترفت الفن هي الأخرى؟!**

ــ إذا أردت أن أوري لك الحواديت كلها احتاج إلى مجلدات!! لكن باختصار أقول لك: إن بذور الفن كانت مغروسة أساساً في العائلة، فوالدتي كانت تعزف على آلة العود، وأسمهان كما يعرف الجميع كانت تتمتع بحنجرة نادرة، وأنا من صغري أجيد العزف على العود، وأقوم بالغناء.

□ **هل كانت الطريق ممهدة لكم في القاهرة؟!**

ــ أبداً. كانت مسدودة ومليئة بالأشواك، والقطران كمان!!

□ **كيف عبرتم إلى طريق الشهرة إذن؟!**

- شوف يا سيدي، بعدما ضاقت بنا الحال صرت أمارس الكثير من الأعمال البسيطة، أوزع إعلانات في الشوارع، أركب

العجلة، وأقوم بإيصال حاجيات من مكان إلى آخر، كذلك أخي فؤاد صار يعمل هو الآخر بمهن متواضعة، أما أسمهان، فكانت تساعد والدتها في شغل البيت.. إلى أن استطعت الوصول إلى السيدة بديعة مصابني، وصرت أقدم بعض الوصلات في مسرحها، فبدأت الأحوال تتحسن. ومن خلال بديعة مصابني تعرفت إلى الكثير من الفنانين والمشاهير، مما أتاح لي فرصة إبراز مواهبي، ثم توالت الأعمال الفنية التي أوصلتنا إلى فيلم «انتصار الشباب» وكان من بطولتي وبطولة أسمهان بالاشتراك مع يوسف وهبي وأنور وجدي، وعدد كبير من مشاهير الفنانين في ذلك الوقت.

□ **ألا ترى أستاذ فريد أنك اختزلت واختصرت أحداثاً كثيرة لتوصلنا إلى هذه النتيجة بكثافة متناهية؟!**

ــ والله إذا كان في ذهنك سؤال يتعلق بشيء أنا لم أشر إليه، بمقدورك أن تطرحه!

□ **لم تشر إلى نشاط والدتك في ذلك الوقت؟!**

ــ نعم، هي كانت تجيد العزف على العود، لكن لم تكن محترفة فن، كانت لها علاقات وصداقات مع شرائح عديدة في المجتمع حيث كان الجميع يعاملها كأميرة من عائلة سلطان باشا الأطرش، وهو البطل الذي وقف في وجه الاستعمار الفرنسي، وهي كانت فخورة بهذا الشرف، وكذلك نحن!!

□ **بمناسبة الحديث عن الاستعمار الفرنسي، كثيراً ما**

كانت تُنشر بعض الصور الفوتوغرافية في الصحف لشقيقتكم الراحلة اسمهان وهي تحاور الجنرال ديغول، وغيره من السياسيين الفرنسيين حيناً والبريطانيين حيناً آخر!!.. فهل لك أن تحدثنا عن هذا الموضوع؟

ـ (محتدّاً): أولاً لا يجوز نكء الجراح، لأن مصرع أسمهان جرح لم ولن يندمل إلى آخر العمر، وأسمهان بعدما حصلت على شهرة واسعة، كان عليها أن تقوم بواجبها الوطني حيال وطنها، فكانت تتحرك في محاور الفن من ناحية والسياسة من ناحية أخرى، وهذا أمرٌ طبيعي، لأنها وريثة عائلة مناضلة في مواجهة الاستعمار. وبكل أسف حاول البعض أن يفسر نشاط أسمهان السياسي بتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك من فضلك تقفل على هذا الموضوع!!

□ **أعتذر إذا كنت لم أوفّق في طرح السؤال!!**

ـ العفو!!

□ **أستاذ فريد، نلاحظ أن عبد الوهاب عندما يقوم بتلحين أغنية لأي مطرب أو مطربة، وتلقى تلك الأغنية نجاحاً ملموساً، سرعان ما نجده يقوم بتسجيل تلك الأغنية بصوته مع آلة العود فقط، ثم يدفع بها إلى الأسواق، بحيث يستمتع بها عشاق عبد الوهاب، فلماذا لا نجدك تفعل مثل ذلك مع أن لك ألحاناً لقيت جماهيرية كبيرة، مثل «على الله**

تعود» لوديع الصافي، «وماتقولش كنا وكان» لنازك، و«ياواحشني رد عليّ» لمحرم فؤاد، والعشرات الأخرى من الألحان الناجحة لعدد كبير من المطربين والمطربات أمثال سعاد محمد، وشهرزاد، وصباح، ونور الهدى، وفهد بلان، وغيرهم؟!

ــ أنا عندما أقوم بتلحين أغنية لمطرب أو مطربة، فإنني أصوغ لحنها وفقاً للإمكانات الصوتية الخاصة بذلك الصوت، يعني أنا لا أقوم بتفصيل اللحن على مقاس المطرب أو المطربة، ومقاسي أنا، وعلى سبيل المثال، فإن أغنية «على الله تعود» التي لحنتها لوديع الصافي كانت بالأساس لي، لكن وديع سمعها أثناء البروفات، فطلبها مني، وأنا قبل أن أوافق على أن يقوم وديع بأدائها، أدخلت عليها الكثير من التعديلات التي تتناسب مع خصائصه الوديعية، ولهذا فإن هذا اللحن صار من أغنيات وديع الخالدة وليس من أغنيات فريد الأطرش، إنما من ألحان فريد الأطرش فقط. . فعبد الوهاب يفكر في هذا الأمر تجارياً وليس فنياً، لأن معظم الأغنيات التي لحنها للآخرين، ثم قام هو بغنائها فقدت عنده خصائصها الفنية، فهو لم يكن أفضل من فايزة أحمد في «ست الحبايب»، ولم يكن أفضل من نجاة في «ساكن قصادي»، ولم يكن أفضل من أم كلثوم في «أنت عمري»، ومع ذلك غنى كل هذه الأغنيات معتمداً على سمعته كمطرب وليس كملحن، وعبد الوهاب في «الكرنك» و«الجندول» و«كليوبترا» كان عبد الوهاب المطرب، أما عندما يغني أغنيات لحّنها لآخرين، فإنه يكون عبد الوهاب المقلد. . وأنا لا أعمل ذلك

لأنني لا أريد أن أقلد أحداً، فأنا عندي من أغنياتي ما يكفيني، فلماذا ألجأ إلى أغنيات قمت بتلحينها لأصوات أخرى؟!

□ **بمناسبة الحديث عن أم كلثوم. .**

ـ (مقاطعاً): عارف، عارف. لماذا لم تلحن لأم كلثوم، أليس هذا سؤالك؟!

□ **يعني؟!. .**

ـ شوف يا سيدي أنا ما عرضتش، وهي ماطلبتش، إنما جرت محاولة قام بها مأمون الشناوي علشان ألحن أغنية الربيع لأم كلثوم، لكن محاولته لم تلقَ التشجيع مني ولا منها!! ومع هذا فأغنية «الربيع» أخذت شهرتها أكثر مما لو غنتها أم كلثوم!!

□ **ألاحظ من إجابتك عن السؤال، أن هناك فجوة بينك وبين أم كلثوم؟!**

ـ لا فجوة ولا حاجة، كل ما هنالك أن الأفلام الغنائية الاستعراضية التي عملها فريد الأطرش لقيت نجاحاً منقطع النظير، بينما أفلام الكثير من المطربين الكبار لم تلقَ ربع ذلك النجاح!!

□ **تريد القول أن أفلام أم كلثوم الغنائية لم تلقَ النجاح الذي لقيته أفلام فريد الأطرش؟!**

ـ ليس أفلام أم كلثوم وحدها!!

□ **تقصد أفلام عبد الوهاب الغنائية أيضاً؟!**

ــ وغيرهم وغيرهم.

□ **أستاذ فريد، بات من المتعارف عليه في الوسط الفني أن هناك خصومات صامتة، ولكنها تظهر بشكل أو بآخر بين كبار الفنانين؟!**

ــ مش فاهم؟!

□ **يعني لم نر لك تعاوناً فنياً مع عبد الحليم حافظ، أو نجاة الصغيرة، أو فايزة أحمد، ويقال إن شلة عبد الوهاب لا ترغب بالتعاون مع فريد الأطرش؟!**

ــ أولاً، أنا علاقتي بالأستاذ عبد الوهاب هي من أمتن العلاقات في الوسط الفني، وبيننا مودة ومعزة كبيرة، أما الذين ذكرتهم فلم تأت الصدف لعمل مشترك بيني وبينهم!!

□ **هل حاولت أن تغني إحدى أغنيات عبد الوهاب؟**

ــ أنا بطبعي لا أغني أغنيات غيري، ولكن بالنسبة لعبد الوهاب بالذات، حصل مرة غنيت له أغنية بناءً على رغبة إنسان عزيز علينا إحنا الاثنين، وهو الأمير بدر بن عبد العزيز، الذي وعدني بأنه سيحتفظ بها لنفسه ولا يسمح بنشرها أبداً، وقد صدق الأمير بوعده.

□ **ألاحظ أن صالونات بيتك قد عُلقت فيه صور لعدد من الزعماء والشخصيات السياسية التي ليس بينها وبين القاهرة شيء من المودة، بل إن هناك ما يشبه**

الحرب الإعلامية على البعض منها، فكيف تفسر ذلك؟!

ــ والله السياسة شيء والعلاقات الإنسانية شيء آخر، فالملك حسين أكرمني بوسام الشرف من الدرجة الأولى، وصور الأمراء السعوديين والكويتيين أعلقها لأنهم وقفوا معي في أحلك الظروف!! ثم ما علاقة الصورة بالموقف السياسي؟! أنا رجل فنان وعلاقتي بجميع الناس هي من خلال الفن، وكثيرون قالوا لي: شيل هذه الصور، فرفضت!! ومع ذلك فقد دخل بيتي العديد من المسؤولين المصريين الكبار، ولم يعترضوا على وجود هذه الصور!!

□ **أستاذ فريد، في كل أفلامك يحتل الغناء مكان الصدارة، ألم تحاول أن تمثل دون غناء كما فعل فرانك سيناترا؟!**

ــ حصل!! لكن المحاولة فشلت وتسببت لي بخصومة مع صديقي المخرج هنري بركات!!

□ **ممكن نعرف التفاصيل؟!**

ــ يا سيدي أشار عليَّ بعض الأصدقاء بقراءة قصص لكبار الكتاب المصريين لعلّي أتمكن من اختيار عمل أدبي يصلح لفيلم سينمائي أقوم ببطولته. وفعلاً وقع اختياري على رواية الدكتور طه حسين «دعاء الكروان»، وكلفت الأستاذ هنري بركات بكتابة السيناريو والإخراج، ولما قرأ بركات الرواية تجاهل الموضوع، ولما ألححت عليه قال لي بالحرف الواحد: أولاً، إن المهندس

الزراعي الذي اعتدى على هنادي، هو إنسان نذل تقوده نزواته وشهواته، وهذا لا يتناسب مع شخصيتك، ثانياً، أنت مطرب، والمطرب في العادة لا يكون نذلاً وشريراً وسكيراً ويعتدي على الفتيات البريئات! فقلت له مش مهم أغني، المهم أمثل دور المهندس الزراعي!!.. فكان رد بركات:

هناك ممثلون يستطيعون تأدية هذا الدور أفضل منك، فلماذا أضحي بمطرب استعراضي ناجح لممثل (نص ونص)؟ طبعاً بعد هذا الكلام حصل زعل وخلاف بيني وبين بركات، ولم نتعاون بعدها أبداً، ولكن لما شفت فيلم «دعاء الكروان» بطولة أحمد مظهر والسيدة فاتن حمامة، أدركت أن بركات كان على حق، ولكن بعد فوات الأوان!

□ **أستاذ فريد أنت فنان ينظر إليك الناس من زاويتين: يا أبيض يا أسود؟!**

ـ مش فاهم!!

□ **يعني هناك من يُعجب بك إلى درجة التعصب، وهناك العكس. يعني لا يوجد ما بين معجبيك ومناوئيك حالة من الوسط؟!**

ـ أنا لا أعرف إذا كان ما تقوله صحيحاً أو حقيقياً، ولكنني ألمس إعجاب الناس في كل مكان في العالم الذي أزوره، وأجد أن عدد المعجبين يفوق بآلاف المرات أولئك الذين لا يعجبون بي!!

□ **أستاذ فريد، ما هي فلسفتك في اختيار كلمات أغانيك؟!**

ــ عاوز تقول إيه من هذا السؤال؟!

□ **ما أريد قوله أن في الوقت الذي نجد فيه عبد الوهاب وأم كلثوم يهتمان اهتماماً شديداً باختيار كلمات الأغاني ذات المضامين رفيعة المستوى، فيختارن كلمات لكبار الشعراء أمثال شوقي ورامي وناجي، وغيرهم، نجد فيه الأستاذ فريد الأطرش يختار «يا ريتني منديل في عبّك» أو «يا عوازل فلفلوا»، وهلمّ جراً من هذه الكلمات!!**

ــ (محتداً). أولاً، هناك بعض الأغاني يتم تأليفها خصيصاً لتتناسب مع مشاهد سيناريوهات الأفلام، ومنها تلك الأغاني التي ذكرتها في سؤالك، ثانياً، «يعني تراعيني قيراط أراعيك قيراطين» لعبد الوهاب، كلامها رفيع المستوى جداً؟!! ثم لا تنسى «أول همسة»، و«الربيع»، و«عدت يا يوم مولدي»، و«سألني الليل»، والمئات من الأغنيات الأخرى الناجحة!!

□ **أستاذ فريد بصراحة، إن الذين يعشقون الطرب الأصيل نجدهم يبتعدون عن فريد الأطرش!!**

ــ مش عايزهم!!

□ **أرجو ألا أكون قد ضايقتك؟!**

ــ هي محاكمة ولّا مقابلة؟!

□ **إنما هو لقاء مع فنان كبير له عشاقه الذين يحبون أن يعرفوا أكبر قدر ممكن من المعلومات عن فنانهم.**

ـــ معنى كده إن عندك أسئلة أخرى؟!

□ **قليلة لو سمحت!!**

ـــ اتفضل!!

□ **في فرقة بديعة مصابني التقيت للمرة الأولى بالراقصة سامية جمال، أليس كذلك؟!**

ـــ أنا عارف أنك تريد الوصول من خلال هذا السؤال إلى علاقاتي مع زميلاتي الفنانات، أحب أن أقول لك، الفنانة سامية جمال شبه معتزلة، وهي زوجة صديقي الفنان رشدي أباظة، ولذلك أي حديث عن علاقتي السابقة مش هاجاوب عليه!!

□ **ولا قصة حبك لشادية؟!**

ـــ ولا حاجة!! لأن شادية زوجة صديقي صلاح ذو الفقار، وبلاش نكش في ماضي مالهوش فائدة!!

□ **أستاذ فريد، يدور الحديث عن زيجة سرية لك، وأنت تتكتم عليها، ويقال إن لك منها طفلة؟!**

ـــ وهي من بيت المقدسي، مش كده؟!

□ **هذا الذي يردده الناس!!**

ـــ يا سيدي إذا كانت زيجة سرية كما تقول، وأنا أتكتم عنها،

يبقى كيف عرفها الناس؟!. ثم لماذا إذا كنت متزوجاً لا أعلن هذا الزواج وأخلّي الناس تشوف بنتي المزعومة؟! الكلام ده كله كلام فارغ، وأنا مرتبط بصلة صداقة طيبة بعائلة المقدسي، ويمكن هو ده السبب اللي خلّى البعض يتوهم أشياء لا أساس لها من الصحة!!. عندك أسئلة كمان؟!

□ **يعني لم نتكلم عن بعض التفاصيل الفنية في أعمالك السينمائية؟!**

ـ لا معلش، خلِّ الكلام في الحلقة الثانية!!

□ □ □

كمال الدين حسين

في الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني/يناير لعام ١٩٨٢، التقيت بالسيد كمال الدين حسين، وهو أحد الضباط الأحرار الـ (١٤) الذين قاموا بثورة (٢٣) يوليو، وكان ذلك في الرياض، حيث سجلت له لقاءً طويلاً تحدث فيه بصراحة مطلقة، ووضع النقاط على الحروف حول الكثير من القضايا.

وقبل أن أقوم بتفريغ الشريط، استمع إليه من القائمون على الجريدة التي كنت أكتب فيها، فقيل لي: لا بد من حذف كل ما هو متعلق بأنور السادات، لأنهم ـ أي أصحاب الجريدة ـ من المؤيدين لسياسته. وبالفعل نُشر اللقاء على ثلاث حلقات وبقي الجانب الأهم منه، والذي كان يتناول قضايا كانت ساخنة في حينها، ولم تُنشر للأسف!!

وقد استمعت إلى شريط التسجيل مؤخراً، فوجدت أن المسؤولية التاريخية تلزمنا بنشره، ولا سيما أن السيد كمال الدين حسين

واحد من شهود الثورة المصرية ممن لم يدلوا بدلوهم عبر الفضائيات، ولديه الكثير مما يقوله.

طغيان النفس البشرية:

□ **باعتبارك أحد رجال الثورة، هل لك أن تحدد أهم الأخطاء التي ارتكبت في عهد عبد الناصر؟.. وكذلك في عهد أنور السادات؟!**

ــ من أهم الأخطاء التي ارتكبت، هي أننا قبل أن نعمل على بناء الشعب المصري اقتصادياً وتعليمياً وثقافياً، حتى يكون مهيأً للخطوات الأخرى، للأسف الشديد أخذنا نتفرع باتخاذ خطوات باعدت بيننا وبين هذا الهدف، ودخلنا في معارك لم يكن الشعب المصري مستعداً لها، وكان من نتيجتها هذه الهزائم المتلاحقة التي أدت بنا إلى ما نحن عليه الآن، فالكيان الداخلي هو الأساس الذي يرتكز عليه العمل الخارجي.. فلو كانت مصر قوية من الداخل، لكانت سنداً متيناً لتحقيق الوحدة العربية، ولارتفاع كلمة الإسلام في العالم كله. والسبب الرئيسي في هذا الخطأ هو طغيان النفس البشرية التي تحولت إلى الذات، ونسيت الموضوع.

تصفيق دون هدف!!

□ **ألا تعتقد أن الاتجاه خارج الحدود المصرية كان مطلباً قومياً؟**

ــ أتفق معك، ولكن الأهم من ذلك هو البناء الداخلي، وإعطاء

الحرية والكرامة للإنسان في الداخل حتى يكون له القرار السليم في مصيره، فالوحدة التي تمت مع سورية، إنما تمت بين جمال عبد الناصر والشعب السوري، بيد أن الشعب المصري لم يكن مهيأ لمثل ذلك الحدث وكانت النتيجة كما تعرف هي الانفصال، لأن الإنسان المصري قد حُرم من الحرية، وخضع لإعلام مركز (يغسل دماغه) فأخذ البعض منهم يصفق دون أن يدري لماذا هو يصفق؟!

التخلي عن المسؤولية!!

□ إذن ماذا تسمي تلك المظاهرات التي خرجت في يوم (٩-١٠) تموز/يونيو عام ١٩٦٧ متمسكة بزعامة عبد الناصر عندما قرر التنحي؟!.. فهل كان ذلك ناتجاً من غسل دماغ أيضاً؟!

ـ كان يجب أن يتمسكوا به.. وهل كان للشعب المصري خيار في ألا يتمسك به؟.. فالتفريط بعبد الناصر في تلك الظروف كان يعني بالنسبة لمصر تفريطاً بكل الآمال التي بنيناها على زعامته!!

تخيل عندما تكون في مركب وسط البحر وعواصفه، وهي على وشك الغرق، ويأتي الربان ويطلب إعفاءه من قيادة السفينة؟!.. فأنا بعدما وثقت فيك، وسلمتك زمام أمري وفي هذا الظرف الحرج تأتي لتتخلى عني؟!!

اتق الله.. يا عبد الناصر!!

□ قلت إنك أقسمت مع عبد الناصر على نصرة الإسلام

والمسلمين. . ثم اختلفت معه، وتركت السلطة. فهل حافظ عبد الناصر على قسمه وخدم الإسلام؟!

ـ أرجو أن تسمح لي ألا أجيب عن هذا السؤال!! فهذه المسألة لا يبت فيها إلا الله، وأنا لا أستطيع الغور إلى دخائل النفوس لأتبين إيمانها. آسف، لا أستطيع الإجابة على السؤال حتى ولو من خلال معرفتي الشخصية بسلوك عبد الناصر.

بالطبع أنا لدي الكثير مما يقال، لكنني لا أريد أن أقوله. آسف، فقط أنا أذكر أن في محاكمته الثانية للإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ أرسلت إليه خطاباً وقلت له فيه: اتق الله يا عبد الناصر.

□ هل كنت وقتها في السلطة؟

ـ كلا، أنا تركتهم في عام ١٩٦٤، وقلت لهم: لكم دينكم ولي ديني. وكانت هذه مواجهتي الأولى لهم بعد قطيعة طويلة. وأخذ عبد الناصر يقول لي: إنك تتكلم عن الإسلام.. وهذه لغة جديدة لم نعهدها فيك، وقلت لهم: ليس هناك جديد، فأنا أريد أن أخلص ذمتي، ولا تنسوا أننا أقسمنا معاً يمين الولاء للإسلام.

حكاية انور السادات!!

□ ننتقل إلى موضوع آخر، وأسألك: تُرى ما هي دوافع أنور السادات في رأيك في الذهاب إلى تل أبيب، وما صاحب هذه الزيارة من اضطراب صدّع الصف العربي أكثر مما كان عليه من التصدع؟!

ـ الحقيقة أن المصريين كانوا آخر من يعلمون عن هذه الدوافع،

لأنهم كانوا آخر من يُسألون في مثل هذه الأمور. وعلى صعيد شخصي، فمنذ اللحظة الأولى كنت، وكان معي زكريا محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي وحسين الشافعي، كنا جميعاً معارضين لما حدث، ومعارضين لاتفاقية كامب ديفيد وإبرام معاهدة مع إسرائيل، وقلنا إنها مأساة تجرّنا إلى ويلات. وحذرناه من عواقبها.

□ هل بلّغتموه هذا شفاهة، أم كتبتموه له، أم أنكم نشرتم ذلك في وسائل الإعلام؟

ـ كتبنا مذكرات نُشرت في صحف العالم وفي إذاعاته، وأوضحنا خطورة هذا العمل، وطالبنا بأن يقف الجميع ضدّه لأنه يمثل بداية انهيار العرب.

□ كيف قابل أنور السادات كلامكم واحتجاجكم؟! أعني كيف كان رد فعله؟

ـ من اليوم الأول أخذ يردد: «الله.. الناس اللي كانوا في مجلس الثورة دول.. بتوع زمان.. هم لسه فاكرين انهم أوصياء على الشعب المصري» وكنا كلما أبدينا رأياً، يردد نفس الكلمات، وأخيراً خرج علينا ببدعة مفادها: البلد فيها مؤسسات دستورية.. وفيها برلمان»، والكثير من هذا الكلام الذي لا يستحق أن نرد عليه.

ديموقراطية زائفة!!

□ لماذا أُبعدت عن مجلس الشعب؟

ـ أولاً دعني أشرح لك القصة: أنور السادات عندما تولى مقاليد الحكم على الشعب المصري قال: «إنها ديموقراطية وحرية». . وأنه يريد أن يبني أسساً جديدة للديموقراطية، فكان أمامي طريقان: إما أن أصدقه لأرى إلى أي مدى سيحقق ذلك، وهذا ما يُسمى بالنضال السلبي، أو أن أخوض التجربة بنفسي، لأن من الممكن جداً أن يقول شيئاً وينفذ شيئاً آخر، وأنا اعتبرت أن ما صرّح به إنما هو منفذ نستطيع الولوج من خلاله للتأكد من صحته أو عدم صحته، فإن كان الكلام صحيحاً، وسعنا فتحة هذا المنفذ لأسس الديموقراطية، وإن كان كاذباً فسنكشفه أمام الرأي العام والشعب، ولهذا عقدت العزم، ورشحت نفسي ونجحت في الانتخابات. لكنني فوجئت أن المجموعة، وغالبيتها العظمى من مجلس الشعب من: ٣٠٠ أو ٣١٠ من مجموع المجلس البالغ ٣٦٠ عضواً، كلهم موالون لأنور السادات، عدا ٥٠ عضواً كنا موالين لمصر، ثم أخذ عددنا نحن الخمسين يتناقص واحداً بعد آخر بوسائل الضغط والإرهاب والترغيب لأن ينضموا لمجموعة الأغلبية. وإذا بي أكتشف أن ما يُطلق عليه بالديموقراطية إنما هو خرافة، وقلت في المجلس إن كل السلطات بيد أنور السادات، فهو رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ورئيس البرلمان، ورئيس الهيئة التشريعية، ورئيس الهيئة البوليسية، ورئيس الهيئة القضائية ـ حتى القضاة قد نصّب نفسه عليهم رئيساً ـ ورئيس الصحافة، كان يفصل ويعين من يشاء من الصحافة. . اذن أين الديموقراطية، وأنور السادات رئيس كل حاجة؟!

كلام أزعج السادات!!

□ لم تقل لي ما هي أسباب إبعادك عن مجلس الشعب؟

ـ كان يجب أن نتكلم، ولا بد أن نتكلم، وقلت في مجلس الشعب: لم لا تكون هناك أحزاب جدية؟ وإذا بأنور السادات يُنشئ ما يُسمى المنابر، منابر يمين (يبقى رجعي)، ومنابر يسار (يبقى شيوعي) ومنابر وسط (وهو الحل الوحيد). اختار حضرته الوسط، ورفضوا إنشاء منابر أخرى بعد ذلك، وأخذوا نصاباً معيّناً من النواب، وبعدها عندما أرادوا إنشاء منبر لليمين ولم يكن النصاب مكتملاً اقترضوا من نواب الوسط حتى يكملوا نصاب منبر اليمين! فقلت لهم: «أي نوع من البرلمانات هذا؟.. وأية ديموقراطية تتبجحون بها هذه.. إنها عملية تمثيلية». ثم اقترحت تغيير المادة ٧٣ التي استعملت بعد ذلك ضدّي وضدّ الناس الذين اعتقلهم قبل مصرعه بأيام.. وفوجئنا بأنور السادات في البرلمان يغيّر المنابر إلى أحزاب، والدستور ليس فيه أحزاب، ولا ما يجيز قيام الأحزاب. قلت في مجلس الشعب: لم لا ننتظر قليلاً حتى يصدر قانون بقيام الأحزاب، ونحن الذين سنصدر هذا القانون من هذا المجلس!! ولكن لا حياة لمن تنادي! أخذوا يطلقون على هذا زعيم المعارضة، وعلى ذاك زعيم الـ «مش غارف إيه»، ولقد أصبحت كلمة أنور السادات في البرلمان وخارج البرلمان قانوناً، قبل أن يصدر بها قانون.

ثم بدأت أحداث ١٨/١٩ كانون الثاني/يناير التي أطلق عليها أنور السادات «انتفاضة الحرامية» وقال إنها من فعل الشيوعية، أو ضدّ الشيوعية؟! هو احنا موضوعنا مع الشيوعية أو ضدّها؟! ثم أخرج نظاماً يعاقب بموجبه بـ (٢٥) سنة سجن مع الأشغال الشاقة لكل من يتظاهر! هل هذا معقول؟!.. هل هناك دولة في العالم تصدر مثل هذا العقاب على من يتظاهر؟!.. كل هذا كان ليحدث دون الرجوع لمجلس الشعب، وكان يعلن الاستفتاءات تلو الاستفتاءات، وطبعاً النتيجة ٩٩,٩٪ وكلها مزورة، فطبعاً أنا لم أطق هذا كله!! فكتبت برقية بصفة مصريّ غيور وقلت: إذا لم أفعل هذا، فمن سيفعله؟! ومما كتبته في البرقية:

إن ما يحدث في مصر يحتاج إلى ثورة جديدة، فإذا كنا لا نقدر أن نقوم بثورة، فأقل ما يمكن أن نفعله هو أن نعبر عن رأينا إلخ.

وبعد ذلك اتهموني بأنني أهنت الشعب، وأهنت الدستور، وعاقبوني بفقد الثقة، لأنه كان مجلساً مكوناً من (طراطير)، وهكذا ترى أنني خرجت من مجلس الشعب لأنني أحمل رأياً يخالف رأي أنور السادات.

محمد نجيب!!

□ بمناسبة إشارتك إلى حاجة مصر إلى ثورة جديدة، يحضرني ما كتبه محمد نجيب في مذكراته من أن قصة انتخابات نادي الضباط هي التي فجرت ثورة ٢٣ يوليو، وأنه كان يعتبر الأب الروحي والفعلي

المخطط لها.. فإلى أي مدى نستطيع الأخذ بما قاله؟!

ـ قضية نادي الضباط لم تكن الشرارة التي فجّرت الثورة المصرية، ولكنها كانت أول مواجهة تحد بيننا كضباط وبين السرايا (القصر)، وأثبتنا فيها وجودنا، وكانت تشكل علينا خطورة بالغة، ولكننا نجحنا فيها بحمد الله، وقد كانت فرصة اختبرنا فيها قوتنا.. ونحن الذين رشحنا محمد نجيب.

□ **يعني هل كان محمد نجيب هو العقل المحرك للثورة؟**

ـ لا عقل محرك ولا «حاجة»!!.. «شوف لما أقول لك» الحق يجب أن يقال: جمال عبد الناصر كان هو العقل المحرك لتنظيم الضباط الأحرار وقيام الثورة، وأنا أحد الذين انتخبوه قبل الثورة وبعد الثورة، ولكنني اختلفت معه في النهاية من أجل مصر، ومصلحة مصر. وأنا انتقدت جمال عبد الناصر وجهاً لوجه في حياته.

لم أكن أعرف أنور السادات!!

□ **لنعد إلى الحديث عن أنور السادات. ألا ترى أن تاريخ حياته مليء بالأحداث؟! فهو قد التحق بالجيش، ثم فُصل منه وحوكم بتهمة التعاون مع النازية، كما اشترك في اغتيال أمين عثمان، ثم اشتغل بمهن مختلفة كسائق شاحنة مثلاً، كما عمل في محطات القطار، ويقال إنه عمل ممثلاً. فمن**

خلال معرفتك بأنور السادات قبل الثورة، كزميل لكم في حركة الضباط الأحرار، ما هو انطباعك عنه وقت ذاك؟!

ـ والله أنا لم أكن أعرف عنه شيئاً، لكن عبد الناصر هو الذي قدمه لي، وكان البغدادي قد أخبرني أن موضوع التحاقه بتنظيم الضباط قد عرض على المجلس، ولكنني كنت غائباً في تلك الجلسة، إنما الشيء المؤكد أن عبد الناصر كان يوماً عندي في البيت وعرض عليّ موضوع السادات. وهذا الكلام كان قبل قيام الثورة بعام أو أكثر شوية.

□ **إذن كيف تردّ على من يرددون الآن أن اليد الطولى في تنظيم الضباط الأحرار وبالتالي قيام الثورة، إنما تعود لأنور السادات؟!**

ـ الرجل الآن بين يدي الله، وسيحاسبه سبحانه على كل شيء، أما حكاية تنظيم الضباط الأحرار واليد الطولى لأنور السادات في قيام الثورة، ففي هذا افتراء كامل وتزوير للتاريخ، كما أنه من أكبر المفتريات.

ليلة قيام الثورة.. والسادات!!

□ **قيل كلام كثير عن ليلة الثورة، وكيف أن أنور السادات قد اصطحب زوجته في تلك الليلة إلى السينما، ثم افتعل معركة سجلت في قسم الشرطة حتى إذا فشلت الثورة تكون لديه المبررات في عدم**

الاشـتراك فيهـا. هل لك أن تشـرح لنـا هذه الملابسات؟!

ـ نعم، حدثت أشياء غير منطقية وغير معقولة، وحسن إبراهيم شاهد على ذلك، والبغدادي شاهد على ذلك أيضاً، وهما من الأحياء. إن أنور السادات كان يعلم بموعد الثورة، وليس كما قال أنه لم يكن متأكداً من الموعد، وأن الموعد هو بالتقريب خلال هذه الأيام أو تلك!! وحتى لو كان بالتقريب كما قال وهو قادم من العريش، وهي منطقة بعيدة عن القاهرة، أليس من المنطقي أن يتصل بزملائه الضباط ليتأكد من موعد قيام الثورة، أم أن الذهاب للسينما مع زوجته أهم من هذا الحدث؟!.. وإذا كان الإنسان يحرص على أبسط المواعيد، فما بالك في التأكد والحرص على حدث كانت أرواحنا فيه معلقة بين الحياة والموت، وهو حدث سيغير وجه التاريخ في مصر؟! فأنور السادات قطعاً كان يعلم بموعد الثورة، ولكنه ذاهب عامداً متعمداً إلى السينما!! وأي سينما؟!. إنها سينما صيفي من التي تعرض ثلاثة أفلام متواصلة!

□ **إذن كيف كان أنور السادات هو الذي قرأ بيان الثورة في الإذاعة؟!**

ـ كون أنه هو الذي أذاع البيان، فالسبب في ذلك أنه ليس فينا من كان متفرغاً لمثل هذا العمل، إذ كان من الممكن أن يقوم به أي مذيع!!

□ **أليـس ـ كما يقـال ـ أن أنـور السادات لسان الثورة،**

ولأنـه أفصحكم لسـاناً؟! وأنه عمـل فتـرة في الصحافة!!

ــ أولاً هو لغته العربية ليست سيئة، لأنه يتكلمها بتمثيل، ولكن أنه لسان الثورة أو عمل في الصحافة، فهذا ما لم أسمع به من أحد.

□ ما هي أهم المناصب التي تقلدها أنور السادات قبل أن يصل إلى رئاسة الجمهورية؟!

ــ هو لم يتقلد منصباً وزارياً إطلاقاً. كان يشغل منصب رئيس المؤتمر الإسلامي ومجلس الشعب.

□ إذن كيف قفز لمنصب نائب رئيس الجمهورية، مما هيأه للرئاسة بعد وفاة عبد الناصر؟!

ــ والله أنا لم أكن موجوداً، والذي يجب أن يُسأل في هذا هم من وضعوه في هذا المنصب.

نظرية الحاكم الفرد!!

□ قلتلم في سياق الحديث، ان عبد الناصر والسادات كليهما كان ينفرد بالحكم، وإنّ حكم كلٍ منهما كان فردياً. هل من الممكن أن تفسر لنا هذه النقطة؟!

ــ للأسف هناك نظرية يؤمن بها الحاكم الفرد، وهي أنه يعتقد أن لا مثيل له في الأمة، وبالتالي فلا بديل له، وهو الوحيد الاوحد. لكن هؤلاء الحكام المتفردين يتناسون أن الأرض لم تُصب

بالعقم، فالأمة التي أوجدتهم توجد العشرات بل المئات غيرهم. والجريمة الكبرى التي تُرتكب أن بعض هؤلاء الحكام المتفردين يعتقدون أن الشعب عبارة عن قطيع، وهم الوحيدون الذين اختصتهم العناية الإلهية بقيادة هذا القطيع.

□ **لكن عبد الناصر قد رشح زكريا محيي الدين عندما قرر التنحي!!**

ـ أنا قلت لك الظروف التي أحاطت بهذا الموقف. لكن إليك معلومة قلّ أن يعرف بها أحد، وهي أن عبد الناصر قبل أن يتوفى بأسابيع قليلة كان يتفاوض مع عبد اللطيف البغدادي لكي يقنعه بتولي منصب نائب رئيس الجمهورية، وكان المفترض أن يحدث ذلك عقب مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي توفي بعده عبد الناصر مباشرة!!

□ **ما هي الأسباب التي جعلت من عبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين وحسن إبراهيم، وتُضاف إليهم أنت، يبتعدون ويؤثرون الانزواء في بيوتهم؟!**

ـ الأسباب الأساسية كانت هي قضية الديموقراطية. وأنا أذكر أن عبد الحكيم عامر جاءني يوماً محاولاً إعادتي إلى السلطة، فقلت له: ما هي ضمانات الحرية والديموقراطية التي سنعود بمقتضاها؟!

قال: «احنا الضمانة» فقلت له: إحنا مين؟! أنا لا أضمن نفسي

أبداً وأنا في السلطة؟!! فلم لا تكون هناك ضمانات أوسع للحرية والديموقراطية؟!

في تصوري أن هذه هي نقطة الخلاف الأساسية. وأعتقد أن بقية الزملاء الذين ذكرتهم كانوا يعانون نفس معاناتي. أما إذا كانت هناك أسباب أخرى أنا لا أعرفها فعليك أن تتوجه بالسؤال إليهم، فكلهم أحياء.

حسني مبارك لم يتصل بنا!!

□ رجال ثورة يوليو، ألم يستشاروا أو يُؤخذ رأيهم في مسيرة مصر الحديثة، أعني ألم يحاول الرئيس حسني مبارك الاتصال بكم؟!

ـ أولاً، إن رجال الثورة لم يستشاروا في شيء على الإطلاق!

ثانياً، هم غير مستعدين لإبداء أي مشورة دون يطلب إليهم ذلك، ليس ضنّاً منهم أو بخلاً، ولكن تحسباً لتلك يُساء فهم حسن نواياهم وصدق تعاونهم، وألا يفسر بغير ما يقصدون وهو مصلحة مصر أولاً، لأنه كان يُقال في الماضي وتحت سمع وبصر حسني مبارك: إن رجال الثورة القدامى يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أوصياء على الشعب المصري، لأن تجربتنا بعدما توفي عبد الناصر يوم حاولنا أن نعيد صفوفنا وننظّم انطلاقة جديدة نتجاوز بها تلك السلبيات التي كادت أن تؤثر على مسيرة الثورة، يومها ظهرت تخريجات عجيبة الشكل! من بينها، أن رجال الثورة القدامى يريدون الاستيلاء على السلطة!! وقيل كلام

آخر كثير لا يحتمل، مع أننا بكل حسن نية طلبنا من أنور السادات أن نتحاور معه، لكي نعمل معاً من أجل مصر، فكانت النتيجة أنه رفض مقابلتنا وأخذ ينشر في الصحف متهماً إيانا بأننا غير مؤمنين بالديموقراطية وهو يريد للبلد الديموقراطية!!

لهذا نحن غير مستعدين بعد تجربتنا مع أنور السادات أن تتكرر مع حسني مبارك، اللهم إلا إذا صدرت منه بادرة تشجعنا على ذلك، وفي تصوري أن حسني مبارك يعرف آراءنا جيداً.

غسل دماغ!!

□ **عُبئ المواطن العربي وبالذات المصري بأن خطوات أنور السادات نحو السلام مع إسرائيل لا بديل لها، وأن العرب جميعاً يسعون لمثل هذا السلام. لكنهم لا يجرؤون على الإجهار بذلك، بيد أن أنور السادات هو الشجاع الوحيد الذي أقدم على هذه الخطوة، فما رأيك في هذه التعبئة الإعلامية؟!**

ـ أولاً، إن ما حدث من قيام أنور السادات بزيارة إسرائيل، إنما هو تدمير لأمتنا العربية والإسلامية. والدليل على هذا أن مناحيم بيغن قال بعد تلك الزيارة: «لقد حصلنا على المستحيل». فإذا كانت إسرائيل حصلت على المستحيل، فعلى ماذا حصلنا نحن؟! وللأسف أن المواطن المصري قد عُبئ إعلامياً لدرجة غسل الدماغ حتى يتلقى خطوات أنور السادات بالترحاب، وكأنها انتصارات. وأنا أعتقد أن هذه التعمية الإعلامية، قد ارتكبت جريمة كبرى بحق المواطن المصري، لأن أنور السادات

قد جند كل أجهزة الإعلام التي كانت تحت سيطرته ليقوم بغسل دماغ الشعب المصري، وقد ساعدته في ذلك أجهزة الإعلام الغربية والصهيونية. إن الذي حدث قد جعل من الشعب وكأنه تحت تأثير الأفيون والتخدير حتى يمرر مخططاته الإجرامية، فهذا حرام وإجرام.

استقالة إسماعيل فهمي

□ **هل كان هناك من بديل؟!**

ــ البديل كان موجوداً، لكن ما فعله أنور السادات هو أنه اختار أسوأ البدائل، فقبل زيارته المشؤومة لإسرائيل، كان وزراء الخارجية العرب مجتمعين في تونس وكانوا على اتفاق تام من أنهم سيدخلون كأمة واحدة وبكل حجمهم الاقتصادي والسياسي بل والعسكري إلى مؤتمر جنيف.. وفوجئ إسماعيل فهمي، وزير خارجية مصر، بما عزم عليه أنور السادات، يومها قال وهو في تونس: «إنني لست نصاباً!! كيف أتفق مع الأشقاء العرب على شيء ثم أفاجأ برئيسي يقرر شيئاً آخر». ولهذا فقد استقال الرجل وأصبح له موقف واضح! فالبدائل كلها كانت موجودة، وإنما أنور السادات قد اختار أسوأ ما فيها!! ولعلمك أن مؤتمر وزراء الخارجية الذي أشرت إليه كان تمهيداً لمؤتمر قمة عربي، وكانت هناك قرارات كاملة وشاملة. وكان من الممكن أن تحقق مزيداً من الإيجابيات، خاصة وأننا خرجنا من حرب كنا فيها ظافرين ومنتصرين!! لكن في النهاية أنور السادات أراد أن يحظى بإعجاب العالم الغربي واليهودي على أنه رجل سلام، فمنحوه

الجوائز مناصفة مع زميله في السلام مناحيم بيغن، والأخير هذا هو أكبر مجرم حرب عرفته البشرية. بل يكفي أن غولدا مائير قالت: «إن أعظم الخدمات التي قُدمت لإسرائيل مصادرها ثلاثة: أميركا، وبن غوريون، وأنور السادات».

المشروع السعودي!!

□ **هل تعتقد أنه كان لدى العرب خطة يتمكنون فيها من استرداد حقوق الشعب الفلسطيني؟!**

ـ أنا أعتقد أن هناك أكثر من خطة، والمشروع الذي تقدمت به المملكة العربية السعودية في مؤتمر فاس، كان من الممكن لو أنه أُخذ به أن يغنينا عن كل ما فعله أنور السادات..!

□ **لكن مشروع المملكة في مؤتمر فاس قد رفضته إسرائيل على لسان زعمائها!!**

ـ شوف يا سيدي، أولاً احنا بنتكلم عن مشروع، والمشروع قابل للنقاش، ثم إن إسرائيل منذ متى توافق على كل شيء؟..

إسرائيل لا يرضيها شيء إلّا أن تحقق حلمها (من النيل.. إلى الفرات).

هذه حقيقة يجب أن يعرفها كل عربي. وهذا ليس كلاماً عاطفياً، وإنما تؤكده الشواهد والحوادث التاريخية، فمنذ سنة ١٨٤١ عندما أعادوا قوات محمد علي على حدودها بستة آلاف جندي، جاء إلى بريطانيا أحد أفراد عائلة روتشيلد وقال لرئيس وزراء بريطانيا: «أنتم حددتم قوات محمد علي بعدما

أعدتموه من فتح غزواته، ولكن هذا لا يكفي، فمصر لا بد يوماً أن تتحد مع العرب، والذي يجب أن يحدث هو أن تقوم بريطانيا بفصل مصر عن العرب نهائياً». وقال أيضاً: «إننا كيهود على استعداد تام لفصل مصر عن العرب، وإبقاء مصر على ما هي عليه، ليس لصالح الإنكليز، ونحن كيهود نريد للأمبراطورية البريطانية ألا تغرب شمسها عن أي جزء من المعمورة».

إنها مؤامرة عالمية تهدف إلى تمزيق العرب والمسلمين، وإذا كان هناك من لا يؤمن بهذا الكلام، فلينظر إلى ما تفعله إسرائيل الآن، ثم يحكم. والغريب أن أنور السادات كان يتكلم ولا ينفذ، بيد أن مناحيم بيغن كان ينفذ قبل أن يتكلم، فروح الاستسلام التي بثها أنور السادات في الشعب، لم تحدث بتاريخ أي أمة!! تصور يا رجل.. هل هناك رئيس جمهورية وقائد عام للقوات المسلحة يقول لشعبه وجيشه ويعبئ كل أجهزته الإعلامية لتؤكد على مفهوم واحد، وهو: ان احنا شعب وجيش غير قادرين على أن نحقق أي انتصار على أعدائنا؟! هل هذا يعقل؟! قائد قوات مسلحة يبث في صفوف جيشه روح الهزيمة؟.. ويقول: ان اليهود لديهم من التكنولوجيا الحديثة ما يحطم كل استعدادتنا خلال ثوان!! هل هذا يعقل؟! هذا لم يحدث قط في تاريخ البشرية كلها. والغريب أن هناك من صدّق وانساق وراء هذا الكلام، مما جعل مصر وكأنها منسلخة عن واجباتها العربية والإسلامية. وهذا ما فعله أنور السادات!!

إيجابيات أنور السادات!!

□ أكاد ألمح الألم يبدو على محيّاك وأنت تسرد ما تراه سلباً لأنور السادات. أليس هناك من إيجابيات؟!

ـ (فترة صمت): ماذا أقول، وهو بنفسه قال: إن جمال عبد الناصر قد فرق العرب، وأنا الذي جمعتهم؟! وانظر ماذا فعل في النهاية؟!.. فهل مرَّ في تاريخ أمتنا العربية تمزق أشد وأفتك مما حدث في عهد السادات؟! حتى يأتي ليقول: إن عبد الناصر فرق العرب، وهو الذي جمعهم؟!.. أنا لا أتفق مع الكثير من ممارسات عبد الناصر، خاصةً عندما تفرد في الحكم وأجهض حرية المواطن المصري، بل لا أوافقه في خلافاته مع بعض الدول العربية وتدخلاته في شؤونها الداخلية، لكن بالمقارنة مع ما فعله السادات، فليست هناك نسبة لوجه المقارنة.

سلبيات عبد الناصر!!

□ ما دمنا قد جئنا على سلبيات أنور السادات، فما هي سلبيات عبد الناصر؟!

ـ أكون من الجاحدين والناكرين لو أغفلت الجانب الإيجابي لعبد الناصر، فالتصنيع والتعليم والعدل الاجتماعي والإصلاح الزراعي، وإنصاف الفلاحين والعمال إلخ. كل ذلك لا يُنكر، إلى جانب انتشار مصر دولياً لتصبح رائدة في دول العالم الثالث، وكتلة عدم الانحياز، وحركة التحرر في العالم العربي، ونشطت القاهرة دولياً في عهد عبد الناصر حتى أصبحت مركزاً لكل

الحركات النضالية والتحررية، لكن نرجسية الزعامة والفردية المطلقة أوقعت مصر في مطبات أقلها ضرراً أن جعلت واحداً مثل أنور السادات يغدو متحكماً في مقدرات الشعب المصري.

الميكيافيللية!!

□ هل كمال الدين حسين يشعر بالندم نتيجة لأي ممارسة سياسية أو عملية مرت في حياته؟!

ــ نعم، كثيراً ما أشعر بالأسى والأسف، لأنني لم أكن قد قرأت كتاب «الأمير» لنيقولا مكيافيللي!

□ هل كنت تريد لغايتك أن تبرر وسيلتك؟!

ــ حاشى لله أن أكون كذلك.. إنما كنت سأسعى للاحتياط وحماية نفسي من الدسائس والغدر والخيانة التي تعرضت لها.

□ □ □

محمد جابر الأنصاري

منذ انفراد السادات بالصلح مع إسرائيل، توقفت في مصر، إلى حدٍ ما تلك الدراسات ذات الطابع النهضوي القومي العروبي التي كانت تحتضنها القاهرة في الحقبة الناصرية.

لكن الدراسات والبحوث النهضوية في مناطق مختلفة من عالمنا العربي ما فتئت تتواصل.. وقد برزت فيها قامات أدبية وفكرية سجلت لها حضوراً متميزاً في هذا الميدان، وما زال البعض منها مستمراً في هذا الخط.. ففي تونس هشام جعيط يرفد الحركة الفكرية بدراساته، وفي المغرب محمد عابد الجابري قد احتل لنفسه مكانةً متميزة في ما كتبه من دراسات وبحوث..

أما في المشرق العربي فيُعد محمد جابر الأنصاري واحداً من ألمع المفكرين العرب في دراساته النهضوية.

عرفت الدكتور محمد جابر منذ السبعينيات عندما كان يقود الحركة الإعلامية في البحرين والمراحل التي تلتها، الى أن تبوّأ

موقعه الأكاديمي حالياً، ولم تنقطع الصلة بيننا حتى الآن، وقد سجلت له هذا الحوار في الرياض منذ ما يزيد على عقد من الزمن.

□□□

□ كثيراً ما تكتب عن المشروع النهضوي، ألا تعتقد أننا نخرج من فشلٍ لندخل في فشلٍ آخر في هذا الموضوع؟

ــ أعتقد أن من السابق لأوانه أن نصدر حكماً بفشل مشروعنا النهضوي، ولا بد من أن نتعامل مع موضوع كهذا بنفسٍ طويل، وبرؤية للتاريخ رؤية لا تتعجل الأمور، لأننا نمر في مرحلة إرهاصات لبدايات تدعو الى التفاؤل حيث المسألة تمر في عملية تاريخية طويلة، فأوروبا مرّت بعصور ممتدة الى أن وصلت لما نسميه بمشروعها النهضوي. نعم إن المخاضات التي نعيشها محبطة، لأن العالم يتقدم بسرعة، بينما نحن لازلنا ندفع فاتورة ثمن عوامل الاستعمار والتخلف الذي عانيناه في العقود الماضية، فضلاً عن مواجهتنا التي مرَّ عليها نصف قرن مع اسرائيل، إلى جانب أننا نعيش بعض التناقضات الداخلية، بالإضافة إلى تلك الأعباء التاريخية، التي امتدت بجذورها لتعيق تطورنا، وهناك من لا يريد الاعتراف بهذا الموروث التاريخي المهترئ والمعيق، ثم لا ننسى أننا نعيش في مواجهة أعباء أزمات سياسية وهي تشكل جزءاً هاماً من أزماتنا الفكرية والاقتصادية. .

ونحن عندما نتحدث عن مشروع نهضوي، كأنما نريد أن نسقط

ألف سنة من تاريخنا، وهو تاريخ الانحطاط العربي، والبعض منا يتصور أننا أبناء عصر المأمون وهذا وهم، فنحن أبناء ورثة السلطان عبد الحميد، نعم يا أخي، إن العرب المعاصرين خرجوا من تحت مظلة السلطان عبد الحميد، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه إذ كان علينا أن نبدأ من هذه البداية المتواضعة، وألا نتكلم عن أنفسنا وكأننا دار الحكمة أو أبناء المأمون.

□ ما تشخيصك لإخفاقاتنا المتكررة، بيد أن العالم من حولنا يحقق قفزاتٍ نوعية في النهوض؟!

ــ أستطيع القول أننا نعيش مرحلة ملأى بما أسميه ثقافة الخداع، ففي الثلاثينيات تكونت عندنا حالة ثقافية مغرقة في الرومانسية في نظرتها للتاريخ، وفي نظرتها للذات، وفي نظرتها للعالم، ولهذا نحن نعيش ثقافة الخداع، لأن الجانب الأساسي والمعرفي في هذه الثقافة ضئيل جداً، بل أكاد أقول إنه مفقود.

ولو عدنا الى الوراء قليلاً، لوجدنا أن محمد علي في مصر قد بدأ بمشروع تحديثي، ولكنه حصره في مطامحه السياسية، والعسكرية بالدرجة الأولى، لهذا نجده قد اهتم بالصناعات الحربية ليعزز خدمة مشروعه العسكري، ولما انتهى هذا المشروع العسكري وضُرب، انتهت المشاريع الأخرى، مع أن محمد علي كان في ذلك الوقت متقدماً على المشروع الياباني، بل إن اليابانيين أنفسهم قد بعثوا إلى مصر بوفود لتستفيد من مشروع السكة الحديدية في عهد الخديوي إسماعيل، بل إن الفجوة في ذلك الوقت بين مشروع محمد

علي، وبين التقدم الأوروبي كانت فجوة ليست كبيرة نسبياً، أما في وقتنا الراهن فإن الفجوة بيننا وبين الأوروبيين صارت ضخمة جداً.

□ كيف تقلصت تلك الفجوة بعدما كانت قريبة من نهضة أوروبا؟!

ــ أولاً: لأن الغرب يتقدم بسرعة، بل إن العالم ككل يتقدم الآن بسرعة بما في ذلك الشرق البعيد: اليابان، الهند، والصين، بينما نحن ظللنا «محلك سرّ»، بل إن البعض منا قد تخلف إلى الوراء، ولكن ذلك ما حال دون بروز بدايات مبشرة ترعرعت في بلادنا ونحن في ظل الاستعمار الأوروبي، فإنشاء الجامعات في عدد من العواصم العربية، وبروز رموزٍ نهضويين تنويريين أمثال لطفي السيد وطه حسين وقائمة طويلة من نموذجيهما، قد بشّرت بظهور مشاريع جديدة نتجت منها تجارب دستورية رغم ما فيها من قصور، ما لنا عليها من ملاحظات، ولكنها رغم ذلك كانت تنمو وتتطور نحو المشروع الديموقراطي. كانت تتطور تنويرياً وتربوياً، ورغم ما عانيناه من تلك الضربة القاصمة التي احتلت جزءاً من وطننا عام ١٩٤٨.

ولا ننسى أن حكومة الوفد في مصر قد استوزرت عام ١٩٥٠ الدكتور طه حسين وزيراً للمعارف، حيث استطاع أن يعمل على تنفيذ مشروعه التربوي ورؤيته الثقافية التي طرحها في كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر» الذي صدر سنة ١٩٣٨، وأنا عندما أضرب أمثلة بمصر، فذلك أنني أعتبرها النموذج

الذي تحذو حذوه كافة البلاد العربية وفقاً لظروفها الخاصة.

□ كأنك تريد التلميح الى أن الأنظمة الملكية كانت هي الأكثر اقتداراً على السير قدماً بالمشروع النهضوي؟!

ــ بالطبع يجب أن أقول إن النظم الدستورية الملكية التي كانت سائدة قد افتقد البعض منها إرادة الإصلاح، ولكنها كانت لها الكثير من الإنجازات الإيجابية، وأنا في كتابي الأخير عن الناصرية بمنظور نقدي قلت:

ليست المسألة فقط أن ننقد الناصرية، ولكن علينا أن نتساءل في تلك اللحظة التاريخية التي وصلنا اليها سنة ١٩٥٢ : لماذا أخفق المشروع الملكي واستدعى أن يحدث انقلاب عسكري؟ ثم لماذا أخفق المشروع الثوري واستدعى الأمر أن تعود إلى شيء لا أدري ماذا أسميه؟!!

□ ألا تعتقد أن المواجهة بشأن الديموقراطية مع الطامحين إلى مشروع حضاري نهضوي قد أدّت الى هذا الذي لا تدري ماذا تسميه؟!

ــ أنا أعتقد أن القوى المجتمعة الحقيقية في العالم العربي هي قوى بطبيعتها تقليدية قبلية، طائفية متأثرة بالنزعات الدينية، لم تتحرر من كثير من أعباء الماضي، وهي قوى كثيراً ما تستمد مرجعيتها من المقابر! هي نفس القوى التي تشكل أغلبية في عالمنا حتى هذه اللحظة!!

□ إذا كان الأمر كذلك فكيف من الممكن أن نتلمس طريقنا نحو المشروع النهضوي بروح متفائلة كما أشرت في بداية حوارنا؟!

ـ المسألة في التاريخ ليست مسألة صدود منظّم إلى أعلى أو إلى الأمام، إنما كما يُنسب إلى لينين: «إنها خطوة واحدة الى الأمام، وخطواتنا الى الوراء»، وأعتقد أننا نحن في هذه الحالة اليوم، يعني هناك تفتح لوعي جديد، وهناك ظهور لعناصر جديدة، ولكن بدون شك يجب ألا نخدع أنفسنا فالصورة قاتمة، وألا نتعجل بالحلول، ولا توجد هناك ضمانات في التاريخ، فكما تعلم، وكما هو شائع في ثقافات كثيرة وأيديولوجيات كثيرة، المسألة ليست مسألة صدود منظم إلى أعلى أو إلى الأمام..

ثم إن التاريخ لا يمنح شهادات تأمين لأحد، لأنها مغامرة كبرى، يعني وأنت داخل في هذا التاريخ، يمكن أن تنجح ويمكن أن تفشل، فهو لا يعطيك شهادة تأمين. ونحن العرب قد خلقنا المجد من الماضي، وهذا ليس ضماناً، وكوننا مسلمين بالوراثة في عقيدتنا الدينية، فإن هذا ليس ضمانةً من عند الله. وأنا دائماً أنبه إلى ظاهرة ليست في حد ذاتها، ولكن يجب أن نتنبه إلى مدلولاتها الأخرى، فلو أن اثنين من المسلمين أحدهما تقي والآخر عاص، قد سقطا من فوق أي مرتفع عال، فهل الجاذبية الأرضية تتعامل مع المسلم التقي بخلاف تعاملها مع المسلم العاصي..؟! فالإثنان يسقطان ويحدث لهما ما يحدث لأي جسمين ساقطين، فهذا مفهوم وواضح، ولكن أرجو أن نتنبه الى

الجاذبية الحرارية، والجاذبية التاريخية، فبهذه الطريقة لا بد من النظر أيضاً إلى الحالة الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، وجميع الجاذبيات الأخرى.. فكوننا مسلمين لا يعني أن لنا ضمانة ما لم نسر وفق الجاذبيات التي أشرنا إليها. والشيخ محمد عبده، وهو رجل تنويري، قال:

إن مجرد كونك مسلماً أو كونك تتصور نفسك تنتمي إلى أي جهة أو الى أي هوية، هذا ليس ضمانة لك أمام التاريخ، لأن إرادة الله في هذا العالم الدنيوي، قد أوجدت نظماً وقوانين غير قابلة للخرق إلا في حالة معجزات الأنبياء، لكن القانون العام يتعامل مع المسلم وغير المسلم أن يفهم هذا القانون كما يتعامل معه الغربي. وذات مرة تساءلت: إذا كان الغرب «منحطاً» فكيف تسنى له أن يسود العالم؟!. نعم قد يكون هذا الغرب منحطاً أخلاقياً ودينياً، و.. و.. ولكنه عند فهمه لهذه القوانين، وتسخيرها لمصلحته فإنه قد استجاب لقانون الجاذبية التي أشرنا إليها والتي سخّرها الله للإنسان.

□ هل تنطوي ملاحظتك الأخيرة هذه على نقد للخطاب السلفي؟!

ـ نعم، نعم، الخطاب الديني السائد يحتاج إلى تعديل كبير في كثير من الأمور، وفي ما يختص بالتعامل مع الدنيا يجب أن نبدأ من هذه البداية، ففي هذا العالم هناك قوانين تنطبق على جميع البشر سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود، أو ممن يعتنقون عقائد أخرى، وعلينا أن نتعامل مع هذا القوانين

بتواضع، نتعلمها، نستعدّ لها، ونُعدلها. . فمخالفة هذه القوانين أدّت إلى هزيمة المسلمين في معركة (أُحد) بل كادت أن تهدد حياة الرسول.

□ **أين دور المثقف من الالتزام بهذه القوانين، وبالتالي نقلها إلى المجتمع وشيوعها في أوساطه بعد أن يؤمن بصحتها؟!**

ـ والله أنا أعتقد بأن حصر الأزمة في المثقفين فقط أمرٌ لا يجوز أن ننساق وراءه، فالمثقفون هم نتاج مجتمعهم، ومن الواجب أن يتحمل العبء إلى جانب المثقفين، المواطنين. . المواطن العادي، والمواطن المسؤول في السلطة، بل وجميع القيادات في المجتمع، كرجال الأعمال، وعلماء الدين، والشرائح الاجتماعية الأخرى، فأنا لا أرى أن حصر موضوع التخلف في الوطن العربي يجب أن يكون مقتصراً في تبعاته على المثقفين فقط.

□ **أليس المثقفون هم الذين ينظرون لمجتمعاتهم على امتداد العصور؟**

ـ نعم إنهم قياديون في المجتمع فكرياً، ولكن يجب أولاً أن يعوا دورهم الحقيقي، وهو دور معرفي، فليس دور المثقف وعظياً، أو حتى ثورياً، لأن دور المثقف هو أن يعطي المعرفة الحقيقية.

□ **كيف؟!**

ـ أنا ألاحظ في كل خطاب عربي، سواء بين مثقفين أو غير

مثقفين، أننا نقفز إلى الاستنتاجات، ونقفز إلى الصراعات الأيديولوجية قبل أن نتفهم المعطيات الموضوعية والمعرفية والعلمية لأي موضوع، حتى في ما يختص بمشكلاتنا نحن، هل الذات الجمعية أو الجماعية أُخضعت لتشخيص علمي؟! هل استطاع المثقف العربي أن يخرج من بوتقة هذه الشخصية، ويراها من الخارج، أي من خارج نفسه؟! كي يتمكن من رؤية عيوبها، ويتمعن بنواقصها، أنا أعتقد أن هذا هو المدخل لأي تصحيح في المسيرة العربية سواء بالنسبة للمثقفين أو غير المثقفين. وبالنسبة إلى دور المثقفين أريد أيضاً أن أشير الى نقطة هامة، وهي: أن المثقف يحكي الأخبار، والمثقف يعطي معرفة بالدرجة الأولى، وأعتقد أن مهمته معرفية، وكما أن الهندسة من اختصاص المهندس، والعلاج من اختصاص الطبيب، للمثقف أيضاً اختصاصه، وقد درجنا في تراثنا أن ننظر إلى المثقف كواعظٍ أو كإمام يصلّي بنا. لا.. إن هناك أدواراً أخرى للمثقف، فهو غير مطالب بأكثر من دوره المعرفي، ولا يجوز أن نحمّله أخطاء وعثرات مسيرتنا، فالجميع يجب أن يشتركوا بالمسؤولية. فالمواطن العربي الذي لا يحسن عمله ملوم بالدرجة الأولى. وللأسف فإن الخطاب الموجّه للجماهير العربية عبر وسائط الاتصالات كله يكيل للمواطنين المديح، وكثيراً ما يتجنب هذا الخطاب نقد المواطنين على سلبياتهم، وتكاسلهم وتواكلهم، وانعدام إنتاجيتهم، فهناك مواطنون لا يلتزمون بواجباتهم العملية، وهناك مواطنون يسيئون إلى كل القيم المدنية سواء في نظافتهم، أو نظافة مدنهم، أو مخالفتهم لقوانين

المرور، أو غير ذلك. هل معنى السكوت على مثل هذه السلبيات يعني أن مواطننا العربي بريء جداً؟!.. لا. هل سمعنا يوماً خطاباً سياسياً موجهاً للمواطنين، يتحدث إليهم بحقيقة سلبياتهم؟!

□ **ألا ترى أن هذا التسيب الذي أنحيت باللائمة فيه على المواطن، أن سببه طبيعة النظام في أي دولة؟!.. فالسلبيات التي أشرت إليها لا نجدها عند الأوروبيين لأن طبيعة الأنظمة فرضت عليهم الالتزام بسلوكيات محددة!**

ـ نعم الشدة في النظام مطلوبة، وأنا لا أركّز فقط على المواطن أو على الإنسان العربي كفرد.. فالإنسان العربي عندما توفرت له الظروف الملائمة مع طموحاته أثبت أنه مبدع وأنه معطى، وهناك المئات من أمثال مجدي يعقوب، وفاروق الباز، وأحمد زويل، بل هناك الآلاف من أمثالهم، ولكن أرجو أن نلاحظ أن النظام العربي الذي نعيش تحت ظلاله ليس نظاماً مخططاً ومرسوماً فقط، إنه نظام موروث، فهناك معطيات تاريخية ومجتمعية كثيرة، نحن أيضاً مسؤولون عنها الآن، فعالمنا لا يزال مقسماً إلى قبائل وإلى طوائف، يعني لا يجوز لنا أمام هذا الواقع أن نتهم الآخرين بتخلفنا! فلا الـ (C.I.A) ولا الموساد يستطيعان أن يخلقا ما ورثناه من واقع متخلف تراكم بسبب أعباء تاريخية، كان يجب علينا أن نخرج من ربقتها ومن نفقها المظلم من زمانٍ طويل.

□ **ألا تعتقد أن الانقلابات العسكرية قد وضعت أثقالاً على كاهل الإنسان العربي، فانحدرت به إلى قاع الاختناق؟!**

ـ هذه الملاحظة مهمة، ولكن يجب أن نستخلص منها كل النتائج الصحيحة، بمعنى أني أوافقك في الوصف الذي أطلقته على العسكرتاريا العربية، وهي مسؤولة عن تقهقر المشروع النهضوي، ولكن عليك أن تسأل نفسك: من أتاح لهؤلاء العسكر أن يأتوا كمحررين؟!

الدبابة والمدفع؟! لا.. لا المدفع ولا الدبابة، ولكن كانت هناك نُظم لم تطور نفسها، وكان يسود فيها الفساد، بل كانت هناك أحزاب فاسدة وهذا الذي جعل من المواطنين يتفاعلون مع العسكر.. فنوري السعيد وسياسته التعسفية، وفاروق، وما كان يحيط به من عناصر فاسدة، وكذلك إمام اليمن.. هم الذين دفعوا بالعسكر لتولي زمام الأمور كبديل والقضاء على الفساد!!

□ **وهل تحقق ذلك؟!**

ـ الكارثة أنّ تلك النظم الفاسدة كانت تملك مقومات التطور من خلال مؤسساتها ذات الطابع الليبرالي المدني. لكن نكسة عام ١٩٤٨، بالإضافة إلى الفساد المتفشي، هي التي جعلت الأمور تتفاقم إلى ما نحن عليه، ولكن لدينا اليوم نظم تقليدية تتطور بالتدريج، وتعمل على تطوير نفسها إلى الأفضل يوماً بعد آخر.

□ **دكتور أنصاري، كأنك في ملاحظتك الأخيرة وأنت تتكلم عن الدول التقليدية، تعني بها دول الخليج**

العربي، ويبدو لي أنك قفزت على جانب هام، وهو أن لدى دول الخليج وفرة اقتصادية تساعدها على الوقوف في مواجهة التحديات التي تعاني منها الشعوب العربية الأخرى؟!

ــ لا، أنا أرى أن هذه الوفرة الاقتصادية غير مستثمرة على الوجه الأكمل، وهذه الوفرة الاقتصادية أخشى أن تتطور إلى ظواهر فساد، ظواهر ترف، وهي التي أطلق عليها ابن خلدون «الترف المؤذن بخراب العمران». فأرجو ألا نقع في نفس الأخطاء، ونعطي مبرراً للمتطرفين أو الأصوليين أن يأتوا إلينا باسم تخليصنا من فساد نسبي، ثم يخلقون في أوساط مجتمعاتنا فساداً مطلقاً.

□ **أيدق الدكتور الأنصاري ناقوس خطر وصول المتطرفين والأصوليين، ليفعلوا ما فعلوه في مناطق أخرى من تخريب؟!**

ــ إذا كنتُ أدق ناقوس الخطر حسب قولك، فإني سأستند في ذلك الى أسباب موضوعية تؤدي إلى استفحال ذلك الخطر. فالأنظمة العسكرية ما زالت موجودة، لكنها فقدت شرعيتها وفقدت قناعة الناس بها، منذ ٣٠ سنة أو أكثر أي منذ وفاة جمال عبد الناصر. ولكن أيضاً قد جاءت فرصة خلال هذه الـ ٣٠ سنة للنظم التقليدية المعتدلة، أعتقد أنها لم تستثمرها الاستثمار الذي كان المفروض أن تقوم به لتثبيت نفسها وتطوير بلدانها. . وإن كنت لا أنكر أن هذه البلدان قد خطت خطوات إيجابية في سبيل التطوير والنهوض.

□ هل هناك من أملٍ في جعل تلك الإيجابيات بداية للخطوات الأولى في السير إلى المشروع النهضوي؟!

ـ أنا أعتقد أنه لا ينبغي لنا التعجل أو القفز على الواقع، ويجب أن نعود إلى الجذور وإلى الأسس، وأن نصارح أنفسنا، فنحن في لحظة هزيمة، لحظة تخلف، ولن ينقذنا أن نأخذ طيارات مدنية ونضرب بها أبراج التجارة العالمية، أو أن نقوم بتفجيرات للكباريهات الليلية فهذه الأعمال لن تغير موازين القوى. وأنا أرجو من كل عربي في كل موقع اليوم، أن يتأمل فيما حدث بعد الحادي عشر من سبتمبر، ويسأل نفسه: ما تأثير كل ذلك علينا؟ وعلينا أن نعترف بالواقع فالتجربة اليابانية سلّمت بالهزيمة سنة ١٩٤٥، ونحن قد هُزمنا، وما زلنا نُهزم، لكن اليابان التي كانت مهزومة بالأمس، نهضت من الركام لتغدو قوة اقتصادية عالمية كبرى، نهضت بالجهد الياباني، واستوعبت الاقتصاد الغربي، واستفادت من الظرف التاريخي، فما أصاب اليابانيين كان أسوأ مما أصاب العرب. إذا حولنا جميع الناس إلى أعداء، فسنكون كالقلعة اليهودية التي حصرت نفسها وانتهت بالنهاية، إننا لا نريد لهذه الأمة الكبيرة، الأمة المتحضرة، الأمة المنفتحة على العالم، أن تحوّل نفسها الى قلعة مغلقة بهذا الشكل على طريقة بن لادن وأتباعه.

□ هناك أصابع اتهام توجه إلى بعض المثقفين الخليجيين، من أنهم أصبحوا دعاة التبشير

بالأمركة، وما قلته في إجابتك الأخيرة كأنما يصب في هذا الاتجاه؟!

ــ والله أنا يهمني أن نأخذ جميع الأمور بشكل موضوعي، الأمركة فيها جانبان. . الظاهرة الأميركية فيها جوانب تقدم وجوانب بحث علمي، وجوانب حضارة، وهذه جوانب عليَّ أن أفهمها، حتى لو كنت أكره أميركا، يجب أن أستفيد من هذه الجوانب، لكن أميركا كقوة عظمى، هي ليست جمعية خيرية، وأميركا عندما نواجهها لن ترسل لنا باقات من الورد، وأنا أستغرب أن هناك نزعة عربية تطالب كل القوى في الغرب أن تكون أخلاقية، وأن تكون طيبة، وأن تكون بابا نويل. . وننسى دائماً أنها قوى طامعة، وأنا كررت مراراً أنه لا توجد قوى زاهدة ومتقشفة في التاريخ. . هناك قوى طامعة، والدولة العباسية كانت قوة طامعة، والدولة العثمانية كانت قوة طامعة، والدولة الصفوية كانت قوة طامعة، ويجب علينا أن نخرج من هذه المثاليات.

□ **والدولة المعاصرة؟!**

ــ كل من له موقع أو سلطة أو مصلحة سوف يدافع عنها. هذا منطق قانون الله في أرضه. هكذا يمشي التاريخ، وهذه طبيعة البشر، فأنا أستغرب أنه بين وقت وآخر يتنادى المثقفون العرب إلى مؤتمر فكري، ثم يخرجون بنتيجة مهمة وهي: إن أميركا قوة امبريالية، وأن إسرائيل قوة صهيونية معتدية، طيب قبل انعقاد هذا المؤتمر، ماذا كانت تلك القوة الأمبريالية، أو تلك القوة الصهيونية؟! هل كانت جمعية الهلال الأحمر؟! أم كانت

جمعيات خيرية؟!.. طيب يا أخي استنتج! أقصد أن هذا الخطاب الثقافي الفكري العربي الناتج من المؤتمرات، هو كثيراً ما يفسر الماء بعد الجهد بالماء، ثم إن مثل هذه المؤتمرات وهذه البيانات، إلى أين ستقود بالأمة العربية؟! يا أخي خلاص، استنتج العملية هذ! ثم ماذا بعد؟! أنت أمام قوة استعمارية لا ترحم، ولن ترحمك. بل إن العالم كله لن يرحمك! وإذا افترضنا ـ وهذا وهم ـ أنك استطعت تدمير أميركا من خلال مركز التجارة!! فسوف نظهر لك القوة الأوروبية الجديدة، والقوة الصينية، والقوة الهندية، اليوم الأساطيل الهندية تصول وتجول حول دول الخليج.. وكل هذا يعني أن الفيروسات سوف تبقى في الجو، وأنت ليست لديك حصانة ذاتية لمواجهة هذه الفيروسات.

□ **دكتور، ماذا استخلصت من مشاركتك في مثل هذه المؤتمرات خلال أكثر من ثلاثة عقود، كنت أشهدك فيها تساهم بنحو فعال؟!**

ــ ما استخلصته هو أن أقول كلمتي وأمشي!!

□ **أليس في ذلك مضيعة للوقت؟!**

ــ نعم، ولهذا أنا أعتذر عن (٩٠٪) من الدعوات التي أتلقاها للمشاركة والمساهمة في هذه الندوات والمؤتمرات وأرى أن الكثير منها مضيعة للوقت. وقتي أنا بالذات، فأنا بحاجة للتركيز على البحث والتأليف والكتابة، والمضحك المبكي في هذه الدعوات أن حواراً للحضارات يحدث في صالات فنادق الخمس

نجوم!! وأحياناً تأتيني دعوات من واشنطن ونيويورك للمشاركة في حوار حضاري!! يا أخي الحضارات تفتعل في الواقع وفي النفوس، وليس في الكلام وتبادل الحوارات، وأحياناً تجري مثل هذه الحوارات بطريقة منافقة، يعني هم عندهم ثقافة خداع بالنسبة لنظرتهم إلينا، ونحن لدينا ثقافة خداع عندما نحلل أنفسنا، يعني الحاصل اليوم هو تحاور بين ثقافتي خداع! يعني الصبي طه حسين ذلك الأعمى الذي ذهب من الأزهر بثقافة الأزهرية إلى فرنسا لم يقم له مؤتمر لحوار الحضارات، ولا منتدى لحوار الثقافات، ورفاعة رافع الطهطاوي، لم يعمل له مؤتمر للحوار الفكري والحضاري وإنما تأثر هو بحضارة الغرب، ودوَّن تأثيره بكتابه «تخليص الأبريز».. فالتفاعلات تحدث بهذا الشكل، فالحضارة الإسلامية العربية قد تفاعلت مع الحضارة الهندية، والإغريقية، والفارسية، ولم يحصل هذا التفاعل بالمؤتمرات أو بالخطب، وإنما هو تفاعل فرض نفسه من الواقع المعاش.

□ كيف نتفاعل حضارياً استلهامياً من الواقع المعاش، وهنتنغتون قد حكم على المسلمين جميعاً بحكم جائر يوم وضعهم في دائرة المدمرين والمخربين؟!

ـ أنا أعتقد أنهم بوعيهم الواهم، وثقافة الخداع التي يعيشون فيها، إنهم يدمرون أنفسهم فعلاً!! وأنا أعتقد أن العربي المسلم بوعيه الموارب والمخادع بالدرجة الأولى، يدمّر نفسه، ولا يدمّر العالم، إنما تدمير العالم نتيجة للأزمة مع النفس!!

□ **طيب ماذا عن الغرب؟!**

ـ الغرب ليست لديه ثقافة مخادعة! فعندما يُعرّف عن العرب بشكل مقلوب تماماً مثلما كتب هنتنغتون وغيره، فإنه يتعامل مع المسلمين على ضوء ما وصل إليه، وهذا الذي وصل إليه قد عززته الأعمال التي نمارسها في الداخل والخارج، فبدأت الصورة تتأصل في ذهنيتهم، وتطور الأمر إلى أن صار البعض منهم يتطاول على النبي عليه الصلاة والسلام. يا سيدي دعنا نعود إلى المفهوم البسيط والأصلي: الغرب ليس حمامة سلام، والغرب ليس كائناً بريئاً وليس مسيحاً وليس نبياً، الغرب ظاهرة حضارية، وله استراتيجية استعمارية معقدة، لذا فهو يتآمر إذا وجد فرصة سانحة للتآمر، وإذا وجد جسماً هشاً أمامه، ويستطيع أن ينفذ منه، فلن يفوّت على نفسه تلك الفرصة.

□ **ربما لأن منطقتنا تقبع فوق بركة تشكل نسبة كبيرة من احتياطي النفط، والمصنع الأوروبي لم يجد حتى الآن البديل الأرخص من النفط.. لهذا السبب، ولأسباب حضارية أخرى، نجد أن الغرب يستهدف منطقتنا بالدرجة الأولى؟!**

ـ إذاً فإن هذا الوضع يضع عليك مسؤولية أكبر، وأن تصلح من شأنك، لتقف في وجه ما يخطط لك كي تحافظ على مكتسباتك الطبيعية، وتستفيد منها.. أصلح وضعك!!

□ **كيف أصلحه؟!**

ـ على كل بلد عربي أن يصلح أموره الداخلية، فالإصلاح يبدأ

بالنظام السياسي الذي يبدأ من القمة. . فمع الإصلاح السياسي تُفتح الكوة، وتُفتح النوافذ لكل أنواع الإصلاحات.

□ لم تشخص كيفية هذا الإصلاح؟!

ـ بالتجربة الديموقراطية، بالتوافق بين القيادات والشعوب، يعني بفتح باب الحريات، حريات التعبير السياسي، حريات التفكير، حريات الاختراع، إطلاق الطاقات، طاقات المرأة، طاقات الشباب، طاقات الناس المخلصين، طاقات القوى السياسية الأخرى، طاقات المعارضة. . فبعد تجاربنا العربية المريرة، لا بد أن تكون قد تخمرت بذور واعدة في كل مجتمع عربي، ولن تنمو هذه البذور ما لم يُرفع عنها هذا السقف السياسي الاستبدادي الثقيل. لا بد أن تُفتح لكل هذه الطاقات الكوة مع الهواء الطلق، مع السماء، وسوف ترى أن الكثير من هذه الطاقات ستتفتح وتزهر، وتثمر.

□ كأنك تريد الإشارة إلى تجربة البحرين التي خطت نحو ما ذكرته في عهدها الجديد؟! هل ترى فيها أنموذجاً يجب أن يحتذى؟!

ـ بل أرى فيها تجربة عملية حدثت، وكانت بدايتها خطوة متواضعة في الإصلاح السياسي أدّت إلى زخم للطاقات الأخرى في المجتمع، فأنت في أي مكان عندما تحاول أن تفتح كوة ولو صغيرة في الإصلاح السياسي، فإنها ستكون بداية لشحذ الهمم الأخرى في المجتمع. فعندما قرر الملك الحسن الثاني أن يأتي بعبد الرحمن اليوسفي رئيساً للوزراء، كان ذلك القرار مفتاحاً

نحو الإصلاح الشامل، فاليوسفي كما نعلم كان معارضاً ومحكوماً بالإعدام، ومطارداً. . ولكن ضمن فكرة التداول، وإبداء حسن النوايا في التغيير الحقيقي نحو الإصلاح، تولى هذا الرجل رئاسة الوزارة، هذه الخطوة أسهمت ضمن عوامل أخرى في تطوير الحياة السياسية في المغرب، وفي حماية العرش المغربي نفسه في لحظة الانتقال بين ملك، وملك.

□ إذا كان ملك البحرين مقتنعاً بما ذكرت، وكذلك ملك المغرب، فكيف من الممكن إقناع نموذج آخر مثل صدام حسين وأشباهه بفتح مثل هذه الكوة في الإصلاح السياسي؟!

ـ أعتقد أن هذا تحد كبير، وإذا كان الحاكم ليس عنده الاستعداد لتطوير نفسه من أجل الإصلاح في المرحلة الراهنة، فإن هذا سيؤدي إلى كارثة، فأمتنا تواجه الآن وضعاً خطيراً، وأرجو أن أكون واضحاً عندما أقول إن الغرب يستثمر تأخرنا وخلافاتنا، وهناك فواتير مؤجلة في الوضع العربي بصفة عامة، سواء من الناحية السياسية، أو النظرة الدينية أو الوضع الاجتماعي، فالعرب عاشوا، ويعيشون حالة لا حسم لمدة طويلة، والأمل أن نقترب من الحسم المؤجل، فكما قلت هناك فواتير أخرناها، والبت في موضوع التجديد والإصلاح الديني أمرٌ لا مفر منه، والإيمان بالثورة العقلية الناقدة في العقل العربي أمرٌ لا بد منه، والتجديد في الخطاب الديني أمرٌ لا بد منه، أقول التجديد وليس التشديد. وباعتباري دارساً للنهضات الحضارية أتذكر أن الشيخ الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، كانا من المعجبين

بالحركة البروتستانية و(اللوثرية)، الذين كانوا يعتبرونها حركة تجديد في التفكير المسيحي، ويبدو لي أنهم كانوا يحاولون إحداث شيء من هذا التجديد في البلدان العربية والاسلامية، لكن الظروف ذهبت بهما في اتجاهات أخرى. ومشكلتنا نحن العرب أننا أخذنا نخلط بين الحرب الحضارية، والحرب الاستعمارية، ولا نميّز بينهما، بيد أن شعوباً أخرى كاليابان والهند والصين، قد أدركت هذه المعادلة، واستفادت من الغرب الحضاري بيد، وقاومت الاستعمار الغربي بيد أخرى.. في حين أننا دمجنا بين الاثنين وما زلنا ننظر لأميركا ولجميع القوى الحضارية بوصفها قوى استعمارية عدوانية، وهذه النظرة قد تكون في أحد جوانبها صحيحة، ولكن في الجانب الآخر، عند هذا الغرب عدة قيم كثيرة علينا أن نستفيد منها في تطوير حياتنا، وأنظمتنا السياسية والاقتصادية، والاجتماعية. والمصيبة أننا نمتلك الكثير من المقومات الحضارية الكامنة في إرثنا وفي ديننا، لكننا وبكل أسف، لا نطبقها، فمنذ ١٥ قرناً ونحن نسيء تطبيق مبادئنا، فالنظام السياسي في الإسلام نظام يقوم على السلم والعمل والمحبة، لكن واقعنا المعاش يقوم على الاستبداد والقهر، والظلم.. لماذا؟! ما دامت عندنا هذه المبادئ لم لا نطورها؟! نحن أمة تمتلك أفضل المبادئ، لكنها تعيش أسوأ الأوضاع! فأين الحلقة المفقودة؟! إنني أبحث عن جواب على هذا السؤال الذي وجهته يوماً الى الشيخ يوسف القرضاوي، ولكنه لم يجبني.. وما زال السؤال قائماً: لماذا نمتلك أفضل المبادئ بينما نعيش أسوأ الأوضاع.

□ لماذا لم يعد هناك عمالقة في الوطن العربي؟!.

ــ العملاق هو من يعطي، والعملاق هو من يؤثر، فإن استطاع أحد من العرب المعاصرين اليوم أن يعطي وأن يؤثر، فإنه سوف يستحق صفة العملقة.. لكن العالم يعيش الآن في عصر المؤسسات، عصر الجماعات، عصر الإدارات المشتركة، وكما قال محمد حسين هيكل:

«لقد انتقلنا من عصر الشخصيات الكاريزمية إلى شخصية الإدارة المشتركة، وفريق العمل..» والغرب يتقدم الآن بدون عمالقة، يعني فرنسا لم يعد عندها ديغول، وبريطانيا ليس فيها تشرشل!!

□ أين عمالقة الفكر ممن كانت كلمة الواحد منهم تغير الرأي العام بأكمله؟!

ــ أنا أعتقد أن المفكرين الأوائل قد اعتبرناهم من العمالقة لأنهم كانوا يعيشون في فترة تسمح لهم بالانتشار، لكن العالم صار ينظر إلى العمالقة من منظور آخر، ويقيّم العمالقة بشكل آخر.

□ هل انقرضت تلك الظروف الموضوعية التي كان التنويريون فيها يجاهدون من أجل إنجاح المشروع النهضوي، وبعضهم كانوا من العمالقة في معطياتهم، وفي ما تركوه من آثارهم؟!

ــ المشروع النهضوي ليس مشروعاً تنموياً مثل مشروع مارشال أو مثل نهضة اليابان بعد إلقاء القنبلة على هيروشيما، لأن اليابان قد حققت مشروعها النهضوي منذ القرن التاسع عشر، وأوروبا

بدأت مشروعاً نهضوياً منذ القرن الرابع عشر في إيطاليا (الرنيسانس)، ونحن يجب أن نفرق بين شيئين: بين مصطلح التنمية، ومصطلح النهضة، فإذا لم تتحقق النهضة الأساسية، فيجب أن نرجع لشروط النهضة قبل التنمية التي يتكلم عنها البنك الدولي اليوم.

أنا أرى أننا لم نمر بمرحلة النهوض الحقيقي، لأن النهوض لا يحدث لمجرد ظهور مفكر أو نشر كتاب أو ما شابه ذلك. النهضة تحدث عندما تكون أفكار مثقفي الأمة تعيش كالغذاء اليومي في بُنى القوى الاجتماعية وتكون لها فاعلية حيّة ومطبقة، وتعمل منها فعل تاريخي، مثلما حدث في فرنسا عندما كانت أفكار (الانسكلوبيديين)، وأفكار المفكرين أمثال فولتير، وروسو، ومونتيسكو.. وغيرهم، فلولا أن القوى البرجوازية الفرنسية التقدمية استوعبت هذه الأفكار وحولتها الى واقع حي، لما قامت الثورة الفرنسية، ولما حدث المشروع الأوروبي النهضوي.. إذاً المسألة ليست أن نأتي ببعض الأفكار أو نعقد ندوات ومؤتمرات لكي نحقق مشروعاً نهضوياً! طه حسين كانت لديه أفكار تنويرية كثيرة، ولكن أين هو حزب طه حسين؟. قد تكون لدينا في الوطن العربي عناصر ليبرالية مثقفة تسعى إلى التقدم، ولكنها لا تملك أسناناً سياسية، في حين أن القوى المناهضة لليبرالية وللثقافة وللتقدم، والقوى الأصولية، لها أسنان سياسية متجذرة في واقعنا العربي..

□ **هذه القوى المناهضة، من أين تستمدّ مرجعيتها؟**

ـ مرجعيتها أولاً من شرعية التاريخ، لأنه يحمل في ثناياه الكثير من هذه الشرعيات، والإصلاحيون والتقدميون المحدثون، لم يتمكنوا من أن يخلقوا لهم شرعية جديدة، ثم إن الأفكار الاجتماعية التي درج عليها المناهضون للثقافة والتقدم، تتلاءم تماماً مع مستويات أفكار البسطاء من الناس، يعني الريف العربي اليوم، والقرية العربية اليوم، والبادية العربية اليوم، مازالت تعيش كما كانت قبل قرون. فإذاً عندما تأتي أفكار ودعوات أصولية لجماهير تستجيب لها، فإن ذلك بسبب أن هذه الجماهير ليس لديها شيء آخر تتفاعل معه، فتبقى متمسكة بهذه الأصولية ولهذا ظلت الأغلبية الصامتة المحرومة، المضطهدة متمسكة بما لديها، وتجربة شاه إيران لا زالت ماثلة للعيان، يوم تصوَّر أنه استطاع أن يقيم (يابان) في الشرق الأوسط، لكن تلك التجربة قد فشلت فشلاً ذريعاً عندما جاءت اللحظة المناسبة، وخرجت الجماهير خلف أُناس استطاعوا أن يكرسوا أفكارهم ويُعبئوها بأفكار هذه الجماهير، في حين أن أفكار الإيرانيين كانت خليطاً من عدة تيارات، وإذا بكل هذه التيارات تنتهي لتصب في اتجاه واحد. أين أفكار مصدق، وأين أفكار حزب التودة؟! وأين أفكار كل الليبراليين والتقدميين الإيرانيين؟! أعتقد أن كل هذا حدث بسبب جذور تنمية الشاه في إيران.. فالشاه تمكن من خلق تنمية اقتصادية ليست سيئة، لكنه أخفق في خلق تنمية سياسية موازية للتنمية الاقتصادية، وتستطيع أن تحميها، لذلك فشل مشروع شاه إيران التنموي، وعلينا نحن العرب أن نستفيد من تلك التجربة، حتى لا تكون ردود الفعل أن تُحكم الأوطان من قبل تيار واحد

يعتقد أن لديه تفويضاً إلهياً للتحكم بمصائر البشر فوق هذا الكوكب.

أُنبه مرة أخرى إلى أننا في دول مجلس التعاون ـ كما ذكرت سابقاً ـ لدينا اقتصاد، ونحن نسير في الطريق نحو تنمية اقتصادية لا بأس بها، ولكن علينا أن نخلق الصيغة السياسية والتنمية السياسية المتلائمة مع هذه التنمية الاقتصادية.. وإلا فسنقع بنفس المطب المليء بالتناقضات.

□ □ □

السيد محمد حسين فضل الله

زرت لبنان منذ سنوات، والتقيت بالسيد حسين فضل الله، وكان الهدف من زيارتي له إجراء حوارٍ معه لنشره في الجريدة التي كنت أعمل فيها، لكنه لم يُنشر.

استقبلني الرجل بترحاب، وكان واضحاً أن ظروفه الصحية لم تكن تسمح له بالتحاور، لكنه أبدى استعداده حالما يتماثل للشفاء، وبعد فترة من ذلك الوعد التقيته بعدما اطلعت على مؤلفاته ودواوينه الشعرية إلى جانب مجموعة أشرطة الكاسيت وأشرطة الفيديو التي تتضمن محاضراته، حيث كان يلقيها في ندوات تقام له في أماكن متعددة.

□ □ □

□ كنت تُلقب بالأب الروحي لحزب الله، لكنك تواريت عن الأنظار والظهور، وهناك من يعزو ذلك إلى خلافٍ بينك وبين المرجعية الفقهية في إيران، فهل لك أن تسلّط الضوء على هذه النقطة؟!

ــ ما يميز الفقه الشافعي أنه يتضمن مساحة من حرية الاختلاف في الرأي والاجتهاد المفتوح، والرؤية الرسمية في الجمهورية الإسلامية تؤمن بولاية الفقيه، أي أن المرجع الفقهي المعاصر يحكم في الأرض نيابةً عن المهدي المنتظر (الغائب)، وأنا أحمل رأياً قد لا يتفق مع هذه الرؤية تماماً، وإن كنت مؤمناً بظهور المهدي الذي سيملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وهذا حديث متفق عليه عند السنة والشيعة.

□ **إذن هل هناك من سبب آخر يجعل من سماحة السيد حسين فضل الله منقطعاً عن نشاطه الذي كانت تُسلَّط عليه الأضواء منذ سنوات؟!**

ــ أولاً إن نشاطي لم ينقطع، وكما ترى أن بابي مفتوح للجميع، ولكن هذا لا يمنع أن هناك اختلافات في الاجتهادات وفي وجهات النظر في المسائل التاريخية!

□ **مثل ماذا؟!**

ــ مثلاً، أنا لي وجهة نظر في ما يتعلق بواقعة أن الخليفة عمر بن الخطاب قام بكسر ضلع السيدة فاطمة الزهراء، فهذا المنطق لا يستقيم، فالسيدة فاطمة عليها السلام، سيدة نساء العالمين كما وصفها رسول الله، ثم إنه من غير المنطقي أن يأتي الخليفة عمر بن الخطاب إلى بيتها، ويحصرها خلف الباب لتطرح جنينها محسن الذي سمّاه رسول الله محسناً، وهناك الكثيرون ممن يرددون هذه الرواية ويؤمنون بها، ولكنني أبديت تحفظي، وقدمت تبريراتي، وبكل أسف جوبه كل ذلك بالرفض لدى

العديد من المؤسسات في العالم، بل وخرجت المظاهرات محتجةً على إبدائي مثل هذا الرأي!

□ هل يعقل أن يحدث ذلك لسيدة نساء العالمين في حضور الإمام علي بن أبي طالب الذي عُرف بالفروسية والشجاعة؟!

ــ هذا ما كنت أقوله! لكن أنصار اشتداد بذرة العداء بين أبناء الدين الواحد، ما سرّهم قولي هذا. من هنا تجد أن البعض صار يتجنب الاحتكاك بي إيماناً منهم بصحة مثل هذه العينة من الروايات وسواها، وبالمناسبة، الروايات التي تثير البغضاء بين المسلمين منتشرة عند كلا الطرفين سنّة وشيعة، وكلها تسري سريان النار في الهشيم، لبث التنابذ بينهما، كأن الأقدمين قد أكلوا الحصرم، ونحن بعد قرون على أكلهم إياه، ما زلنا مُضرسين!!. ويا ويلنا من أولئك الذين يغذّون مثل هذه الخلافات.

□ هل أنت وراء الاسم الذي أطلق على «حزب الله»؟!

ــ «حزب الله» مصطلح قرآني: (إن تنصروا الله ينصركم). وأنا أرى أن انتصار الإنسان قائم على شروط، هناك شرط يأتي من الإنسان. وهناك شرط من خلال الظروف المحيطة بالإنسان. فالله جل وتبارك يقول: من شروط نصر الله لكم هو أن تنصروا الله، يعني أن تنطلقوا في نصرة الله، وأن تنطلقوا من طريق المواقع التي يحبها الله في حركة الإنسان في الحياة، وليس معنى ذلك أن الإنسان بمجرد أن ينصر الله فإن الله ينصره على

المستوى المادي! وإلا فكيف هُزم المسلمون في (أُحد)، وكيف خاف المسلمون وزلزلوا في «الأحزاب»، وفي «حنين»؟!!. ليس معنى (إن تنصروا الله ينصركم) بمجرد ما الإنسان ينصر الله، فإن النصر حليف له رأساً! لا، هذا معناه أن من شرائط النصر هو أن تنصروا الله بل إن الله قد يحبس النصر نتيجة عدم توفر الشروط التي تقتضيها سنة الكون، لأننا ننظر إلى القضية من زاوية واحدة، لكن الله ينظر إليها من جميع الجهات.

أما عن السؤال في ما لو كنت أنا وراء مسمى «حزب الله»، فاسم حزب الله ليس بجديد، هناك الكثير من المنظمات أطلقت على نفسها هذا المسمى، ومنها حزب الله في مصر في الخمسينيات.

□ ما هي فلسفة حزب الله؟!

ــ يجب علينا أن نحمل كمسلمين الدعوة إلى الله. يعني أنت لا تستطيع أن تقول: أنا مسؤول عن نفسي فقط، فأنت إلى جانب مسؤوليتك عن نفسك، عليك مسؤوليات أخرى، والدعوة الإسلامية ليست من مسؤوليات المشايخ والعلماء فحسب! لا، يجب أن نحمل لواء الدعوة إلى الإسلام. نحاول أن نثقّف أنفسنا بمقدار ما نستطيع، ننمّي معلوماتنا. حتى عندما ننطلق إلى العالم الآخر يتحول كل واحدٍ منا إلى داعية إسلامي بحسب حجمه وإمكاناته، فالإسلام دين فطرة، يجتذب الذين يتفهمونه كما حدث لعددٍ كبير من فلاسفة الغرب ومثقفيه ممن اعتنقوا الإسلام، ففلسفة حزب الله تقوم على عالمية الدين الإسلامي وتواؤمه مع الإنسانية جمعاء.

□ **إذا كان الأمر كذلك، فأين تصنف المواجهات العسكرية لحزب الله مع إسرائيل؟!**

ـ إن المواجهة العسكرية لا تنطلق من حالة انفعال أو حماسة! نحن نريد أن نواجه الأعداء الإسرائيليين، ولكن نريد أن نواجههم ضمن خطة نستطيع أن ننتصر عليهم فيها، دون أن تكون تلك المواجهة أشبه بالحالات الانتحارية التي لا نتيجة لها، فإسرائيل ليست عدوة للإسلام فحسب، بل هي عدوة للإنسانية، ومواجهتها عسكرياً شرط من شروط إيماننا بديننا كمسلمين.

□ **هل من تفسير منطقي لهذه الرؤية في المواجهات العسكرية في ظل الظروف السياسية الدولية الراهنة؟!**

ـ التفسير المنطقي ينطلق من الفهم الحقيقي للإسلام، فمن لم يهتم بأمور المسلمين، فليس منهم. وهذا يعني أن يكون الإنسان المسلم متفاعلاً في نفسه وفي فكره وفي مواقفه مع جميع قضايا المسلمين في العالم، وألا يعزل نفسه عن قضايا المسلمين، وأن الإنسان العربي المسلم الذي لا يفكر إلا عربياً فقط، يكون بذلك قد حصر حدوده ضمن الوطن العربي، بينما لو فكر بتوسع اهتماماته لأصبح بمستوى عقيدته الإسلامية الكبيرة! على الإنسان المسلم أن يكون ذا عقلية جدودية متسعة باتساع طموحاته لحدود رقعة الإسلام.

□ **أين تضع الموازين الدولية والامتثال لقرارات الأمم**

المتحدة والقوى العالمية الكبرى في هذا المنطق الذي تفضّلت به؟!

ــ تقصد أميركا؟! التعامل مع أميركا يجب أن يكون منطلقاً من مفهومين: المفهوم الأول، أن تكون الدول تابعة لأميركا، ولا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال هذه التبعية تحمل مصلحةً للإسلام والمسلمين!!

أما المفهوم الثاني، فهو إيجاد علاقات ديبلوماسية، وعلاقات اقتصادية، وتجارية، يمكن أن تكون في بعض الحالات فيها مصلحة للإسلام ضمن حدود. لكن هل أميركا والقوى الكبرى كما تسميها، وقرارات الأمم المتحدة، كانت منصفة للإسلام والمسلمين في يومٍ من الأيام؟!.. أعطني دليلاً واحداً على ذلك؟!

□ **ولكن يا سيدنا، إن تلك الموازين السياسية في العالم صارت تقاس وفق مفاهيم وقرارات دولية؟!**

ــ في كل الأزمات التي نواجهها في حياتنا كمسلمين والتي لا نستطيع فيها إيجاد حل منطقي لأي أزمة منها، علينا أن نتعامل معها تعاملاً واقعياً، بحيث لا تسيء تلك الأزمة إلى القضايا الأساسية في الحالات التي نتحرك فيها على الأرض لأن الأزمات والمشاكل التي نواجهها كمسلمين قد تأخذ الكثير من قضايانا وقد تتغلب علينا في تفاعلاتها وفي إيماءاتها وربما في نتائجها، فليس أمامك عندما تواجهها في غياب الحلول المنطقية سوى أن نخفف فيها من خسائرنا. من هنا علينا أن

نتعايش مع الأزمات في غياب إمكانات الحلول للتخفيف من وطأتها قدر المستطاع، لأن الاستسلام الكلي للخسارة في المواجهة يعني القضاء علينا نهائياً، وهذا ما يجب ألاّ يحدث عند العقائديين الرساليين المؤمنين بدينهم.

□ ألا يوحي ذلك المفهوم بأن سماحة السيد حسين فضل الله يؤمن بشعرة معاوية؟!

ـ أن ننطلق كمسلمين من موقع قوة في هذا العالم باعتبارنا جزءاً منه لا بد لنا من مواجهة الصراعات، والصراع بطبيعته جزء من التكامل في الحياة، لأنه يمنحك القوة عندما تحتاج إلى القوة من أجل أن تتوسع في دعوتك، أو تتوسع في نفوذك، أو تتوسع في حركتك نحو تحقيق أهدافك الكبيرة. وعندما تدرس العالم من حولك وما يختزنه من قوى ومن إمكانات يمكن أن تؤثر عليك سلباً لتستعد لمواجهتها، فإن ذلك لا يمت إلى شعرة معاوية بصلة، وإنما يمت إلى «أعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، فشعرة معاوية تؤسس لمنطق غلبة الباطل على الحق، وهذا ما لا نرتضيه لأنفسنا كمسلمين.

□ كيف ينظر سماحة السيد إلى إمكانية دخول الإسلام كقوة تأخذ مكانها إلى جانب القوى الكبرى في العالم؟!

ـ هذا أمر يصعب تحقيقه في الظروف الراهنة، فعوامل التخلف في العالم الإسلامي تحول دون وصوله إلى مستوى ما وصلت إليه الدول المتقدمة، لكنني متأكد أن الحركة الإسلامية العالمية

المعاصرة لو استطاعت أن تجتذب اهتمامات المسلمين أنفسهم ليعوا دورهم في وسط هذا العالم المتصارع، لكان ذلك بداية لتطور قد يحصد المسلمون ثماره خلال عقود قليلة من الزمان.

□ كيف ينظر السيد إلى دعوة البعض وترويجهم لقيام دولة عربية قومية؟

ــ لا بد أن تنطلق من الإسلام بحيث يكون الإسلام فكرها وطابعها وحركتها والعنصر الأساسي في شخصيتها، فالنبي (ص) بارك حلف الفضول مع أنه ليس حلفاً إسلامياً، لكنه كان مسروراً من عناصر ذلك الحلف. فالإسلام إذن لم يرفض الوحدة أو التحالف بين الأقوام، لكنه يرفض أن يكون عنوان هذه الوحدة يحمل فكراً قومياً عنصرياً يفصل ما بين الناس ودينهم، بمعنى أنني لا أريد أن تكون القومية عنصراً حاجزاً بين المسلمين وبين قضاياهم المصيرية والخصوصية بالكامل، فهذا لا يتبناه الإسلام الذي دعا إلى نبذ العرقية، ورحّب بـ (إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) وذلك يشمل كافة الأعراق والأجناس بل والمعتقدات ضمن إطارٍ عام يستوعب الجميع وهو الإسلام.

□ العالم من حولنا مليء بالصراعات، فكيف يحدد السيد من هم الأعداء ومن هم الأصدقاء؟!

ــ أعداؤك ثلاثة: عدوك، وصديق عدوك، وعدو صديقك، وأصدقاؤك ثلاثة: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك.

نحن نفهم الإسلام من هذه المقولة الإسلامية، والله سبحانه وتعالى يريد منا أن نحول العالم إلى أصدقاء لنا، ولقضايانا من أجل أن يقوى الإسلام بذلك أكثر، وأن يعيش الناس في تلك الأجواء الحميمية تجاه الإسلام إذا لم يتمكنوا أن يعيشوا أجواءه الفكرية ومفاهيمه العقائدية. إن الإسلام يعمل على أن يجمد كل التعقيدات التي يثيرها الآخرون من الذين يقفون في الموقف المضاد له، فالله سبحانه وتعالى حدّد ذلك بـ (فإذا الذي بينك وبينه عداوةٍ كأنه وليّ حميم).

□□□

محمد سعيد الصكار

التقيته في أبو ظبي منذ عدة سنوات، وحاورته، فوجدت فيه نمطاً متميزاً من المثقفين، يكاد أن يكون نسيجاً وحده، فهو ظاهرةٌ نادرة، يذكّرنا بأولئك المثقفين الذين تركوا بصماتهم الإبداعية على امتداد حقبٍ تاريخية لأن الصكّار، في معطياته الأدبية والفكرية والفنية، يستنبط دائماً جديداً لم يسبقه إليه أحد.

وهو يعيش بعيداً عن نماذج أولئك المثقفين ممن يكتظون بكمٍّ معرفي فيتخذون منه وسيلةً للإبهار طوراً، وللارتزاق طوراً آخر لأنه يمارس حياته ملتزماً بدوره ـ كمثقف ـ شعبي، شمولي المعرفة، ويرى: أن الثقافة تفقد مقوماتها إذا ظلت حكراً نخبوياً، وتنسلخ عن دورها النبيل إذا ما مورست بفوقية وتعال. ولهذا فالصكار غاية في البساطة في تعامله مع من يحيطون به، لكنه غير مهادن على الإطلاق لكل ما يمس الثوابت التي يؤمن بها، وفي مقدمتها حرية الإنسان.

الصكّار. الكاتب، والشاعر، والخطاط، والرسام، كان صريحاً

معي في هذا الحوار الذي اشتمل على العديد من القضايا السياسية والفكرية والأدبية، وحلّق بما عرف عنه من رهافة حسٍ متدفق كثورة بركان ظل مختزناً حممه التي تفجّر البعض منها وهو يتحدث إليّ.

□□□

□ **التلفزيون صار يُشكل الوعي الجماعي، هل أصبح هو البديل عن مقومات عناصر الثقافة المعاصرة؟**

ـ لا أعطي التلفزيون إلا القليل من وقتي، لأنني أخجل أن أقود نفسي إلى هذا الخواء الذي يسرق الوقت، ولا يعوضه بفائدة، ولولا بعض المقابلات الثقافية، وبرامج الطبيعة والأخبار، وهي نفسها في كل القنوات، لأرحت نفسي منه.

وفي هذه البرامج القليلة التي أشاهدها، أخرج وفي لهاتي غصة من اللغة الهجينة والنحو المستباح، والمعلومات المشوهة. وهذه الطاقة المسماة فضائيات، أليس من يراقبها ويراقب مفعولها على الناس، وإفسادها للذوق العام، بما تبثه من برامج سطحية؟! أما الأغنيات، فهي مقتولة مرتين، مرة بتفاهتها، ومرة بالفيديو كليب.

□ **أتطمح إلى أن تكون الحالة الثقافية هي الأكثر انتشاراً في الفضائيات؟!..**

ـ فاقد الشيء لا يعطيه! لو كانت هناك ثقافة في الفضائيات لما قامت أصلاً، لأن الثقافة هي البضاعة الوحيدة المضمونة الكساد

في الفضائيات، المهم الإعلانات والفرفشة المفتوحة، وهي غالباً ما تطرح مفاهيم ساقطة، وغير مسؤولة، فضلاً عن الفوازير المنهوكة.

□ ألا ترى أن التغني بأشعار نزار قباني يعد ظاهرة إيجابية؟!

ـ لست من هواة الطرب، ولكني من هواة الفن صوتاً ولحناً. لا أستمع إلى الأغاني الجديدة إلا من باب (تعذيب النفس) للوقوف بين حينٍ وحين على مستوى التدني والهبوط المتسارع. وأشعار نزار المغناة، لم أستمع إلى أكثر من أغنية أو اثنتين منها، ولمرة واحدة. وإذا كان هناك تسابق على غناء أشعاره الجميلة بين المغنين، فأظنها التماساً للوجاهة، وليس لقيمتها الفنية.

□ بالمناسبة، هل غُنيَت بعض أشعارك؟!

ـ نعم غنت لي سيتا هاكوبيان، وطالب غالي، وحميد البصري، وكلهم من المطربين العراقيين.

□ قال لي الشاعر مصطفى جمال الدين: «إن مظفر النواب، لم يقل في أشعاره الفصيحة سوى قصيدة واحدة وهي «وتريات ليلية»، ثم أخذ يكررها في كل ما قاله من قصائد فصيحة تلتها». ويرى أن مظفر النواب شاعر بالعامية أفضل منه بالفصحى، وباعتبارك صديقاً للشاعرين، ما تعليقك على ما قاله جمال الدين؟!

ــ مصطفى جمال الدين صديق عزيز، وهو شاعر موهوب، وناقد جيد للشعر، وإذ يقول ذلك عن مظفر النواب، فهو يعني في ما أرى، وحدة الجو الشعري لدى مظفر، ولكن مظفر ولج باباً جديداً تماماً في الشعر الشعبي العراقي، وفتح للشباب مجالاً، ما زال مفتوحاً، سواء في الموضوع الشعري أو في لغة الشعر، أعني قاموسه، وأحسب أنه ليس من الميسور دائماً أن يكون الجو الشعري جديداً.

أما رأيه في شعر مظفر الفصيح، فأنا أتفق معه تماماً، وقد سبق لي أن قلت ذلك لمظفر قبل قرابة العشرين سنة، وكان مظفر في قصائده التحريضية يريد أن يوصل صوته إلى أوسع رقعة في بلادنا العربية، لذلك كتب بالفصحى.

□ **هناك من يرى أن المنافسة في مجال الثقافة بين الأقطار العربية قد جعلت البعض منها يحتكر ظواهر الإبداع الثقافي لنفسه فقط، غير عابىءٍ أو معترف بإبداعات الآخرين، فصار الترويج أكثر لثقافة هذا البلد على حساب سمعة الثقافة في بلدان عربية أخرى، فهل لك رأي في هذه القضية؟!**

ــ نعم لي رأى، وما أشرت إليه في سؤالك أمرٌ واقع، ولكنه مرفوض في نظري. وقد سبقه بوقتٍ طويل النقد الأدبي الذي كان يسلط الضوء على الإنتاج المحلي وحده، ومصر نموذج لذلك، فقد كانت العناية بشعراء مصر أكثر من العناية بمعاصريهم من شعراء العربية عموماً، فالبحوث والدراسات والنقد لم تعط

عمر أبو ريشة، أو أمين نخلة، أو الجواهري، ما أعطته لأحمد زكي أبو شادي، أو محمود حسن إسماعيل، أو غيرهما. وأنا هنا أتعمد ذكر هذه الأسماء من الجيل السابق، لترى أن المسألة قديمة. وعليك أن تقيس ما كُتب عن صلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، وأمل دنقل، ومحمد عفيفي مطر من مصر، مقابل ما كُتب في مصر عن أدونيس، ومحمود درويش، ومحمد الماغوط، ومحمد علي شمس الدين، وسعدي يوسف، وممدوح عدوان، وغيرهم من المبدعين!!..

□ **الكثير من المثقفين من ذوي الاتجاهات اليسارية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، انقلب البعض منهم رأساً على عقب. ألا ترى أنها ظاهرة غريبة أن ينقلب عدد من هؤلاء على مبادئهم، ويميطوا اللثام عن وجوه كأنها موغلة في الثقافة البرجوازية والرأسمالية؟!..**

ـ هؤلاء يتمتعون بحاسة شم قوية، ويتحسسون عن بعد مواطن الخطر، ومكامن المنفعة، لذلك فهم يستبقون الأحداث قبل وقوعها، والظاهرة، إن كانت ظاهرة، فهي مبنية على هشاشة الموقف، والتباس الرؤية منذ البدء، والتأسيس على رؤيات غير واقعية مما يساعد على اختلال التوازن من أول عثرة. والمسألة لا تتعلق بسلامة النظرية بقدر ما تتعلق بالبالغة بمصائر الأمور!!

وأنا من حيث المبدأ، لا أعترض على تصويب المواقف، إذا لاحظ المثقف أنه جانب الحقيقة وقتاً ما، ثم عمد إلى تصويبها،

هذا أمرٌ محمود وموضع احترام، ونموذجه أخي هادي العلوي، الذي كان يصوب رأياً كان قد طرحه في كتابٍ سابق، فيصححه في الكتاب التالي معتذراً بعدم كفاية معلوماته عندما طرح ذلك الرأي، ولكن أين الثرى من الثريا؟!..

□ حالات العنف التي اكتنفت حياتنا في العالم العربي في الأربعة عقود الماضية، هناك من يعزوها إلى تأثيرات كتاب «معالم الطريق» لسيد قطب، كمثقف عربي كيف تنظر إلى هذا الموضوع؟

ــ أنا أقول: لا عاصم، ولا ملاذ من دوامة الدم هذه، التي تراق في بلادنا إلا بالديموقراطية، قد يُتوهّم أن هذا القول يدخل في إطار اختزال المحنة، واللجوء إلىٰ التعميمات، ولكنني واثق بأن لا حلَّ غير هذا. والديموقراطية لا تتوفر مع الأسف في الصيدليات لكي نأخذها، ونتداوى بها، وقد كان لي رأي في ذلك كررته في كتابات عدة، وهو علاج طويل الأمد، ولكنه ناجع، وهو إعادة النظر الشاملة في كل مناهج التربية العربية، والتأسيس لأجيال تعرف كيف تتحاور وتتساجل، وتختلف، وتعرف أن ذلك حق صغيرٌ من حقوق وجودها. وقبل ذلك، أن نعلمها حجمها الحقيقي في المحيط الإنساني، بدون استعلاء، ولا تبجح، أكثر مما تتيحه الحقيقة، ويسنده التاريخ، كما نعلمها الاعتداد بالنفس كبشرٍ ذوي عزة وكرامة، تحترم عزة الآخرين وكراماتهم.

□ باعتبارك خطّاطاً متميزاً، تُقام للخط المسابقات

والمؤتمرات في تركيا، رغم أن هذا البلد، قد ألغى رسمياً الكتابة بالخط العربي!!.. فهل من الممكن أن تسلط الضوء على هذه الظاهرة؟

ــ المؤتمرات، والمسابقات، والجوائز التي تقام في تركيا هي مشروع ثقافي تسنده المملكة العربية السعودية لغرض صيانة هذا الجانب من التراث العربي، وهو مشروع جيد رغم ما يعتريه من إجراءات متزمتة تجعله محصوراً في إطار التقاليد العتيقة، سواء من الناحية التطبيقية، أو من ناحية المواد المستعملة فيه، ولا تأبه أبداً بإمكانية تطوير الخط العربي لكي يأخذ دوره في الحياة المعاصرة ومتطلباتها.

أما موضوع ممارسة الخط العربي في تركيا، رغم إلغائها رسمياً الكتابة بالحروف العربية، فأمرٌ يبعث على الاعتزاز فعلاً، فهناك مجموعة موهوبة من الشباب الأتراك منصرفة بجدٍ إلى مواصلة هذا الفن، وهم يؤدونه بأفضل الأساليب، وبنفس القوة التي كانت لأسلافهم، إضافةً إلى الممارسة المتواصلة لفنون الزخرفة العربية والإسلامية، ومن خلال اتصالي بعدد من أولئك الشباب هي عرفت أن رقعة الاهتمام بالخط العربي تتسع بينهم، وذلك أمر باعثٌ على السرور.

□ **أنت تسعى منذ سنوات لتطوير الخط العربي، فإلى أين وصلت في جهودك؟!**

ــ هذا أحد همومي الفنية، وقد سبق لي أن قدمت مشروعاً متكاملاً إلى وزارة الإعلام العراقية عام ١٩٧٣، أشرت فيه إلى

مخاطر انسلاخ الشعوب الإسلامية التي تكتب بالحرف العربي عن حظيرته، ودعوت إلى إنشاء (مركزٍ لتطوير الخط العربي) يُعنى بكل جوانب هذا الفن، ويولي هذه النقطة عناية خاصة، ويدعو إلى مساعدة هذه الشعوب في حل الإشكالات التي قد تصادفهم باستعمالهم للحروف العربية.

وقد بحثت هذا الموضوع مع وزارة التربية الكويتية عام ١٩٨٦ عندما دعتني لتأسيس معهدٍ للخط العربي في الكويت، وطرحته أيضاً في مناقشتي مع جامعة آل البيت في الأردن حين دُعيت لتأسيس فرعٍ للخط في الجامعة، وهي مشاريع استقبلت بحفاوة، ولكنها لم تَتحقق، ولا أعرف السبب!!.. وما زلت مقتنعاً بأن إنشاء مركزٍ لتطوير الخط العربي قائم على المعايير العلمية الأكاديمية كفيل بمعالجة هذه القضايا وغيرها.

□ ألا ترى أن الخط العربي المبرمج في الكمبيوتر قد يساهم في القضاء على صناعة الخط العربي عند الأجيال القادمة؟!

ـ كلا، لا خطر على الخط العربي من الكمبيوتر. حروف الكمبيوتر حروف للطباعة ومشتقاتها، وهي حروف صناعية، أما الخط فهو فنٌ يحمل دفء الحركة، شأنه شأن بقية الفنون التي تتدفق فيها الحركة الإنسانية، واللمسات الخاصة بالفنان، وهذا مما لا يعوّض، ولا يُقلَّد. خذ الغرب مثلاً، حيث تتوفر آلاف الأنواع من الحروف الطباعية، ولكن الخط قائم، بل أقول عن علم بأن أعداد الخطاطين في أوروبا وأميركا تتزايد يوماً بعد يوم.

ففي فرنسا مثلاً لم يكن للخط حضور قبل ربع قرن، أما الآن فهناك العديد منهم، وفي مقدمتهم كلود ميديا فيللا، وجان لارشيه، وهما من أصدقائي، وقد شاركنا معاً في أكثر من معرضٍ عالمي. أما في أميركا، وألمانيا، ويوغوسلافيا، وبلجيكا، فالخط أنشط، وهناك مجلات متخصصة للخط في أميركا ـ سبق أن نشرت لي بعض أعمالي ـ وقبل بضعة أعوام اشترك ستون خطاطاً من مختلف الأقطار في معرضٍ طاف عدة دول، وكنت العربي الوحيد المشارك فيه. القصد من هذا الاستقصاء هو التوكيد على أن حروف الكمبيوتر نشاط فني، صناعي، يختلف عن الخط كفنٍ، ولا يكون بديلاً عنه.

□ ما هي حكايتك مع الكمبيوتر؟ هل أصبح وسيلة للسطو على جهودك؟!

ـ ليس الكمبيوتر بل شركات الكمبيوتر هي التي تسطو!!.. ١٧ نمطاً من أنماط خطوطي المعروفة بـ (حروف الصكّار الطباعية)، سطي عليها، وراحت تقدم هدية مجانية مع بعض البرامج.. ولم يكلف السارق نفسه، حتى بتحويرها لتغطية قرصنته، وكل ما فعل هو تغيير اس (حرف ريا) إلى (حرف ربا)، و(حرف سومر) إلى (حرف سوما)، وهكذا.. وأنا أحتفظ بحقوقي القانونية لمقاضاة كل من يبتزّ جهودي.

□ لماذا يرى البعض أن بغداد هي عاصمة الخط العربي؟!

ـ بغداد عاصمة أطول الحضارات العربية عمراً، أعني الحضارة

العباسية، حيث ازدهرت أجمل عطاءات الإنسان في الفكر والفن والأدب، وقامت فيها أوسع حركة استنساخ، وقد ساعدت هذه الحركة على تطور الخطوط، وتنوعها، وبروز العديد من الخطاطين الموهوبين الذين رفدوا تراثنا بأجمل الخطوط، وأكثرها عدداً. وفي بغداد نفسها قُنن هذا الفن، ووضِعَت له أولى القواعد على أيدي الوزير ابن مقلة.

□ **أليس ازدهار فن الخط بسبب غياب الرسم الشخصي الذي يحرمه بعض الفقهاء؟!**

ــ هناك من يقول بذلك، إذ إن الفنان بحاجة إلى أن يجد متنفساً لتوتراته الداخلية، وهمومه الفنية، فإذا حُرم من مجال الرسم والنحت، انصرف إلى الخط والزخرف، يبحث فيهما عن بؤرات يمكن أن يشحنها بالرموز الدقيقة، ويصرف من خلالها هواجسه، وانفعالاته التي لا يحملها إلا هذا اللعب الجميل بالخطوط والألوان، وبناء الأبعاد والسطوح، وتبادل الكتلة والفراغ، التماساً للتوازن الداخلي من جهة، وتحقيقاً لتوازن الذات والمحيط من جهة أخرى، وبمرور الزمن صار بديلاً للفن الغائب، ونما وتطور على حساب هذا الغياب.

هذا القول، قيل في الواقع، لكنه قيل في وقت متأخر، في وقت الاستشراق، وهو وقتٌ تُمدح فيه عن يمينك، لتُذّم عن يسارك!!

مع أن الرسم الشخصي ما غاب غياباً نهائياً عن المسلمين، فصور الوجوه البشرية كانت مضروبة على النقود من عهد الراشدين إلى منتصف العصر الأموي، بل إن هناك روايات تقول أن صوراً

لإبراهيم الخليل، وعيسى بن مريم، والملائكة، كانت موجودة على جدران الكعبة قبل أن يفتحها المسلمون، فلما كان يوم الفتح، دخل النبي (ص)، وشاهد الصور، فوضع كفيه على صورة عيسى وأمه وقال: «أمحو جميع الصور إلا ما تحت يدي». . جاء ذلك في (أخبار مكة، لأبي الوليد الأزرقي المتوفى عام ٢١٢هـ)، وكانت الأقمشة والستائر، والدور، والقصور في ما بعد، حافلة بالرسوم، لكن هذا الفن، وخاصةً النحت، انحسر فترةً خشية أن يستدعي التشخيص إلى الذاكرة صور الأوثان، وطقوس الجاهلية، في بداية دينٍ ما زال طري العود، ونفوس الناس تنزع إلى التذكر، وتحنّ إلى الماضي بالطبيعة.

ما كان لهذا الاسترسال من داعٍ لولا رواج فكرة التحريم، واعتبار الخط بديلاً للرسم بين مثقفينا الذين يتناولون الآراء على عجل، ويحتجون بما يكتبه عنا الأجانب، دون تمحيص أو مناقشة، ودون الرجوع إلى مصادر تاريخنا نفسها، ودراسة المصادر الأساسية لفن الخط.

□ **هل القمع الثقافي وكثرة الممنوعات، حالت بين الصكّار، وبين التعبير عما يريد أن يقوله، فلجأ إلى الخط باعتباره جواز المرور الوحيد الذي يستطيع أن يعبّر به عن نفسه؟! . .**

ــ هذا تصورك؟! . أنا أظنّ الأمر معكوساً بسبب غزارة الإنتاج الكتابي قياساً إلى الرسم بالنسبة لي، أنا يا سيدي أستخدم كل ما أقدر عليه من الأساليب الكتابية، شعر، قصة، مسرح، طرائف،

تراثيات، أخوانيات، وهناك أشياء كثيرة أتحرج من نشرها، ولكنها تظهر بأسماء مستعارة لأنها تدخل في خانة الممنوعات أكثر منها في خانة المحرمات.

□ ما دمت قد جئت على الأخوانيات، وحسب علمي أن لديك كمّاً هائلاً منها، فهل لنا أن نخرج قليلاً في حوارنا هذا من الجدية التي اصطبغ بها، إلى شيء من الركون إلى المرح؟!

ــ هو ليس مرحاً كاملاً، ولكن نقف أمام بعض الومضات التي عبّرت فيها عن أحاسيسي ومشاعري بالغربة، حيث إن الكثير من أشعاري ولوحاتي، تحفل بالحنين والتذكّر:

لعمري لئن طالت بباريس غربتي وآنست فيها كل كنت هاويا
لأعلم أني في العراق مُضيّعٌ ومغتبطٌ أن للعراق مآليا

□ هل من مزيد؟!

ــ المجالس الأدبية هي إحدى المظاهر البارزة في الأدب العراقي، حين تُعقد هذه المجالس بأوقات منتظمة، وفي أماكن مختلفة، خصوصاً في النجف، والبصرة، وبغداد، والكاظمية، والموصل، وغيرها. وهذه المجالس تضم عادةً كوكبة من الأدباء والشعراء، يتبادلون الأشعار والأخبار والطرائف الأدبية والمداعبات، والأخوانيات التي تشتمل على قصائد ومداعبات ومساجلات، وهذه غالباً ما تبقى مطمورة ولا تُنشر إلا بعد أن يأخذ الله أمانته، وتصير في ذمة التاريخ الأدبي والاجتماعي، فهي تكشف عن طبيعة العلاقات بين الأدباء وأريحيتهم،

ومجالسهم الخاصة، التي قلّ ما يطلع عليها الناس. وأنا مولعٌ بهذا النوع الذي يخفف شيئاً من أعباء النفس، ويجدد طراوة الروح، وهي من الكثرة بحيث تؤلف كتاباً، وأنا أحفظ الكثير منها عن ظهر قلب.

□ هل نختم حوارنا هذا بالإتيان على ذكر البعض منها؟!

ـ يا أخي، هذا حديث مجالس خاصة، والمجالس بالأمانات!!.

□ إذاً حدثني عن صداقتك مع السيجارة، وهي صداقة حميمة، كم مضى عليها؟!

ـ قرابة نصف القرن أي ٥٠ عاماً. وأنا أتذكر في هذا المجال قول الشاعر أحمد صافي النجفي:

تخذتها أمةً يوماً وصرت لها عبداً، وهـأنـا أفـنـيـهـا لـتـفـنـيـنـي.

وأذكر أنني كنت أراجع طبيبي في باريس، وكان يأمرني بأن أترك التدخين، وقد تكررت أوامره إلى حد ضايقني، فقلت له: «إذا ظللت تصر على تركي التدخين، فسأتركك أنت وأذهب إلى طبيب من أصدقائي، يسامحني على الارتباط بصديقتي السيجارة!!.. فأغرق الطبيب الفرنسي بالضحك، ولم يعد يأتي على ذكر صديقة عمري.

□ ألا تخشى على يدك من الارتجاف وأنت تخط وترسم؟!

ـ بل أخشى. وحينما كانت بغداد تقصف في حرب الخليج

الثانية، تجمدت يدي نتيجة التوتر النفسي، إذ بدأ الخدر في إصبعي التي تتكىء عليها القصبة، واستمر حتى شل نصفي الأيسر بكامله، وبقيت لأشهر لا أستطيع تحريك يدي، وقد كتبت في ذلك قصيدة بعنوان: «يدي»، ومع أنني لم أشف إلا بعد سنتين، فقد فوجئت بأمرٍ لم أفهمه حتى الساعة، إذ ضعفت كتابتي اليدوية ضعفاً كبيراً، وما زالت، ولكن خطي بقي على قوته، ومرونته، ولم أفهم حتى الآن أسباب ذلك.

□ أخ صكّار، هناك من يقول أن حركة تجديد الشعر العربي المعاصر لم تبدأ من السياب، ونازك الملائكة، والبياتي، وإنما بدأت من قبلهم عند أحمد علي باكثير، عندما ترجم في الثلاثينيات من القرن الماضي مسرحية شيكسبير «روميو وجولييت» شعراً، وأيضاً ديوان «بلوتولاند» للويس عوض، الذي كتبه في أوائل الأربعينات، قبل الرواد من العراقيين، فلماذا يستأثر العراقيون بالريادة في مجال الشعر الحديث، وهناك من سبقهم إليه؟!

ــ لا شك في أن استشراف الأمور مهم، ولكن هذا الاستشراف يبقى محدود الجدوى ما لم يعزز بالتطبيق، وإذا كان استشراف من سبق السياب ونازك الملائكة والبياتي إلى الآفاق الممكنة لتطوير الأسلوب الشعري واقعاً، فهو لم يزد عن كونه استشرافاً وتجربةً محدودة، وهذا بحد ذاته أمرٌ جيد، ولكنه مبتور. وفضل السياب ونازك الملائكة في أنهما قدما رؤية عملية لهذا التطوير، ومشروعاً فنياً واضح المعالم، اتسم بالممارسة والتنظير، ولم

يكتف بالتجربة الاستشرافية. ويكفي أن نشير إلى أمرٍ تاريخي لا نزاع عليه، وهو أن حركة الشعر الحر لم تبدأ وتتسع ابتداءً من باكثير أو سواه، إنما بدأت بالفعل من محاولة السياب، ونازك، وتواصلت بانهماكهما في هذه التجربة والتنظير لها، وبمن اقتفى أثرهما.

□ كلما سعيت لأن أختم هذا الحوار، استجدّت عندي بعض التساؤلات..

ــ يا صديقي سل ما بدا لك!!

□ ليت أنك تحدثنا عن ذكرياتك مع الأدباء والشعراء الذين يقاسمونك الغربة؟!

ــ هم كثر، ولكني سأختار الحديث عن أربعة: الجواهري، وبلند الحيدري، ومصطفى جمال الدين، وهادي العلوي.

الجواهري، كان يتصل بي هاتفياً من دمشق ويقول لي: «أبا ريا أريد أجي يَمّك ولا أريد استقبالاً رسمياً! أريد فقط شقة في حي الفقراء! وعندما أسأله: أين هو حيّ الفقراء في باريس؟ يقول لي: «سان ميشيل!!».. فأقول له: يا أبا فرات هذا كان حي الفقراء في زمانك، فيجيب: «المهم أريد شقة في الطابق الأرضي، أو في بناية فيها أسانسير لأنك تدري يا أبا ريا أن الإنسان عندما يبلغ الأربعينْ يصعب عليه صعود السلالم!!».. فأسأله: «وهل بلغت الأربعين يا أبا فرات؟!». ونستغرق في ضحك طفولي، ثم أرتجل له هذه الأبيات:

على الرحب مفروش لك الدرب والقلب
وفـي سـعـةٍ خـط لإيـقـاعـه نـصـبـو
فـكـل حـنـايـانـا بـيـوت، وكـلـنـا
نـدامى وأنـت الـخـمر والـشعـر والـحب
فـعـرّج وفـرّج غـربـةً عـصـفـت بـنـا
فـقـد طـالـمـا أزرى بـغـربـتـنـا الـغـرب

وكان عبر الهاتف ينادي على ولده: كفاح.. كفاح.. اكتب، اكتب، ثم يعيد عليه الأبيات.

أما بلند الحيدري، هذا الذي كان يلغي المسافات ويأتيك طفلاً بكل ما تحفل به الطفولة من رقة وبراءة وعنفوان، عندما بلغ الخامسة والستين، أقيم له احتفال في لندن لم أتمكن من المشاركة فيه، ولكنني بعد سنة عند بلوغه السادسة والستين بعثت إليه بهذه الأبيات الأخوانية:

سـتٌ وسـتـون أغـلـى   وبـالـتـهـانـي أولـى
فـالـست سـتٌ، وشـأن   الـسـتـات أشـهـى وأحـلـى
سـتٌ وسـتـون رقـمٌ   يـطـيـب جـزءاً وكـلا
فـإن خـطـطـت فـ رسـمٌ   يـروق لـلـعـين شـكـلا
وإن تـأمـلـت يـحـلـو   جـنـىً وسـقـيـاً وشـتـلا
سـت وسـتـون طـابـت   شـعـراً وفـنـاً ونـبـلا
يـا مـن تـخـطّـى مـداهـا   مـازلـت في الـحـب طفـلا

أما مصطفى جمال الدين ذو المهابة التي تملأ القلب، شخصية

وأدباً، وطلعةً، فلا أنسى يوم مررت بلندن منذ سنوات فأخبرني أحد معارفي بأن السيد يريد رؤيتي، ففرحت كثيراً، لأنني لم أكن قد رأيته منذ زمنٍ طويل، فصورة قامته المهيبة، وجبّته وعمامته السوداء، وخطواته الرصينة، ما بارحت ذاكرتي. وبينما كنت بانتظاره في المكان المحدد للقائنا، دخل رجلٌ يرتدي الملابس الأوروبية، فلم ألتفت إليه، وواصلت حديثي مع من كان برفقتي الذي سكت فجأةً ونظر إلي باستغراب لأنني لم ألتفت إلى الأفندي الذي دخل علينا، فكسر صاحبي الصمت وقال لي: هذا أبو حسن.. السيد الدكتور مصطفى جمال الدين!!.. وبعد العناق الطويل، والتحايا الحميمة، قلت له: أين ذلك التاج الأسود، والجبة الأنيقة والعباءة.. وبدا لي أنه أحس بما يجول بخاطري، فاستحيت من انتباهته.

وأما هادي العلوي فعنده تضيق العبارة. رفيق الشباب، وصديق الهموم، والملاذ الأمين، والمنقذ من الحيرة، متكأ الروح وبطانتها، في حضرته وحده كنت أتنفس عميقاً، وبوجوده وحده كنت أحس بالأمان الروحي، كنا متواطئين على الصمت، لم نأبه كثيراً بالكلام، كانت إشارات القلب تتفاهم بيننا على بعد المسافة. أربعون عاماً من الرفقة المفعمة، بأجود ما يجود به الفكر والزمان، كانت تربطني به، ومنذ أن غاب فرغت روحي، وغامت سمائي، وبقيت بلا ملاذٍ وأنا أنتظر اللحاق به، وعسى ألا يطول انتظاري!!.. اعذرني أيها العزيز إذ لا أذكر بعد هادي العلوي شيئاً.

□ □ □

الشيخ محمد متولي الشعراوي

في أوائل التسعينيات، حضر الشيخ محمد متولي الشعراوي إلى لندن للعلاج، ووجدتها فرصة مناسبة لأجري معه حواراً لإذاعة «كل العرب» التي كنت أديرها، وكانت تبث برامجها ليلياً للجالية العربية في لندن.

ذهبت إليه في الفندق وبصحبتي الفنان عبد المنعم مدبولي الذي طلب مني أن يتعرف إلى الشيخ شعراوي فهذه أمنيته منذ القديم، وقد رحّب بنا الشيخ الذي كان صالون فندقه غاصاً بالزوار، وكان هناك من يقوم على رعاية الشيخ شعراوي وهو الاستاذ عصام الشيخ. واللقاء بين شعراوي ومتولي كان متميزاً، مما جعل أجواء الحوار تتسم بالمرح الراقي، حيث كان الشيخ متولي يتنافس مع مدبولي في إشاعة تلك الأجواء الضاحكة، وما أن أمسكت بجهاز الميكروفون لنبدأ بالحوار، حتى بادرني بمد يده وأخذ الميكروفون ليقول هذه الكلمة:

«إني أحمد الله سبحانه أن أجد في بلاد غير مسلمة، جمهرة

مسلمة أتكلم معها كما أنها في حاجة لأن تسمع مني، فوجودهم هنا، وحسن مسلكهم في هذه البلاد محفز قوي لهم أن يكونوا قدوة حسنة لاجتذاب غير المسلمين لمعرفة الدين الإسلامي».

هذا الحوار سُجل خصيصاً للمستمعين في الإذاعة، ولكن بعد تفريغه من الشريط إلى الورق تبين لي أن على القارئ له أن يتجلد بالصبر للاستمرار في قراءته، فالشعراوي خطيب، وهناك فرق بين الخطيب الذي يتحدث إلى ناس يستمعون إليه، وبين الكاتب الذي يكتب لقرائه، فمفردة الخطابة مختلفة عن مفردة الكتابة والشيخ متولي شعراوي عُرف بتجلياته عندما يسهب مستطرداً لإيضاح وجهة نظره.

باختصار أقول، إن على من يقرأ هذا الحوار أن يتسلح بالتجلد والصبر.

□ □ □

□ **شيخنا، أنت الشغل الشاغل للكثيرين ممن يعملون في الحقول الثقافية والإعلامية، ولذا نرجو أن نضع النقاط على الحروف في هذا الحوار، كما عودتنا وبصراحتك المعهودة!**

ـــ أسأل الله أن يجعلني أهلاً لهذا الاستعداد، لأني والحمد لله ما أقبلت على شيء وفي نفسي أني مستعد له، حتى تستديم لي نعمة اللجوء إلى الله في أن يلهمني وأن يسعفني بما يرضيه أولاً، ويرضيني ثانياً، ويرضي السامعين ثالثاً.

□ هناك بعض المثقفين ـ التقدميين ـ يرون أن الشيخ محمد متولي الشعراوي يعد من أخطر الوسائل لتخدير الإنسان العربي في ما يطرحه من آراء!

ـ يكفي أن تقول «التقدميين» لأن التقدمية شيء لا يحمد لذاته، ولكن يجب أن يعلم ماذا يتقدم؟ لأن التقدمي يقابله الرجعي، فلا رجعية تذم، ولا تقدمية تمدح إلا إذا عرفنا الرجعي يرجع لماذا والتقدم يتقدم لماذا. فإذا كانت التقدمية أن يتقدم الإنسان ليعلو على ربه في أن يشرع لنفسه، وأن يعمل، وأن يعمل، وأن يقنن لنفسه، فهذا شيء مرفوض من جهتي على الأقل!

والرجعية التي تقابلها، رجعية لأي شيء؟! فإذا كانت رجعية جاهلية فهي مذمومة، وإن هي رجعية إلى ما نام في نفوسنا من الإسلام ومن قضاياه فتلك رجعية محمودة.

□ ما تفضلت به ليس هو مفهوم التقدمية والرجعية من جانبيها الاجتماعي والاقتصادي!

ـ المفهوم الاجتماعي والاقتصادي لا ينشئه المجتمع، وإنما الإنسان يجب أن يفكر في نفسه أولاً.

الإنسان محاط بكون لا يد له فيه، أُعد له قبل أن يوجد عليه، وهُيئت له كل أسباب حياته من قبل أن يخلقه الله، فكان الحق سبحانه وتعالى خلقه له قبل أن يُخلق، فإذا كان الإنسان كذلك، كان من الواجب أن يعامل أموره في ضوء ما يعامل به دنياه الآن، حينما يستقبل أي صنعة ترفه له حياته، وتسعده وتعطيه الفائدة الكبيرة في الزمن اليسير، وتريحه من عناء المعطيات العملية.

الإنسان حين يأخذ آلة من هذه الآلات، ينظر، أهذه الآلة صنعها صانع وقال ابحثوا أنتم في ما تفيدكم فيه؟!

أم أعدها لشيء هو قاصد له قبل أن يوجدها!! وبعد ذلك يصاب بعطب!! ألا يصلح للإنسان أن يتساءل: إن الذي صنع هذه القطعة أعد لها قانون صيانتها؟!

فقولوا لي أولاً: من خلق ذلك الإنسان؟!

الإنسان صنعة؟. لم يدَّع أي أحد من الخلق أنه خلق نفسه، ولا خلق غيره! بل كل ذلك مردود الى خالق. ولذا فإن الإنسان مخدوم من الكون الذي خلقه له الله، مخدوم من جماد هذا الكون وحيوانه ونباته، وعلى الإنسان أن يسأل نفسه: أنت صنعة من؟!.

فإذا استقر أنه مصنوع لقوة أعلى منه، فيجب أن يأخذ الغاية من وجوده ممن صنعه، ويجب أن يأخذ قانون حياته ممن صنعه، وليس من المفهوم الاجتماعي أو الاقتصادي كما أشرت، لأن العالم الآن يمر في مرحلة شراسة، شراسة باردة، وشراسة حارة، وشراسة فكرية، وشراسة اقتصادية. وكثيرة هي أنواع الشراسات التي لا تجعل العالم يهدأ، مع أننا نقول لهم:

كان المفروض بعد اختراعاتكم وابتكاراتكم، انشاءاتكم للأشياء أن تستريحوا! ولكنكم كلما أوغلتم واكتشفتم سراً في وجود الله ينفعكم، نجدكم تستخدمونه كوسيلة من وسائل الضغط والإكراه والتعذيب، والقسوة والجبروت.

فكأنما تستخدمون عطايا الله للطغيان، نقول لهذا النوع من النفر: أنت لم تفطن إلى من خلقك لتأخذ مهمتك منه، وإلى من خلقك لتأخذ منهج صيانتك منه. وإلى أن يفيق العالم ويأخذ قانون صيانته ممن خلقه وغاية وجوده ممن خلقه، فسيظل في صراع لا نهاية له.

□ لكأني ألمح في ما تفضل به شيخنا أنه يعوّل على الجبرية!!

ــ لا، لا، لا. لا أقول الجبرية. أولاً ما هي الجبرية؟ الحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وقلنا خلق له قبل أن يخلقه، ثم علم من خلقه، ألا يعلم من خلق؟ وأورد له غرائز لا بد أن توجد فيه، ولكن هذا الوجود للغرائز محروس بقيم أعطاها الله له، قيم تعلية الغرائز، فغرائز الجوع فثلاً: يجوع الانسان، وكل منا يجوع، والجوع يتطلب أن نأكل، لكن لا يصلح أن ينقلب الطعام إلى شراهة.

الدين جاء ليعمل ماذا؟! الغريزة يعليها لأنها مطلوبة في تكوينه، مطلوبة في وجوده، فلا يجعلها تتمرد وتخرج عن النطاق المطلوب منها إلى نطاق غيره.

التزاوج مثلاً للحفاظ على التناسل والبقاء، فيجب ألا تنحطّ الغريزة فيه إلى مرحلة الهوس الغريزي كل ذلك موجود، والحق سبحانه وتعالى علم أن مِنْ خلقه مَنْ له عواطف وله غرائز وله عقل وله ضمير إلخ. أعطاه كل شيء، وكل حاجاته للغذاء. لكن يجب أن يكون هذا الغذاء مقطوعاً على

مجاله وعلى مهمته من أجل شيء آخر. فالإنسان فيه أشياء إن استعملها نجح، وإن أهملها هلك، يحكمها الحق، فهو الذي خلقك، فإن قال هلك.. يحكمها الحق، فهو الذي خلقك، فإن قال لك: إن هذا يجب أن تفعله فافعله، وهذا يجب ألا تفعله، فلا تفعله.

وأنزل لك فيها نصاً صريحاً لا يقبل الجدل.

أما الأشياء التي إن فعلتها أو لم تفعلها، فقد أعطاك الله مجالاً للخيار فيها.

إذاً لا الجبرية موجودة ولا القدرية موجودة، فهناك أشياء أنت مجبور أن تأخذ قانون صيانتها ممن خلقك، لأنك إن لم تفعل ذلك تفسد، وهناك أشياء تركها الله لك ولخياراتك. لكن إذا أردنا الأشياء الملزمة من الشارع الحكيم نجدها قليلة جداً بالنسبة لما تركه وأباحه.

ولذلك تجد المحرمات محصورة، والمحللات غير محصورة! لماذا؟ لأنه إنما يتحكم في الأشياء التي يتأتى منها الضرر، إنما الأشياء التي لا يتأتى منها ضرر فإن فعلناها أو لم نفعلها فإن الله قد تركها للاختيار.

فأنا لا مسيَّر على الإطلاق، ولا مختار على الإطلاق، أنا مسيَّر في الأمر الذي لا عمل للعقل فيه باختيار بين بديلات، مادام العمل الذي أضع فيه عقلي، فيجب أن أرى ما هو المطلوب مني: هل مطلوب مني أن أستعمل عقلي. المهم ألاّ أملك زمام

نفسي وحركة حياتي إلا لمن أثق أنه أحكم مني وأعلم وأقوى وأقدر. إذاً أنا لم أعمل العقل إنما أنا استعملت العقل استعمالاً راشداً، استعمالاً حكيماً، لا أستعمل عقلي في كل جزئية من دون أن أدرك أن كل جزئية تحتاج إلى عقل. أنا أريد أن أستعمل عقلي في مسألة تحريك وترييح عقلك ليدخل في مجالات الابتكارات. فلو أنني استعملت عقلي من كل جزئية فإنني بذلك أفقد الذاتية، إنما ذاتيتي تنشأ من أنني أستعمل عقلي في شيء واحد يحكم على كل تصرفاتي. بعد ذلك إن أُمرت من الجهة التي آمنت بها، إنما بذلك استعملت عقلي.

يقول العارفون بالله: إن العقل لا يغمض، ولكن عمله في أن تلتحم بمن يقدر على ما لا تقدر عليه.

.. فإذا التحمنا بمن يقدر على ما لا تقدر عليه، بعد ذلك إذا أمرت قال أو لم يقل، فالعقل كالمطية يوصلك لحضرة السلطان، ولكن لا يدخل معك عليه، أسلمت نفسك لزمامه إذا قال أو لم يقل.

ولذلك أنا أستعمل عقلي مرة واحدة، وبعد ذلك أترك لعقلي بقية مجالات الحياة التي لست محصوراً عنها.

إذاً لماذا نفكر في الكل؟!.. ولذلك قلنا إننا شاهدنا قوتين في العالم في حياتنا، قوة الشرق تتمثل بما يُسمى اليسار، وقوة الغرب تتمثل في الرأسمالية. صراع بينهما، هذا الصراع لم ينته! إن لم يكن حاراً يكن بارداً، وجعلوا السدود بينهم. سموها الستار الحديدي ومعنى ذلك أن الأفكار في هذا

الجانب لا يصح أن تنتقل إلى جانب الآخر، بينما هم يتلصصون على أسرارهم، ويلاحظون ماذا ابتكروا وماذا اخترعوا. لكن الذين يتلصصون فيه بعضهم على بعض علم لا تقترب منه العقول. علم، ابن للتجربة والابتكار، وابن للمعمل، الهواء لا يدخل إلى هذا المعمل أبداً، بل النتيجة التي تؤديها المادة الصمَّاء والعملية الكيماوية، هكذا يُنظر إليها بين البشر.

إذاً فالحق سبحانه وتعالى قال:

إن الشيء الذي تحاولون أن تبعدوه عن معسكراتكم أنا أحكمه، لا أنت ولا هو. افعل كذا، ولا تفعل كذا، فإذا كان اليسار واليمين تتحكم فيهما الأهواء، وسيظلون مختلفين، فالله أرحم منكم بأنفسكم، وهو الذي تؤول إليه أموركم وستفقون على حكمه رغماً عنكم.

□ **شيخنا: إن الله جل وتبارك لما خلق الملائكة منحهم العقل، وجردهم من الغرائز، ولما خلق الحيوان جرده من العقل وأعطاه الغرائز. لكنما الإنسان قد أعطاه الغريزة والعقل معاً بدليل أن الله جل وتبارك لم يحل بين آدم وبين تلك الشجرة التي حذره منها. بمعنى أن الإنسان قد استخدم عقله من أجل حريته في الأكل من ثمر تلك الشجرة التي حذّره الله من الاقتراب منها، فماذا تقول في هذه المعادلة: غريزة، عقل يساوي حرية؟!!**

ـ لا، لا، لا. هو أعطى الحرية في غير نطاق من أعطاه الحرية لأنه قال له: لا تقرب هذه الشجرة، ولكن كلّ ما شئت، وهذا دليل على أن التحريم عادة مقصورة على شيء واحد، والمباح، مباح كثير، فإذاً هو لم يستعمل العملية الخاصة بالاختيار، هو قال: لا تقرب هذه الشجرة، وكان يجب أن ينهي اختياره عند ذلك!

□ **لكن، مع ذلك فإن آدم ذهب إلى تلك الشجرة بالذات. لماذا؟!**

ـ لأن الله خلق له اختياره، وسيترتب عليه ثواب وعقوبة فالملائكة لا تستطيع أن تقول لهم عقل! لأن مهمة العقل أن يختار، وأن يتصرف، وأن تكون لديه بدائل، والملائكة لا بدائل عندهم.

□ **لكنهم لما طُلب إليهم السجود لآدم تساءلوا، ولما عرفوا الحقيقة بعدما علّمهم آدم ـ بعقله ـ الأسماء، عرفوا الحقيقة وقالوا لربهم: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا»؟**

ـ إذاً ردوا أنفسهم إلى الأصالة، والله جلَّ وتبارك عندما طلب إليهم أن يسجدوا لآدم لكي يكرموا هذا الآدم، فمعنى ذلك أنهم سجدوا لله، ولكن لماذا هذا السجود؟!. لأنهم مكلفون بعد ذلك في أن يكونوا في خدمة هذا الخليفة الذي اختاره الله، فقال لهم الله وهم في سجودهم له سبحانه وتعالى: أنتم مكلفون بخدمة هذا الانسان. فالسجود ليس لآدم، ولكنهم يسجدون

لصنعة الله في خلق آدم. ورفض إبليس السجود لآدم هو رفض لمشيئة الله، لأن السجود لم يأمر به آدم، إنما صدر به أمرٌ من الله، فالعصيان ليس لآدم إذاً، وإنما لمن أمر بالسجود لآدم.

□ **شيخنا، إن التفاسير في هذه الأمور قد اختلفت بل إنها شغلت أعداداً كبيرة ـ وعلى امتداد التاريخ ـ من المفكرين والفلاسفة!**

ــ وماذا انتهت إليه الفلسفة، منذ أن خُلقت وحتى الآن؟! ثم قل لي ما هي الفلسفة أولاً؟!

□ **إن أردتها بالمعنى اللفظي، فالفلسفة تعني محبة الحكمة! وإن أردت معناها الفعلي فهي محاولة الإنسان منذ أن بدأ يفكر أو يقدح شرارة التفكير في ذهنه ليبحث عن إجابات في سر هذا الكون، وممّ خُلق! هل من الماء أم الهواء أم النار إلخ. هذه التساؤلات الأولى التي قادت بالفلاسفة منذ أقدم العصور وحتى الآن في البحث عن السبل التي تؤدي إلى أقصى قدر من السعادة التي يجب أن تعم حياة الإنسان!!**

ــ لا، لا، لا، الفلسفة كانت تعني الحكمة في كل شيء. وإذا كانت الحكمة تقضي بأنني أُسلم زمامي لمن أعتقد أنه أحكم مني. فهذه هي عين الحكمة. فلو أننا أحرار ولا توجد لنا قوة عليا نلجأ إليها، لا نتفت هذه الحرية. العلوم كانت أولاً كلها علوماً واحدة، لماذا انعزلت الفلسفة المادية عن الفلسفة

الميتافيزيقية؟ فهناك فلسفة مادية تهتم بالابتكارات والاكتشافات، وفلسفة ما وراء المادة، وما دام قد وجدت الفلسفة وراء المادة فأنا أريد أن أسأل الفلاسفة: ما الذي دلكم على أن وراء هذه المادة شيئاً يجب أن نبحث عنه؟!

□ **فلسفة الشك المنهجي لرينيه ديكارت، أجابت عن هذا السؤال عندما قال مؤسسها ـ ديكارت ـ أنا أفكر إذاً أنا موجود!**

ــ كلمة (أنا) هي رد لكلامه، ما دام قال: أنا أفكر إذاً أنا موجود. فهذا كلام سفسطة وكلام لا معنى له. أنا موجود، أنا أفكر، وقد جعلت المقدمة نتيجة وهذا أول خطأ وقعت فيه الفلسفة.

□ **هو أراد أن يؤكد على وجوده ككيان مفكر!**

ــ أنت مادمت قابلاً للتفكير، ففكر في مهمتك فقط، في حدودك فقط!

□ **شيخنا، نعود الى سؤالي الأول والمتعلق بمن يرونك عبارة عن مخدر للجماهير، والبعض قال: إنك لم تهاجم الاستعمار في خُطبك، وهناك من يشير إلى أنك لم تهاجم إسرائيل، وأنك لا تخاطب البسطاء في قضاياهم اليومية، وإنما تُنظّر لمجرد التنظير؟!**

ــ الذين يقولون هذا أنا أُسر بهم، لأنهم أثبتوا أن وجودي في ساحة الهداية كان ضرورياً. أما قولهم أنني لم أتكلم عن

الاستعمار، فهذا جهل لأنني في كل حلقة وفي كل قضية أطرحها أهاجم فيها الاستعمار، بدليل أن أميركا نفسها طلبت من السادات، قائلة له: أسكتو هذا الرجل، وإلا فلن يكون هناك تطبيع إذا لم يسكت الشعراوي!.

وفعلاً بعدما كنت أقدم أربع حلقات في الأسبوع أصبحت أقدم مرة واحدة في الأسبوع! لقد أجابوهم الى ما يطلبون، لأن لهم مصالح مرتبطة وهم لا يقدرون أن يخالفونهم في شيء، ولكن لم يستطيعوا أن يمنعوني كلياً، فتركوا لي الربع وأخذوا ثلاثة أرباع!!

خلّوا لي الربع لأنهم لم يتمكنوا أن يعملوا هذه على عمومها، وهذه على خصوصها. كان من متطلبات كامب ديفيد إسكات صوت الشعراوي، وفعلاً سكتُّ، وامتنعت مدة طويلة عن مخاطبة الجماهير، أما مسألة كوني لا أقول شيئاً ضد اسرائيل، فأريد أن أقول هذه الحقيقة:

إن الإسرائيليين ليس لهم من أعداء إلا عدو واحد هو أنا، لأنني في كل قضاياهم أقول عنهم كلاماً لا يُقال، أما كوني بعيداً عن السياسة ـ كما يقولون ـ وأعمل على تخدير البسطاء، وأُنظّر لمجرد التنظير إلخ. فأنا مزروع في السياسة من صغري، لأني كنت رئيس اتحاد الطلبة سنة ١٩٣٤ وحتى تخرجي، وأما مقالاتي وقصائدي وشعري فهي منشورة ومستمرة في النشر.

تخدير الجماهير: ما معنى تخدير الجماهير؟! وهذا المخدر ألا يفيق؟! طيب خدرتك مرة! لماذا لم أخدر الباقين؟! لماذا خدرت أناساً ولم أُخدر غيرهم؟! أنا لا أُريد الرد على هؤلاء، فهم

يذكّرونني بمن قالوا على رسول الله أنه ساحر! طيب إذا كان ساحراً فلماذا لم يسحركم أنتم وتنته المشكلة؟!

فإذا كنت أنا أُخدر، فكان عليَّ أن أُخدركم أنتم أيضاً!!

□ هناك إشارات من بعض مناوئيك تدل على أن الشيخ متولي الشعراوي رجل دين يخدم السلطة؟!

ــ رجل دين يخدم السلطة، ما شاء الله!!. كيف أكون كذلك وأنا الذي علمت الناس كيف يغتالون الظالمين!! وقد ظهر هذا رسمياً على رؤوس الأشهاد يوم قلت: لا يظن النظام أنه يحكم بدون إرادة ربه، لأن الله يجعله يحكم بحكم تربية المهابة له عز وجل، فإذا شاء الله أن يسقط مهابته سلط عليه حارساً من حراسه، فبدلاً من أن يوجه المدفع إلى خصمه، يوجهه إليه.

حتى قال عني السادات: الشعراوي يعلّم الناس كيف يغتالون رؤساءهم! وبعد خمسة عشر يوماً اغتيل السادات، فلو كنت أنا أخدم السلطات، لم أعارضهم في كل فتوى تصدر ضد الدين، كالفتاوى التي استنّوها لتحديد النسل، والفتاوى التي استنوها لنقل الأعضاء وفتاوى الربا فتاوى لم أكن أقبل بها، بل أُشكك فيها دائماً. لو كنت أنا أخدم السلطات، لكنت أقف مع نظام تحديد الملكية.. ولذلك قلت ـ وهذا قلته في التلفزيون ـ قلت لهم: يا ناس لا تفكروا أن قانون الحاكم يحلل حراماً أو يحرم حلالاً. يا ناس ممن استأجرتم سنة ١٩٣٩ ارجعوا إلى مُلّاك بيوتكم واسألوهم ما يرضيهم في إيجارات بيوتهم التي في حوزتكم يا ناس.. يا أصحاب الأراضي الزراعية، ارجعوا إلى

مُلاكهم ولن يبارك الله لكم ولا للأمة إلا إذا رُدَّت المظالم إلى أهلها.

ولذلك قلت: إنني أريد رئيس حكومة شجاعاً يقول: إن هناك نوعاً من الحكم ظلم أُناساً وأخذ أملاكهم، وبعد ذلك ذهبت وتبددت وليس لدينا القدرة على استردادها، فأنا أطلب ممن وقع عليه الظلم أن يسامح الدولة، لكي يبارك الله لنا.

□ **أليست دعوتكم هذه ضد قانون الإصلاح الزراعي؟!**

ــ لا، لا، ضد؟! إحنا ضد؟! نحن لم نقل ضد بدليل أنهم رجعوا عنه ليقربوا المسافة.

□ **ولكن الخطة لم تنجح، والفلاح ظل متمسكاً بالأرض!!.**

ــ القضايا التي فيها مخالفة للشرع، واستيلاء إنسان على أرض لا يملكها.. وضع شاذ لا بد من تصحيحه حتى وإن كان في ذلك مخالفة لقانون الإصلاح الزراعي.

□ **بعض الصحف تنتقدكم بشأن الفتاوى المتعلقة بالأمور الصحية!!..**

ــ هذا جهل وتحامل وافتعال، لأنهم يقولون بأنني أنا ممتنع عن التداوي، وبالتالي فأمنع الناس عن التداوي!! أنا لم أقل شيئاً من هذا!!

□ **وردت إشارة إلى ذكر فتواك بشأن من لديهم غسيل كلوي!!**

ـ أنا لم أقل غسيل كلوي! أنا قلت: هناك فرق بين أن تعالج آلامه وهذا مطلوب، ولكن ليس مفروضاً عليه. خلاص، إنت حر. هناك أُناس يقولون: إن الله عمل لي هذا وهو الذي خلقني.. ولذلك النبي حدّدها وقال: «الذي سيدخل الجنة بلا حساب، لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتوون».

□ **هل صحيح أنك قلت في فتواك: لماذا نحول بين الناس وبين الذهاب إلى ربهم بالموت؟!**

ـ هؤلاء الذين يريدون أن يكون عيشهم مرتبطاً بالآلات فإن رفعت الآلة عنهم، توقفت أنفاسهم لماذا يعيشون؟! إذا كانت العمليات لم تنجح في استرداد عافيتهم!! لماذا نباعد بينهم وبين يوم أجلهم؟!. أنتم لا تريدون فلاناً من الناس أن يموت؟!.. امنعوا الموت إن استطعتم!!

□ **كتبوا أن أحد مريديك لم يذهب للغسيل الكلوي المطلوب منه مرتين في الأسبوع بسبب فتواك واستسلم للموت!**

ـ كذب. الصحف تنشر كذباً كثيراً. ومتى كانت الصحف ومصدرها قائماً؟!

□ **ماذا يقول الشيخ متولي الشعراوي عما يحدث في الجزائر من مجازر؟!**

ــ ماذا تريدني أن أقول؟! وأنا قلت ولا زلت أُكرر القول: إن الأمم إسلامية، ولكن الدول غير إسلامية!! نعم، فالدول نظام حكمها ليس إسلامياً.

□ **أليس الذين يحكمون هذه الدول هم أُناس من المسلمين؟!**

ــ هذه نختلف فيها. هم من المسلمين نعم، ولكن هل يطبقون حكم الله أم لا يطبقونه؟ هذه هي المسألة!!

□ **أليس هذا اتهاماً خطيراً؟!**

ــ لأنهم قد غيبوا الإسلام عن توعية الناس فتربوا على أهوائهم. فلو كان الإسلام مصدراً لتربيتهم لما كان لكل منبر فقهه الخاص به، ولما كان لكل منبر عقيدته، ولكل لسان تشريع، والنظام الذي يحكم أي دولة، فالدولة إذاً هي التي تحكم، إنما الدين ليس له صاحب!! إنما الدولة تستخدم الدين لخدمة مصالحها وليس خدمة القيم والمثل التي يدعو إليها الدين.

□ **شيخنا، هناك أصوات ترتفع هذه الأيام تدعو إلى الوحدة الإسلامية التي تجمع المسلمين على مختلف مذاهبهم!!..**

ــ يا شيخ أية وحدة هذه التي تجمع بين المسلمين على مختلف مذاهبهم وعلى أي أساس أجمعهم؟!

□ **على أساس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً**

رسول الله، والإيمان بكتاب الله والالتزام بفرائض الله وسنة رسوله.

ـ آه، حكاية اختلاف المذاهب، ما دام الحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان وصنع له جبرية القهر وحرية الاختيار في ما له فيه اختيار بين المذاهب، فكذلك كان حكمه جلَّ جلاله، فمن أحكامه ما ليس لنا أن نتلحلح فيها قيد أنمله.. وهناك أشياء أخرى تركها سبحانه وتعالى بدون أن يحدد حكماً أو نصاً صريحاً فيها، احتراماً لاختيار الإنسان في ما يختار.

فرسول الله حينما خرج من غزوة الأحزاب، وعاد، أدرك أن المسألة قد انتهت، ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى له ألا تقبل بما حدث، ولا يمكن أن تنتهي المسألة إلا إذا قمت بتأديب من ساعدوا الكفار عليك، فما كان له إلا أن فعل.

مفهوم التاريخ هكذا. لما ذهب بعض المسلمين في مهمة كانت وصية رسول الله ترن في آذانهم:

من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يصلينّ العصر إلا في ديار بني قريضة.. فخرج الناس لكي يؤدبوا بني قريضة، والشمس أوشكت أن تغيب، فقال بعضهم فلنصل العصر قبل أن يفوت الوقت، فاختلفوا، لكن أحدهم صلى والآخر لم يصلِّ، فلما ذهبوا إلى رسول الله أقر الطرفين.

فماذا يعني هذا؟!.. معناه أنه ليس لله حكم نص في هذا.. ولكن الرسول (ص) حينما قال: لا يصلين العصر إلا في ديار

بني قريضة!! نظر قوم في مكان الحدث له عنصران، عنصر زمان وعنصر مكان، وكذلك نظر قوم آخرون الى زمن الحدث.

ما أريد الوصول إليه من كل هذا أن الإسلام حين يأتي بقضية ويترك للعقل فيها أن يختلف يكون بذلك قد أباح للأشياء التي لنا آراء فيها، ونختلف فيها، ولكن للأسف هناك من تصل به العصبية أن يتهمك بالكفر إذا لم تتفق معه في الرأي. أقول لهذا النوع من البشر: أنت لم تفهم عن الله، فلو فهمت عن الله لعلمت أن هناك أشياء نجتمع عندها وأشياء أخرى أباح الشرع لنا فيها الاختيار، ولذلك قال المجتهدون الكبار:

«رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

فلو قدرنا الحقائق حق قدرها كمسلمين، لوجدنا أن الذي اتفقنا عليه أكثر بكثير مما اختلفنا عليه!

□ **تعني بذلك القواسم المشتركة بين المذاهب؟!**

ـــ نعم، وبعدين حتى الأشياء التي فيها وجهة نظر أو فيها خلاف. . الحق سبحانه وتعالى حينما قال في عماد الإسلام وهي الصلاة:

«إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم».

وقال: «وأرجلكم الى الكعبين.». . انظر «اغسلوا وجوهكم» ولم يتكلم فيها تحديداً!! إنما أيديكم، فقد حددها بالمرافق لأنه

لا خلاف عند العربية في تحديد الوجه، إنما عندهم كلام في تحديد اليد! فهي مرة تطلق على الكف، ومرة تطلق على الزند. فالله سبحانه وتعالى حددها على وجه واحد «إلى المرافق».

لو قال أيديكم مثل وجوهكم كان الذي يغسل هذه صح أو تلك صح!! ولكن الله قد حدده.. ولما قال: «امسحوا برؤوسكم». لماذا لم يقل مثل ما قال: «اغسلوا وجوهكم»!.. قال: «امسحوا رؤوسكم»، فما الاختلاف وهو أسلوب واحد؟!

□ **تريد القول: إنك مع التعدد في الاجتهادات في فهم النصّ!!**

ـ ما دام ربنا تركه، يعني يحترم وجهة النظر، ومع ذلك فإنه أيام الشيخ شلتوت والشيخ المدني وعبد العزيز والشيخ القُمّي تشكلت لجنة لتقريب وجهات النظر بين المذاهب، وعلى أساسها تم إدخال المذهب الجعفري ودراساته الفقهية إلى الأزهر.

□ **هل اكتفوا في هذه اللجنة بإدخال المذهب الجعفري إلى الأزهر؟! أم واصلت عملها للتقريب بين المسلمين؟!**

ـ العقبة التي واجهت هذه اللجنة هي: المستور!!.. المسطور ليس فيه كبير خلاف، بل بالعكس فالخلاف بين الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي هو خلاف أكثر بكثير بين الجعفري وغيره.

لكن الخلاف الذي في الصدور هو المشكلة، إنما خلاف المسطور ممكن أن نلتقي فيه ولا يوجد ما يعيق من التحاور.

□ ما هو المستور مثلاً؟!

ـ إنه كثير، وعلى سبيل المثال فعند زيارة البعض إلى المدينة للسلام على النبي (ص) فإن هذا البعض لا يسلمون على أبي بكر وعمر.. مع أنهما من خيرة صحابة رسول الله، وابنتيهما عائشة وحفصة زوجتا رسول الله وأمهات المؤمنين، ويمر بعض المسلمين على قبرهما ولا يسلم عليهما.

□ أليس مهمة لجنة التقارب أن تزيل هذه الضغائن وهذا الركام التاريخي من الخلافات السياسية التي لا علاقة لها بجوهر الدين؟!

ـ وأول من طبّق هذا الذي تدعو إليه هو الإمام علي الذي كان مستشاراً للخليفة عمر في كل أموره. وكذلك كان قبل ذلك من الصحابة الصالحين الذين يُحسب لهم حساب في خلافة أبي بكر، والإمام علي من الأولى أن يكون قدوة وأسوة حسنة لأتباعه، وأنا أولهم، فالإمام علي ليس ملكاً لطائفة دون أخرى، إنما تراثه ملك لجميع المسلمين.

□ أمام هذه الرؤية الواعية والمستوعبة للجانب الإيجابي من التاريخ الإسلامي، ماذا يقول الشيخ متولي الشعراوي للمسلمين وهم يستقبلون قرناً جديداً؟

ـ أنا لا يعنيني دخول القرن، إنما يعنيني المسلم في كل زمان

ومكان، ومع هذا أقول: لا تعينوا الآخرين على أنفسكم. لماذا أقول هذا؟! لأن العدو يفعل ما يشاء وهو يفعل ذلك لمصلحته، ولكن كيف أقبل أنا منه هذا؟!

فإذا لم تكن لديَّ مناعة لكي أرفض ما يفعله العدو فإنني أعينه على نفسي لأنني لست على مستوى منهج الله، فلو أنني كنتُ أسير على ذلك المنهج، لما وصل العدو إلى ما وصل إليه. ومنهج الله هو أن أكون أسوة حسنة. فكل البلاد التي فيها أغلبية مسلمة الآن، انتشر الإسلام فيها بالأسوة الحسنة، فلكي نلفت نظر الذين يعادوننا علينا أن نكون بمستوى عقيدتنا.

□ هل نعتبرك أحد الدعاة إلى صحوة إسلامية؟!

ـ أرجو أن تكون هذه الصحوة الإسلامية صحوة محكوم لا صحوة حاكم، والفرق بين الاثنين أن الإسلام إذا اتخذ مطية للحكم فهو الكارثة على المسلمين، لأن التطبيق العشوائي للإسلام يجعل الأمر مخالفاً لتعاليم الله وليست محكومة بالإسلام.. وإني أتساءل: هؤلاء الحكام الذين يحكمون بلاداً إسلامية، هل شرعوا قوانين ضد الخمر؟! وقالوا: إن من يشرب الخمر سُيعاقب؟!

هل ألحّوا على ارتداء المرأة للباس المحتشم؟.. هل وقفوا في وجه الربا المتفشي؟!

النبي لم يصنع سجناً للمخالف، لكنه صنع المجتمع الإيماني فمن من الحكام في العالم الإسلامي من يتخذ النبي محمد بن

عبد الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة في سلوكه وفي حكمه؟!

□ ما دمتم قد جئتم على ذكر الملابس المحتشمة، فهناك من يقول إنكم وراء اعتزال مجموعة من الفنانات للعمل الفني وتحجبهن بعد التزامهن!!

ـ أنا وراء هذه الظاهرة؟! أنا لست وراءها، وهناك فرق بين أن أكون وراءها وأتركها وبين أن أكون أمامها، فأنا أمام هذه الظاهرة، والذي أمامي أنا الذي كنت له القدوة فأنا أمامهم ولست خلفهم لأنني بصّرتهم بالحقيقة وأظهرت لهم طبيعة المجتمع الذي يعيشون فيه وأفهمتهم أن حياة الدنيا نفخة وتنتهي، فانظروا إلى آخرتكم ونهايتكم.

□ يقال إن بعضهن قد تقاضين مالاً نظير اعتزال الفن وارتداء الحجاب!!

ـ أنا رددت على هذا الكلام والله إن كانوا قد تقاضوا بعض المال، إذاً فهذه ظاهرات إيمانية صحيحة أولاً، وهي دليل على أن الذين يعطون المال ليخرجوا الناس من الاستهتار ويرجعوهم إلى الإيمان فمعنى ذلك أن في قلوبهم خميرة إيمانية، وأحبوا للناس ما أحبوا لأنفسهم، ثانياً: إن الفتاة التي أخذت هذه النقود قد أخذتها من الحلال وليس من الحرام.

□ شيخنا، ما هو موقفكم من الفنون بشكل عام؟!

ـ موقفي كما حدده أمير الشعراء شوقي عندما قال:

أساطير البيان أربعة: شاعر صار بيته، ومصور نطق زيته، ومثال ضحك حجره، وموسيقي بكى وتره.

الفن إبراز الجمال في كل شيء، ولكن يشترط ألا يؤدي إبراز الجمال إلى قبح. قد يقال الرقص فن جميل!!! يا سيدي جميل، جميل.. ولكنه سيبقى قبيحاً.

□ **سؤالي عن الفن من ناحية نمو الحياة الاجتماعية، والدور الفاعل الذي يقوم به في مسيرة هذه الحياة.**

ـ أجيبك على عيني وراسي، كل فن لا يؤدي إلا القبيح يبقى قبيحاً أبداً. مثلاً أنا أظهر ممثلة على المسرح لكي تمثل النموذج الرديء في المرأة، حتى يتحاشاها المجتمع!! الاسوة في الشر أعدى، لأن المراهق عندما يشاهد هذه التمثيلية، لا يراها من الزاوية الأخلاقية التي تسعى إليها. لأن كل إنسان سينظر إليها من منظوره.

□ **ولكنك تستخدم أساليب فنية في طريقة أدائك للعظة الدينية!**

ـ من ذا الذي يمنع استخدام قدرات الإنسان من أجل إيصال رسالته كي يؤكد على إبراز جمال الطبيعة.

□ **أو قبح الطبيعة!**

ـ لا يوجد في الطبيعة قبح.

□ **أقصد الطبيعة البشرية.**

ــ آه، الطبيعة البشرية، معاك حق، إنما طبيعة الأشياء، فإن كل شيء في الكون مخلوق على هيئة الصلاح. والإنسان هو الذي يأتي له بالفساد والكمال: لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها!! كأن الأرض مخلوقة بنظام أنت تفسده.

الجو طبيعة مخلوقة نقية، لوّثها الإنسان، وقس على ذلك كل معطيات الطبيعة الجميلة التي خلقها الله للإنسان. وأكتفي بهذا القدر من الحوار معك.

□ □ □

محمود تيمور

بلا منازع، إنه رائد القصة العربية الحديثة، فكل القصص والروايات التي سبقته كانت محاولات أولية، قُدّر لها أن تنضج على يده.

وقد خاطبه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين قائلاً:

«وسبقت أنت الى شيء لا أعرف أن أحداً قد شاركك فيه في المشرق العربي كلّه إلى الآن، وهذا الذي تفوقت فيه، وامتزت به عن سواك، كما سجلت لنفسك خلوداً في تاريخ الأدب العربي المعاصر، لا سبيل إلى أن يُمحى، وهو القصص التي جاريت فيها المذاهب الأدبية في العالم، وجعلتها في متناول القارئ العربي».

وعندما فتحت الميكروفون لأبدأ الحوار معه، فاجأني بالقول:

ــ «دعني أقدم نفسي لأوفر عليك عملية تقديمي»:

□ □ □

أنا محمود تيمور، قاهري المولد والإقامة، وإن كنت قد رحلت شهوراً، أو سنوات الى سورية ولبنان وتركيا، والبلاد الغربية الأوروبية والأميركية.

سني عند إجراء هذا الحوار ٧٥ عاماً، أخرجت فيها نحو ٥٠ كتاباً بين مجموعات أقاصيص، وقصص طويلة، وروايات، ومسرحيات، وصور وصفية، ورحلات، وخواطر، وبحوث، ودراسات في اللغة والأدب والنقد، وأنا عضو في مجمع دمشق، والعراق، ونلت من وطني ـ مصر ـ جائزة الدولة التقديرية، ومن كثير من الدول والأوطان تقديراً لأعمالي الأدبية، بعدما تُرجم الكثير منها إلى اللغات الأجنبية الحية.

□ أستاذ تيمور، ماذا أبقيت لي من الأسئلة التي كنت أنوي طرحها عليك، بعد هذا التقديم المكثف عن حياتك؟!

ــ سل ما بدا لك من الأسئلة، فهناك الكثير مما يمكن أن يُقال في رحلتي معك في هذا الحوار.

□ المعروف أنك نشأت في أسرة أرستقراطية أدبية مشهورة، فهل كان لهذه النشأة تأثير على فنك القصصي؟!

ــ الواقع أن نشأتي في جو عائلي أدبي كان لها أثر عميق، لكن هناك سبباً آخر أعتبره مكملاً لانشغالي بالأدب، ذلك هو أني أمضيت في التعليم ككل ناشئ يسعى في خطواته الدراسية

للحصول على الشهادة العليا، ولكن المرض حال بيني وبين إتمام تعليمي، فكان لا بد من تعويض للصراع النفسي الذي كنت أعانيه للتغلب على ذلك المرض الذي صحبني منذ الطفولة ولم يدعني أبدو تلميذاً متقدماً، فتأجج الغضب في داخلي، على تخلفي في الدراسة للحاق بأقراني ممن تفوقوا، فكان التعويض بالكفاح، الكفاح الأدبي المرّ، كفاح القراءة والاطلاع، ثم الصراع في محاولة الكفاح بالكتابة.

أما تأثير أسرتي عليّ من ناحية الفن القصصي، فهو واضح جداً، فأخي محمد تيمور هو غارس الجذور الأولى للقصة القصيرة بمعناها الفني الحديث، وقد شغفت به، وتأثرت به، لكنني لا أنسى أيضاً أن والدي كان له تأثير غير مباشر، فقد كان يوجهني دائماً إلى قراءة الآداب التراثية، وخاصةً **ألف ليلة وليلة**، ومعطيات الجاحظ، و**كليلة ودمنة**، والزير، وعنترة وسيف بن ذي يزن، والكثير من التراث الثقافي والفكري والأدبي. ورأيتني أُعجب بكل ذلك التراث، وأُشغف به أيما شغف.

□ **مع أنك نشأت في بيئة أرستقراطية مرفهة، نجد أنك قد صوّرت الحرمان ـ في قصصك ـ ومعظم شخوصك كانوا من أوساط الناس البسطاء والمسحوقين، مع أنك لم تتعايش بين هؤلاء الذين صورت تعاستهم في صراعهم مع الحياة!**

ــ في الواقع أن أرستقراطيتنا ـ كأسرة ـ كانت من غير الطراز الشائع، لأننا لم نكن بعيدين عن الطبقات الأخرى، بل إننا عشنا

في وسطها بكل ما تعنيه كلمة هذا التعايش. البيت الذي قضيت فيه صدر حياتي في حيّ شعبي أصيل وحاضناتي في ذلك العهد من النساء، وهنَّ من بنات البلد مثل: أم أحمد، وأم إسماعيل، وزعفران، والحاجة ريحانة.

وأبي أحمد تيمور لم يكن أرستقراطياً في حياته أو في صلاته الاجتماعية، وإنما كان رجل علم وأدب، وكان بيته منتدى للعلماء والطلاب.

وكان يباشر شؤونه الزراعية في الريف بمعونة الفلاحين، فكنا نخالطهم ونصاحبهم ونعيش معهم، وقد تأثرت بحياة الذين كانوا يختلطون بنا، ونختلط بهم، وطالما استمعت لوصفهم لحياتهم وما يعانون من كفاح، فأحسست بإحساسهم. ولعلي لا أخفي سراً عندما أصارحك بأن كثيراً من شخصيات القصص التي ألفتها، قد استقيت أصولها من مشاكلهم، وكنت أصور حياة أشخاص حقيقيين استلهمت منهم موضوعاتي ونماذج قصصي البشرية.

ولمّا كان الحرمان هو السائد الذي يطحن الطبقة الغالبة في المجتمع في ذلك العهد، فلا عجب أن تنطوي قصصي على معاني الحرمان.

□ أستاذ تيمور، من النماذج البشرية الغريبة الطباع ممن كان والدك يحتضنها مثل: (علي طبنجات) الذي صورتــه في قصتك الجميلة (أبو علي الفنان)، فهل لك أن تحدثنــا عن هــذه النماذج التي كان والدك

يعتني بها، ويحدب عليها، رغم الغرائب في سلوكياتها؟ وهل صوّرت بعضاً منها في قصصك أو رواياتك؟

ــ كان مجلس والدي خليط يتكون من علماء، وأعيان، وشعراء، وأدباء. وكان فيهم نماذج من الناس لا تخلو في سلوكياتها من طرافة أو فن! وفن هنا تطبيق للمثل القائل «الفنون جنون»، وأذكر من هؤلاء رجلاً كان شديد القصر، وله حدبة، واسمه محمد أكمل، وهذا الرجل كان زجالاً وشاعراً وله دعابات ونكات مع محمود سامي البارودي والشنقيطي، وغيرهما.. وأذكر أن أبي قد حجز نفسه عن جلساته يوماً ليقرأ مع الشنقيطي: «أمالي أبي علي القالي»، حين عثر على نسختها أول مرة.. فهاج محمد أكمل وماج وصنع زجلاً لطيفاً قال في بدايته:

أبو علي كان لك محنه   الله يجازي الشنقيطي

وقد ترجم والدي للزجال محمد أكمل في كتابه **أعلام القرن الرابع عشر الهجري**.

وأما أثر هذه النماذج من الشخصيات في قصصي، فهو أثر ظاهر أو خفي، جزئي أو كلي، وعلى كل حال، فهذه الشخصيات كانت مادتي، وخميرتي الأولى التي أودعتها وضمنتها أعمالي الفنية.

□ **أستاذ تيمور، عُرف عنك تبنيك للناشئين من الأدباء والأخذ بأيديهم ما هي فلسفتك من وراء الاهتمام بهم؟!**

ــ ليست هناك فلسفة! إنما كل ما في الأمر أن تشجيع المواهب الغضة يعينها على النماء والازدهار، وما من عبقرية إلا وكانت في أولها بوادر ومخايل، وخطفات برق، أو سمّها جذوات نار، ولا بد للنار أن تتوهج، ولكنها قبل التوهج بحاجة إلى من يقدحها، ومن أداء الأمانة الأدبية، أن يكون الاهتمام بالأدباء الناشئين الواعدين، وأذكر لك عدداً ممن التقيتهم وكانوا في بداية الطريق، أمثال: نجيب محفوظ، وعلي أحمد باكثير، ويوسف جوهر، وعبد الحميد جودة السحار، وصلاح ذهني، وأذكر جيداً أني قرأت لهؤلاء بواكير أعمالهم، فأعجبت بها، واتصلت بهم وتبادلت معهم الود والرأي، وكانت تجمعني بهم ندوات، وإني لفخور بتألقهم وتقدمهم إلى مكان الصدارة في حياتنا الأدبية، وخاصةً في مجال القصة والرواية.

□ أستاذ تيمور، هل تنفق على أدبك، أم أن أدبك ينفق عليك؟!

ــ الواقع أن أدبي ينفق عليَّ أغلى ما ينفقه أحد على صاحبه. إنه يهبني الحياة، والقوة، والأمل، والنشوة. إنه هو الذي ينطوي على كل مصادر الحياة بالنسبة لي، فأنا مدين له بطول العمر!

أما من الناحية المادية، فلا شك أني لم أبخل على أدبي بمالي في المراحل الأولى من حياتي الأدبية، وقد كافأني، لكن الأعمال الأدبية شأنها شأن سلع التجارة، بعضها يحمل بعضاً، فربَّ كتاب كان الربح فيه بعد أن ينشر، يعوّض عن كتاب آخر لم يحالفه التوفيق. غير أن الكسب الأكبر، والربح

الأبقى للأديب هو حياة كتبه التي تخلده وتضع اسمه ضمن الخالدين في المجتمع الإنساني.

□ الحياة العاطفية الجامحة بين أبطال القصص في أوروبا، وصلت إلى مرحلة من الصراحة لتصوير كل دقائق العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة. هذا النمط من العلاقات، هل نجد له أثراً في قصصك؟!

ـ الأمور تتوقف على حاجة الموضوع!! فإذا استدعى الموضوع لدوافع حقيقية، لكشف دخيلة نفسية، أو لحل عقدة جوهرية، أن يتوسع الكاتب بعض الشيء في النطاق الجنسي فلا بأس في ذلك، لكن هناك فوق ذلك كله حدوداً في التعبير لا بد من الوقوف عندها، وإذا أمسكنا بزمام التعبير، أمكن الوفاء بالغرض من استخدام العنصر الجنسي دون أن يخدش الحياء، والذي لا يؤدي إلى الابتذال.

□ مادمت قد ذكرت الابتذال، ألا ترى أن في الساحة الأدبية نوعاً من القصص التجارية الرخيصة، فكيف للقارئ أن يفرق بين الأدب الجيد، والأدب الرخيص؟!

ـ الفرق يظهر في فنية القصة، فالقاصّ الذي يعالج موضوعاً ومن عناصره الجنس، يستطيع أن يجدد فيه، إذا صاغه صياغة أصيلة صادقة، ومعبرة عن حياة المجتمع، ومستجيبة لها، على أن تكون أهداف هذا القاص نقية من الشوائب، ففي تلك الحالة يكون الكاتب لا يتعمد الإتيان على الجنس من أجل الإثارة، إنما

يتخذ منه وسيلة لافتضاح القبائح، والوقوف في وجه أدران المجتمع الذي تحكمه الشهوات الجنسية النزقة.

أما إذا كان الكاتب القاصّ يتعمد الإثارة الجنسية ليدغدغ بها غرائز السذج من القراء دون أن تكون له رسالة، فهذا يعتبر من سقط المتاع. أما كيف نتبين هذا من ذاك، فالمحكّ هنا يعود إلى درجة الوعي عند القراء.

□ قُلت أكثر من مرة إن التسلية يجب أن تستأثر بـ ٥٠٪ من القصة، ماذا تعني بالتسلية؟!

ــ الذي أعنيه شيئان: أولاً، العرض الطريف الذي يعرض فيه الكاتب موضوعه بحيث يُشوق القراء للمتابعة، ويشدهم بالاهتمام، والتعاطف والتعايش مع شخوصه..

ثانياً، الروح الأليفة، يعني إضفاء أجواء مرحة من خلال الدعابة والسخرية والتهكم، حتى وإن كانت طبيعة القصة من نوع الدراما السوداء. هذا ما قصدته بالتسلية.

□ أستاذ تيمور، كتبت قصة خصيصاً للسينما، وقد حققت نجاحاً كبيراً، فلماذا لم تعاود التجربة، مع أن فيلم «رابحة» قد حقق نجاحاً كبيراً؟!

ــ والله إلى جانب قصة «رابحة»، كتبت قصة سينمائية أخرى هي: «سلوى في مهب الريح»، ولكن المشكلة أن القصة والرواية عندما أكتبها لكي تُنشر على القراء، أيسر وأسهل عندي من تلك القصة التي تُكتب للسينما، لأن القصة السينمائية تصبح

بيد المخرج مادة يشكلها وفقاً لمقتضيات العمل السينمائي وحرفياته. فالقصة تغدو كالديكور، والتصوير والملابس وما شابه ذلك، وأنا أفضّل أن أكون سيداً على قصتي وأتحكم فيها، وأحدد ملامح شخوصها، وأسيّر حياتهم فيها.

□ **الملاحظ أن أغلب الموضوعات التاريخية التي تكتبها قد ضمنتها الشكل المسرحي، بينما أعمالك القصصية معظمها من واقع المجتمع المعاش، فهل ترى أن القالب المسرحي هو الأكثر ملاءمة للموضوعات التاريخية؟!**

ــ لعلك تعرف أن المسرح هو أول الأنواع الأدبية التي عنيت بالقصص التاريخي، فأنت عن طريقه تستطيع إحياء التاريخ وتصوّر أحداثه، بينما بينك وبينه مسافات طويلة موغلة في القدم، أو أنك تقرأ التاريخ سطوراً، ولكن إذا اتخذت للتاريخ المسرح مجالاً تكون وكأنك تراه أمام عينيك.

أما القصص الاجتماعي فشخصياته معك، وأحداثه على مسمع منك، ومحيطة بك، ولذا فإن الألفاظ والتعبيرات، بل وتصوير المعيشة والبيئة تقتضي اتباع الأسلوب القصصي، وليس المسرحي، ومع هذا أحب أن أستدرك على ما قلته: أن لي مسرحيات اجتماعية هي ضعف ما كتبته من مسرحيات تاريخية.

□ **أستاذنا، أدرت أحداث إحدى رواياتك القديمة في لبـنان، وهي «نداء المجهول»، وأدرت رواية أخرى في بلاد صحراوية تنتج النفط، وهي «شمروخ»، هل**

كان اختيار الأماكن قد نتج من معايشة لك فيها، أم أنك اكتفيت بالخيال فقط؟!

ــ في «نداء المجهول» كانت القصة بشخصياتها وأوصافها، هي مما شهدت وعايشت في لبنان، وأما في «شمروخ» فإن معرفتي بالبلاد العربية، واحتكاكي بشخصياتها، لم تدع لي حاجة إلى إعمال خيال كبير.

□ **يقال إن القصة هي وافد غربي إلى العرب، ما مدى صحة هذا القول؟!**

ــ كتبت بحثاً قديماً فصلت فيه القول، وأكدت أن الأمة العربية أمة قصصية منذ الأزل، فقد وردت القصص في التعاليم الدينية، وجاء البعض منها في القرآن الكريم، وهناك قصص الأمثال، والأزجال، والنوادر، والمقامات، والخرافات.. أما القصص الأدبي، فهناك «رسالة الغفران»، و«حيّ بن يقظان»، وفي القصص العاطفي الغرامي، هناك «مجنون ليلى»، وأما القصص الشعبي، فلدينا «ألف ليلة»، و«عنترة» وهلمّ جرّاً من أنواع التعبير الإنساني. ولا شك في أن القصة الحديثة وإن كانت غربية المنهج والحرفية، أعني التكنيك، فهي بلا شك تحمل جذوراً من طابعنا العربي وموروثنا الأدبي والقصصي.

وقد أفاض أساتذة الأدب المقارن بالعلاقة الوثيقة بين الأدب العربي والأدب الغربي، وكتاب «رحلة الأدب العربي إلى أوروبا» لمفيد الشوباشي قد شرح هذا الموضوع، كذلك هناك دراسات حوله للأستاذ العقاد.

□ **في الوقت الذي كانت المرأة فيه محدودة التحرك، نجد أن عائشة التيمورية كانت تكتب وتحاضر، وتقيم أمسيات شعرية، كيف تم اختراق أسوار المحرم الذي كان مضروباً على المرأة في ذلك الزمن؟!**

ـ كانت حركة نهضوية ساهمت فيها العديد من النساء إلى جانب عمتي عائشة التيمورية، فهناك هدى شعراوي، وملك حفني ناصف وغيرهن من الرائدات. أما كيف تم كسر تلك الأسوار، فهو التوجه الاجتماعي السليم، والثقة الكاملة بقدرات المرأة على النهوض بمجتمعها.

□ **يزورك بين الحين والآخر عدد من طلاب المدارس، فهل تجد أن أبناء هذا الجيل لديهم الاستعداد لأن ينهضوا بالحركة الأدبية، رغم اختلاف الظروف التي صنعت الرواد من أمثالك ومن أمثال أبناء جيلك؟!**

ـ كنت دائماً أستقبل الطلاب وسواهم، وأركز في الحوار معهم على تعميق القراءة.. أن يقرأوا الأدب الجاد والعميق، كما يقرأون الأدب الخفيف اللطيف، وأحثهم دائماً على أن ينوّعوا من قراءاتهم في كل شيء، أن يقرأوا من كل شيء بطرف.. من أدب الروس قدامى ومحدثين، وأدب الإنكليز، والفرنسيين، والطليان، والأميركان، واذا توفر لهم شيء من الأدب الصيني، أو الهندي، أو الفارسي، لأننا بالقراءة نبلغ ما نريد ونساهم في الرقي الحضاري.

□ **أستاذي، أشكرك جداً لهذا الحوار . .**

ـ وأنا أشكرك بدوري، لكن دعني من خلال الميكروفون أن أخص بالذكر صديقي وأخي وزميلي الاستاذ زكي طليمات الذي علمت أنه يقوم الآن بإخراج مسرحيتي «صقر قريش» على خشبة أحد مسارح الكويت.

□ □ □

محمود شاكر

لم أكن على إلمام بالمكانة الأدبية لمحمود شاكر، لكن الذي لفت انتباهي إليه، أن وزير الإعلام الكويتي - في الستينيات - الشيخ جابر العلي، كان مهتماً به أشد الاهتمام، وطلب من المكتب الثقافي الكويتي في القاهرة أن يجري له لقاءً خاصاً لإذاعة الكويت، ورشح لإجراء ذلك اللقاء معه، الإعلامي اللامع آنذاك، أحمد فرج.

غير أن شاكر رفض التحاور مع أي جهة إعلامية رفضاً باتاً، وكان يبرر رفضه بأنه خرج من السجن لتوه، ويريد الركون إلى الراحة والدعة.

وكنت أتصور أن الحوار مع محمود شاكر ضمن سلسلة الأدباء الذين التقيتهم في برنامج «أديب الأسبوع» يعد صفقة رابحة، فعكفت على دراسة معطيات الرجل، فتبيّن لي أنه واحد من عمالقة الباحثين في آداب اللغة العربية، كما أنه شاعر متميز، خاصةً في ديوانه «القوس والعذراء»، فضلاً عن كتابه عن المتنبي

والذي يعتبر أفضل ما كتب عن أهم شاعر عربي حتى يومنا هذا.

وأصر محمود شاكر على رفض إجراء مقابلة إذاعية معي، بل أسمعني كلماتٍ دلّت على غضبه وعصبيته، بعدما ألححت عليه بالطلب، لكن ذلك لم يثبط من عزيمتي، فلجأت للاستعانة بأصدقائه لكي يقنعوه بالعدول عن رأيه، ومنهم الأديب يحيى حقي، فما زاده ذلك إلا إصراراً على الرفض.

إلى أن حلّت مناسبة عيد الأضحى المبارك، فحملت أجهزتي واتجهت إلى شقة محمود شاكر، وعندما شاهدني أحمل جهاز التسجيل بادرني بالسؤال:

ــ ماذا تريد؟!

أجبته: إذا كان يرضيك أن تكون سبباً في فشلي في مهمتي في مثل هذا اليوم المبارك، فالأمر متروك لك!!

بعد برهة من الصمت فتح الباب وقال باللهجة المصرية: «خُش بلاش غلبة» ودار بيننا حوار، فتبيّن لي أن الرجل كان يرفض اللقاء معي بسبب وشايات مسيئة تبرع بها البعض كي لا أنجح في إجراء حوار معه!!

وبدأت حواري مع محمود شاكر بالسؤال التالي:

□ يعدّ بحثك عن المتنبي من أهم الدراسات التي كُتبت عن هذا الشاعر الكبير، فلماذا لم تواصل جهودك في ميدان الدراسات الأدبية؟!

ــ عندما صدر كتاب «المتنبي»، وتناقله الناس، كُتبت عنه كلمات كثيرة، فيها إعجاب شديد، وكنت في ذلك الوقت في الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين من عمري، وقد جاءني الثناء عليه في صحف المهجر، ومن بلاد الشام، ومن العراق، فضلاً عما كُتب عنه في مصر، وكنت أرى أن تلك الكلمات التي كُتبت، قد احتوت على مبالغات، ورأيت أن تلك المبالغة لا تلقى هوىً في نفسي، لأن هؤلاء الناس الذين كتبوها أشاروا إلى ما يعرفونه هم عن المتنبي، بينما ما كتبته أنا كان مناقضاً للآراء التي كانت سائدة عنه، سواء كان ذلك في أمر مولده أو في أمر نسبته إلى أيٍ من القبائل كان ينتمي، أو في أمر نبوته، أو في أمر ما انطوت عليه جوانحه من حب لامرأة ذكرتها في كتابي، وهي أخت سيف الدولة.

والبعض من الكتّاب كانوا أصحاب الفضل عليّ، وهم من الذين أعطوني هذه الشهرة التي جعلت من كتابي يوزع أكثر من ثلاثة آلاف نسخة، وكان هذا شيئاً عجيباً في سنة ١٩٣٦.

أعود لسؤالك لماذا لم أواصل الكتابة في ميدان الدراسات الأدبية، فإن لهذا الأمر حكاية طويلة لا يتسع المجال هنا لشرحها.

□ لكن ما تفضلت به عن كتاب «المتنبي» كان كفيلاً بتشجيعك بالاستمرار في الكتابة، خاصةً بعد الثناء الواسع الذي لقيته!!

ــ ربما كل الناس يحبون الثناء، وأنا أيضاً أحب الثناء، ولكن

أحب الثناء إذا كان في موضعه، الثناء مفهوم خاطىء عندنا، الثناء عندنا هو بذخ لا أصل له، هو أقرب ما يكون إلى النفاق الاجتماعي!

□ **لكن الثناء الصحيح ألم يحفزك على الاستمرار في الكتابة الأدبية؟!**

ــ نعم حفزني على التقدم، ولكن لم يحفّزني على احترام ما أنا فيه، لأني أعلم عيوب ما كتبت أكثر مما يعلمه هؤلاء!

□ **عفواً، لم أفهم ماذا تعني؟!**

ــ كنت أحب أن أجد كاتباً نقد كتابي نقداً صحيحاً، وللأسف إلى هذا اليوم، لم أجد ذلك الكاتب الذي فهم طريقة نقد ما كتبته.

□ **ولا حتى الدكتور طه حسين؟!**

ــ طه حسين هذا في كتابه «مع المتنبي» الذي لا أستطيع أن أعده كتاباً في الحقيقة، لأنه غير ناضج، وسلك فيه سبيلاً قلّدني فيه، وقد كتبت في «البلاغ» في ذلك الوقت ثلاث عشرة مقالة عن الـ(٧٣) صفحة التي في أول كتابه، أثبتّ أنها محشوة بأشياء كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن طه حسين لم يسلك هذا الطريق الجديد على كتبه في كتاب المتنبي، إلا بعدما قرأ كتابي!.

وكتاب طه حسين صدر سنة ١٩٣٨، بينما صدر كتابي سنة ١٩٣٦، وطه حسين نفسه أثنى على كتابي مشافهة، وأخبرني بمناسبة العيد الألف للمتنبي الذي أقامته جامعة الدول العربية،

أنه شديد الإعجاب بكتابي، لكن لا ثناء طه حسين، ولا غيره يؤثر عليّ!

ولم أجد كلمة واحدة جديرة بالاحترام قيلت عن كتابي، سوى ما كتبه الأستاذ الوديع تلحوم ونشرها في «المقتطف»، ومقالة أخرى جديرة بالاحترام كتبها الأستاذ مصطفى صادق.

□ ولكن لم تجبني على السؤال: لماذا لم تستمر في كتابة الأبحاث الأدبية؟!

ــ أجيبك صادقاً، وليس في ما أقوله تواضع: لم أستمر في كتابة الأبحاث الأدبية لأنني كنت في ذلك الوقت صغيراً، والثناء الذي لقيته على كتاب «المتنبي» فاجأني بأشياء جديدة لم أعهدها في حياتي!

فالاحترام الذي لقيته من صاحب «البلاغ» عبد القادر حمزة، وغيره من الرجال الذين لقيتهم، جعلني أشعر بأنني في موقع لا أستحقه. وبغير كبرياء أقول لك: إنني لا أستطيع أن أتخلى عن حقائق كثيرة أؤمن بها، وعلى رأسها حقيقة نفسي. أنا قضيت حياتي أعالج نفسي، أعالج أثراً يندب فيّ، أعالج أثر الاستعمار في قلبي، في ضميري، في عقلي، في رؤيتي، أعالج أكبر المسائل في داخلي!

□ رغم أن ما تفضلت به ليس مقنعاً بعدم استمرارك بكتابة الأبحاث الأدبية، الا أن هناك سؤالاً يرتبط بالثقافة العربية المعاصرة التي تعاني من الاصفرار

والجفاف، خاصةً بعدما توقفت مجلة «الرسالة» وغيرها من المجلات التي تُعنى بالثقافة والآداب.

ــ يحتاج الكلام عن «الرسالة» إلى حديث خاص، خاصةً أن كُتاب هذه المجلة من الأسماء اللامعة في العديد من البلدان العربية، ومع ذلك فقد اختفت هذه الأسماء، ولم يبق ممن كانوا يكتبون لـ«الرسالة» إلا عدد قليل محدود، وفي الحقيقة أن الأستاذ الزيات رحمه الله قد أهملها في آخر سنواته لأنه شُغل عنها بشؤونه الخاصة، فأُوكلت إلى من لا يصلح أن توكل إليه أمور المسألة الفكرية، وهذا خطأ أساسي في تحرير المجلات الأدبية، لأن المجلة الأدبية ينبغي أن تقوم على صاحب الفكرة.

وقد تعرضت «الرسالة» إلى كارثة فكان لا بد من موتها، فماتت، ثم أُحييت بطريقة مصطنعة سنة ١٩٦٤، وسنة ١٩٦٥، وطُلب من الزيات، كما طُلب مني أن ننهض بها من جديد، فرفضت في بداية الأمر، ولكنني أذعنت للكتابة فيها تحت إلحاح الأصدقاء. غير أن كتابتي كانت مختلفة عما كنت أكتبه في «الرسالة» الأولى، التي كنت أُعد نفسي صاحبها.

□ لماذا نجد أن المجلات الأدبية لا تحظى بذلك الإقبال من ناحية، ومن الناحية الأخرى، فإنها لا تُعمر طويلاً؟!

ــ المجلات الأدبية لا تعمر طويلاً في العالم لأسباب كثيرة،

لكن في بلادنا لا يصح أن نربط عدم تعمير المجلات الأدبية بالأسباب التي تحدث في البلدان الأخرى. وللأسف أيضاً أن الذين يصدرون الأوامر لإنشاء المجلات الأدبية، لايزالون يعدون الأدب والفكر ليس أصيلاً في حياتهم!! فهم لا يقرأون إلا في حدود معينة.

□ **إذاً أنت ترى أن مجلة «الرسالة» قد دُفنت؟!**

ــ لا، الذي دُفن هو الحياة الأدبية الصحيحة!

□ **إلى هذا الحد؟!**

ــ نعم، وأكثر من ذلك: الحياة الأدبية الصحيحة دُفنت دفناً كاملاً، وهذا الجيل الذي نراه منزوع من أصوله نزعاً كاملاً، ولا بقاء لأمةٍ بغير حصيلتها الماضية، بغير هذا التيار المتدفق من القرون الطويلة، وما أعنيه بالتيار المتدفق، ليس التيار التاريخي المزيف الذي نستقيه عن طريق الآثار وسواها، وإنما أعني به التيار الفكري واللغوي الذي يعيش به الإنسان، فهذا الانفصال بين الماضي والحاضر قطع كل طرق الحياة الأدبية والفكرية في حياتنا!

□ **كأنك تدق أجراس الخطر في ما تقول؟!**

ــ لا تستطيع الأمة أن تعيش بغير تاريخها، والذي يريد أن يُنشئ في هذا الزمن أمة أخرى غن طريق التوهم فهو مخطئ! هذا ضرب من الخطأ، الأمم بلسانها فقط، الأمم بحركاتها الأدبية واللغوية فقط، أما الأشياء الأخرى من الصناعة، وكذا، وكذا،

والآراء الاجتماعية، فهذه زائلة ومتحولة، ويمكن أن تتحول في أي وقت، لكن إذا تحول التاريخ، فلا يمكن أن يبقى إنسان على صورة صحيحة في هذه الحياة!!

□ أستاذ شاكر، لك معارك أدبية كثيرة، آخرها معركتك في مجلة «الرسالة» مع الناقد الدكتور لويس عوض، هل من الممكن أن نتحاور في هذا الأمر؟!

ــ أولاً، أنا أنكر عليك توجيه مثل هذا السؤال؟!

□ لماذا؟!

ــ لأن الرجل الذي ذكرت اسمه لا وجود له عندي في الحقيقة! وقد ذكرت ذلك في مقدمتي في المقالات التي طبعتها، وبيّنت رأيي فيه، أنا أعلم حقائق كثيرة عن هذه الدنيا، ومن الحقائق أن كثيراً من الناس في كل زمان يظهرون ثم يختفون إلى الأبد، ومع الأسف أحب أن أقول لك أني أرى الآن أناساً يتصدرون، وهم غير جديرين بهذه الصدارة، وإذا استمرت سيطرة هؤلاء على هذه الأمة البائسة، فإنه الضياع لها، لا بد لهذه الأمة أن تستيقظ! وإذا استيقظت، فلن يُذكر أحد من هؤلاء أبداً، ولن يحترم إنسان في الدنيا عقله اذا ذكر اسم هؤلاء في التاريخ الأدبي، وأظنك تعلم أن تاريخ الأدب الإنكليزي، وتاريخ الأدب الفرنسي، مليء بأمثال هؤلاء على امتداد فتراته، ولكن بسبب هزال معطياتهم في المجال الأدبي، انتهى الأمر بهم إلى أن أصبحوا أصفاراً، ولا يمكن لمن يحترم نفسه أن يقرأ لهم كتاباً.

هذا الذي ذكرته في سؤالك لا يساوي شيئاً في تاريخنا الأدبي!

□ **ألاحظ أن الأستاذ محمود شاكر يتحاشى أن يذكر اسم الدكتور لويس عوض، بل أكاد أن أتبين من أجاباتك عن السؤال أنك تنفيه تماماً ككيان، وكوجود في الساحة الأدبية؟**

ـ الاسم ثقيل على نفسي منذ القديم، ولكنني أعرفه منذ أن كان صغيراً، ولا زلت أراه صغيراً، أعرفه وأعرف كيف نشأ، ومن أستاذه الذي أنشأه، فهذا وأشباهه يريدون هدم هذه الأمة، فلو كنا أمة حقيقية، لفهمنا أهداف هذا الذي ذكرته وأشباهه.

□ **أستاذ شاكر، أرجوك أن تهدأ، وأن تشرح لنا ما هي أسباب اختلافك مع الدكتور لويس عوض؟!**

ـ كتبت ما تسأل عنه، وأشرت إلى هذا الخطر، وقلت إنه خطر سياسي، لأنني أراه من الناحية السياسية، لا من الناحية الأدبية.

وهذا الإنسان الذي ذكرت اسمه لا يستطيع أن يقرأ أبياتاً من شعر أبي العلاء المعري، ولا غير أبي العلاء، بل لا يستطيع أن يقرأ شعر شاكر السيّاب على الوجه الصحيح.

□ **الذي أعرفه أن الدكتور لويس عوض تطرق إلى بعض المثقفين القدامىٰ من العرب، وقال بأن البعض من هؤلاء لم تكن ثقافاتهم عربية أو إسلامية. هل هذا الذي أزعجك منه؟!**

ـــ لا، هذا سخف. لا، أنا لم أردّ على هذا، فهذا التابع البسيط المبتذل المبهور بكتابات بعض اليهود يهرف بكلام سخيف لا يُعتد به، وهذا ما لا يستحق الرد، لكنني تناولته من الناحية السياسية لأُبيّن كيف أنه يُشكل خطراً في مفاهيمه الأدبية التي ترتدي لباساً سياسياً، أما أن العرب قد قرأوا كلام الأوائل، فهذا شيء مقطوع به، فهذه أمة من أعظم الأمم، لا توجد أمة أخرى على ظهر الأرض احترمت العقل الإنساني كما احترمه العرب.

□ **أستاذنا، أنت استنكرت عليّ سؤالاً، ولم تقل لي حقيقة هذه المعركة؟**

ـــ لأنك سميتها معركة! والمعركة الحقيقية هي بيني وبين العالم الأوروبي، أنا ليست لي معركة مع هؤلاء أبداً، لا مع الدكتور طه حسين، ولا مع هذا الذي ذكرت اسمه، ولا مع سواه، إنما كانت معركتي بين عربيتي وعقيدتي من جهة، وبين الذين يريدون أن يذلّوننا من جهة أخرى.

□ **لندع هذا السؤال ولندخل الى ما نراه من أعراض الغالبية العظمى من القراء عن مطالعة الكتب التراثية القديمة، فما تفسيرك لهذه الظاهرة؟!**

ـــ أنا لا أريد أن أُعطي هؤلاء القراء عذراً، ولا أريد أن أحمّل نفسي المسؤولية عن ذلك، فكل إنسان مسؤول عما يقرأ، وعما لا يقرأ، ولماذا تسأل عن قراءة الكتب القديمة، ولا تسأل عن انهيار اللغة العربية في الصحف والمجلات والجرائد، بل وفي التلفزيونات ايضاً؟!

والأدهى من كل هذا وذاك أن أسماء الفنادق في بلادنا لا تجد فيها اسماً عربياً إلا في القليل النادر، فأصبحت موجة الاحتقار للأشياء الأصيلة في تراثنا قاعدة يسير عليها الناس.

□ **والحل؟!**

ـ الحل؟!! من أين آتي بحلٍ، والمناهج السياسية نفسها تُدرس الطلاب الجهل، إن طالب الثانوية لا يستطيع قراءة شعر الجاهليين، ولا يستطيع قراءة المتنبي، بل لا يستطيع قراءة حافظ وشوقي!

□ **من المسؤول؟!**

ـ هذه مسؤولية الأمة، مسؤولية الوطن، أمامنا اليهود الذين يحزّون اليوم أعناقنا، أنشأوا لغةً من لا شيء، والذي لا يصدق فليقرأ عما قالوه عن جهودهم في الأدب اليهودي الحديث، وكيف تمت الاستعدادات لهذه الجهود.

□ **كنت أتمنى أن أسألك عن أشياء كثيرة، ولكن أجد أنك غاضب وحزين لما يجري من أحداث على الساحتين الأدبية والفكرية، وأكاد أن ألمح من ثنايا إجاباتك ما يجري من أحداث سياسية، ولكني سأسألك عن محمود شاكر الشاعر.**

ـ كتبت الشعر وأنا في الحادية عشرة من عمري، ولديّ الكثير من الأشعار، ولكني لا أريد نشرها لنفس الأسباب التي جعلتني لا أهتم بنشر الأبحاث الأدبية، كما جاء في سؤالك الأول، مع

أنني كنت صديقاً للعديد من الشعراء، أمثال شوقي وحافظ، كذلك هناك مراسلات بيني وبين الزهاوي، وبيني وبين العقاد مناظرات شعرية، وأحفظ الآلاف من الأبيات الشعرية، بدءاً من الشعر الجاهلي، مروراً بصدر الإسلام الأول، فالشعر الأموي، فالعباسي، وحتى عصور الانحطاط التي نعيشها الآن.

□ **كيف تم لك ذلك؟!**

ــ ببساطة أقول لك: تعلمت أصول اللغة والنحو العربي منذ الصغر، لأنني عكفت على قراءة الآجرومية، وهي عبارة عن ثماني صفحات تحتوي على النحو العربي كله، وبعدها أخذت أقرأ تراثيات مثل «قطر الندى»، و«الألفية»، فضلاً عن «ألف ليلة وليلة»، و«سيف بن ذي يزن». . فبهذا وغيره تمكنت من حفظ الشعر وقرض الشعر.

□ **هل لنا أن نسمع بعضاً من أشعارك؟**

ــ وإن كان هذا الأمر يضنيني، ولكني سأسمعك بعض أبيات من قصيدة «اعصفي يا رياح»:

اعصفي كالمجنون في عقل صبٍ ... هتك الغيض عزمه والوقارا
وازأري يا رياح في حرم الدهر ... زئيراً يزلزل الأعمارا
اعصفي كالشكوك في مهجة الأعمى ... تخاطفت حسه حيث سارا
اعصفي وانسفي فما أنت ... إلا نعمة تنشئ الخراب اقتدارا
عالم لم يكن ولا الساكنون فيه ... غير أشباح نقمة تتبارى

□ □ □

مصطفى أمين

رغم شهرته المدوية في عالم الصحافة، كنتُ أشعر بأن هناك حاجزاً نفسياً يحول دون الاقتراب منه، رغم أنني التقيت في برنامجي الإذاعي بمعظم رجالات الفكر والأدب والصحافة في حقبة الستينيات في القاهرة، إلا أنني لم أفكر يوماً بإجراء لقاءٍ مع مصطفى أمين!

ربما كان مصدر احساسي ـ آنذاك ـ نابعاً من أن هذا الرجل يمثل بالنسبة لي تياراً معاكساً لأهداف المبادئ القومية التي تدعو لها الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر.

وعندما أُلقي عليه القبض بتهمة التجسس ـ لصالح أميركا ـ تيقنت من صدق حدسي، وإن ظللت متشككاً بعض الشيء في صحة التهمة.. ولكن بعدما قرأت كتاب محمد حسنين هيكل «الصحافة والسياسة»، الذي يشرح فيه تفاصيل تلك القضية بدقة متناهية، تأكد لي أن هواجسي حياله لم تكن على خطأ.

وبعد خروجه من السجن وعودته لممارسة نشاطاته في عصر السادات، كرَّس كل جهده للانتقام من الحقبة الناصرية، حيث صبَّ جام غضبه على رموزها، بل إنه كان وراء كتابٍ باسم امرأة معروفة بانعدام الأخلاق، أخذ يكيل فيه تهماً ملفقة لشخص الزعيم عبد الناصر.

في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، استقر بي المقام في لندن حيث كنتُ أكتب في جريدة «الشرق الأوسط»، ومجلة «المجلة»، ومجلة «سيدتي»، ومجلة «الرجل».

كان مصطفى أمين يكتب فكرته اليومية في «الشرق الأوسط»، فكان لا بد أن نتلاقى بين الحين والآخر.

ولما جرى الاحتفال بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء الجريدة، تصادف أن جلسنا معاً على طاولة واحدة، وبلا شك فإن مصطفى أمين كان نجماً يجذب الأنظار، لأنه يروي من القصص والأحداث التي تثير الغرابة والعجب عن كثيرٍ من الأمور السياسية والأدبية والفنية، فهو ينتقل بالحديث من جمال عبد الناصر إلى أم كلثوم إلى السادات إلى طه حسين إلى عبد الوهاب والعقاد والحكيم وغيرهم وغيرهم. فكنت أتساءل عن مدى صدقية ما يقوله مصطفى أمين لأنه ـ والحق يقال ـ كان دمث الخلق، وجدت نفسي مندفعاً إلى طلب التحاور معه، فتم الاتفاق وكان هذا الحوار..

□ من الواضح أنك كنتَ من النابغين في الدراسة؟

ـ والدي طلب مني أن أكون دائماً من العشرة الأوائل، وكان ذلك مستحيلاً لأني أثناء الدراسة كنت أعمل في الصحافة، لكن في إحدى السنوات ظهر ترتيبي من التسعة الأوائل وكان والدي فرحاً بهذه النتيجة، ولما ذهب إلى ناظر المدرسة لكي يشكره ضحك الناظر وقال لوالدي: أو تعلم لماذا كانت نتيجة مصطفى أن يكون التاسع على دفعته؟.. لأن الفصل لم يكن به أكثر من عشرة طلاب.

□ **أين درست الصحافة؟**

ـ من قال لكَ أني درست الصحافة؟.

□ **ماذا درست إذاً؟**

ـ أنا حصلت على البكالوريوس، والماجستير في العلوم السياسية من أميركا.

□ **كان ذلك برغبتك؟**

ـ لم تكن رغبتي وإنما أنا أُجبرت على دراسة العلوم السياسية، ورحلتي إلى أميركا كان الغرض منها أن أدرس الصحافة، لكن العائلة كانوا ضدّ اشتغالي بالصحافة، فأرغموني على الاتجاه للعلوم السياسية، لكن ميزة جامعة جورج تاون أنه كان فيها ١٢٠ مادة تختار منها ثماني مواد، فأنا اخترت الثماني التي لها علاقة بالصحافة في الفصل الأول، وفي الفصل الثاني أيضاً اخترت الثماني المرتبطة بالصحافة، وإلى جانب أنني في ذلك الوقت كنتُ مراسلاً لمجلة «آخر ساعة» وجريدة «المصري».

□ من يسافر من مصر للدراسة في أميركا في ثلاثينيات القرن الماضي، لا بد أن يكون من الأثرياء والأرستقراطيين. هل أنت كذلك؟

ـ والدي كان يعمل بالمحاماة، ثم أصبح السكرتير العام المساعد لمجلس الشيوخ، ثم أصبح سفيراً لمصر في أميركا، ثم أصبح خبيراً لمصر في السودان، إلى أن أصبح عضواً في مجلس الشيوخ. فهل هذه الوظائف هي من أسس الارستقراطية المصرية؟!. فإذا كان الأمر كذلك فأنا أرستقراطي.

□ كيف اتجهت إلى الصحافة مع أنك حاصل على البكالوريوس والماجستير في العلوم السياسية؟

ـ هناك عوامل كثيرة يصعب حصرها، لكن دعني أروي لك هذه الحكاية التي أضاءت لي الطريق نحو العمل الصحافي: أنا ولدت ونشأتُ في بيت صفية زغلول، زوجة سعد باشا زغلول. وعندما كنتُ صغيراً شهدت هذا المنظر يوم دخل عمي آدم ـ جنايني الحديقة ـ وكان منزعجاً، دخل على سعد باشا وقال له: إلحق يا باشا، قال له: ماذا؟ أجاب: الورد الذي في الجنينة كله ضاع! فقال سعد باشا: وكيف ضاع؟ أجاب: سحقه المتظاهرون الذين كسروا الشجر، ودعسوا على الورد، فرد سعد باشا على عم آدم: إذاً هذا هو الورد الجديد، فهمت يا عم آدم. عندما سمعت هذه العبارة، وكنتُ ولداً صغيراً، فهمت قيمة ما يقصده سعد زغلول عندما يُشبه الشعب بالورد لكي يرد على رجل فلاح بسيط بعبارة هي في غاية الذكاء. صورة كهذه وصور أخرى مثلها متشابهة تجمعت في ذهني لتصنع مني صحافياً.

□ **حدّثنا عن تجارب ما قبل «الأخبار».**

ـ أقول لك: كنتُ أصدر مجلات صغيرة، لكن الحكومة أقفلتها لعدم وجود امتياز، وقابلنا أنا وأخي علي معظم رؤساء تحرير الجرائد اليومية، وقلنا لهم: نريد أن نعمل في الصحافة، فكان الجواب: خذوا شهاداتكم واستمروا في تعليمكم ثم عودوا إلينا. كان عمرنا ١٤ سنة (وأنا وعلي توأم) كما هو معروف) لكننا لم نيأس، فقد أقنعت أحد أصحابي في الثانوية العامة، وكان يكبرنا بثلاث سنوات أو أربع سنوات وكانت له شوارب، فقلت له: ماذا تنوي أن تعمل؟ فقال لي: سأكون بقالاً، فقلت له: ما رأيك لو أوجدت لك وظيفة صحافي؟. فدُهش وقال: كيف لي أن أكون صحافياً وأنا لا أعرف شيئاً في هذا المجال؟. قلت له: سوف أوصلك الى إحدى الجرائد وقل لهم: إني أرغب أن أشتغل صحافي»، وكانت هناك مجلة صدرت حديثاً اسمها «الرهايب» في شارع محمد علي، فزودته بعدد من المقالات والمقابلات والصور التي أُدخلت عليها بعض التعديلات، وعندما التقى برئيس التحرير، وكان اسمه محمد علي حماد، قرأها عليه فأصدر قراراً بتعيينه بمرتب ١٢ جنيهاً، فأصبح صديقي ذو الشنب يعمل في الجريدة وأنا أزوده بالمقالات والمقابلات والصور التي تُنشر باسمه.. وفجأة أُقفلت المجلة.

□ **لماذا؟**

ـ تبيّن أن مجلس الوزراء أصدر قراراً بإقفالها عندما شاهدوا

صورةً لكرسي العرش الملكي وقد جلس عليه رئيس الديوان وبدل التاج كانت وراءه بومة، ورئيس الديوان جالس على الكرسي وقد وضع رجله على رأس البومة بحذائه، وإلى جانبه إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء حاملاً سيفه، وبالقرب منه توفيق رفعت باشا وزير الحربية، ومكتوب تحت هذه الصورة: «الرجعية كما تريد أن تحكم»، فانتقل حماد للعمل في «روز اليوسف» وأخذ معه صديقي ذا الشنب حسن الذي أصبح كاتباً في «روز اليوسف»، وبالتالي انتقلت أنا معه إلى «روز اليوسف»، فأنا أكتب وهو ينشر إلى أكثر من ثلاث سنوات، ولكن عندما أصبح عمري ١٧ سنة التقيت جميل زيدان وقال لي: حصلنا على امتياز لمجلة اسمها «الفكاهة»، فماذا لديك مما يتناسب وطبيعة هذه المجلة؟. فجهزت له مجموعة أعمال، هذه مقالة سياسية، وهذا نقد مسرحي، وهذه مقالة مترجمة، وهذه أفكار صور فوتوغرافية، فذُهل زيدان وقال لي: أنت لأول مرة تكتب؟. قلت له: نعم، وهو لا يعرف بأني كنتُ أكتب في «روز اليوسف» منذ أكثر من ثلاث سنوات عن طريق صديقي ذي الشنب حسن. ولما انكشف الأمر وعُرفت الحقيقة عُينت نائباً لرئيس تحرير «روز اليوسف» ولم تكن سني قد وصلت إلى ١٨ سنة، في الوقت الذي كانت دار «روز اليوسف» تعج بحملة الشهادات العليا، بينما أنا لم أكمل شهادة الكفاءة بعد، ولكن الذي ميزني عن سواي هو أنني كنتُ أقوم بالكثير من الواجبات والأعمال، فإلى جانب الكتابة بمختلف تنوعاتها، إذا غاب كاتب الحسابات أقوم مقامه، وكنت الساعي الذي يذهب إلى المطبعة،

وأركب الدراجة الهوائية حاملاً المواد الجاهزة للطباعة، وكنت السائق الذي يقود العربة إذا تأخر سائق «روز اليوسف»، بل كنتُ أحياناً أقوم بتنظيف المكاتب، بهذه الطريقة استطعت أن أحقق لنفسي كل مقومات عناصر النجاح.

□ **ما هي قصة مولد «أخبار اليوم»؟**

ـ قلتُ هذا الكلام وكررته كثيراً كما كتبته أكثر من مرة وهو: حصلنا على امتيازها وكان المفروض أن تكون يومية، لكننا أنا وشقيقي علي قررنا أن تكون أسبوعية مؤقتاً، فظروفنا لم تكن تسمح لنا بإصدارها يومياً، فقلنا نجرب. وفي هذه الأثناء مُنعت، اتجهنا للحصول على امتياز مجلة «آخر ساعة»، ثم اتجهنا لإصدار امتياز آخر جديد لمجلة باسم «آخر لحظة»، على أن تصدر مرة واحدة في الأسبوع، ثم نجعلها مرتين في الأسبوع، وقررنا أن نُصدرها يومياً وأن تحمل اسم «الأخبار»، ثم اختلفنا على تسميتها ما بين أن تبقى «آخر لحظة» و«الأخبار»، فأخرجتُ قرشاً واتفقنا على أن نرميه، فإذا أخرج الوجه الذي به أو (صورة) نسميها «آخر لحظة»، وإذا كان عكسه (كتابة) نسميها «الأخبار»، فظهرت القرعة على (كتابة) فاخترنا لها اسم «الأخبار»، وهنا واجهتنا مشكلة جديدة، فهناك امتياز لجريدة أخرى اسمها «الأخبار» وصاحبها المرحوم أمين الرافعي، فعدّلنا بامتيازها وطلبنا تصريحاً بأن يكون اسمها «الأخبار الجديدة»، على أن نتفق مع ورثة الرافعي لنغيّر اسم «الأخبار الجديدة» إلى «الأخبار».

□ هل كانت «الأخبار» إضافة جديدة مختلفة عن الصحف التي كانت سائدة في ذلك الزمان؟.

ـ قبل ظهور «الأخبار» كانت الجرائد تحمل على صفحتها الأولى أكثر من ٤٠ خبراً، والناس ليس لديهم وقت يقرأونها ثم يذهبون إلى أعمالهم، فاتفقت أنا وأخي علي على أن القارئ المهم في مصر هو المرأة! لأن المرأة أكثر وفاءً للجريدة من الرجل، الرجل يقرأ الجريدة في خمس دقائق أو عشر دقائق ثم يُلقي بها، المرأة تجلس وتقرأ، فلا بد من أن تتضمن جريدتنا ما يستحوذ على اهتمام المرأة.

ثانياً، أن نحرص على كتابة الأشياء التي تهم الناس قبل الأشياء التي تهم الحكومة، فمثلاً: إذا صدر قرار تعيين وكيل وزارة زراعة جديد كنتُ أضعه في الصفحات الداخلية، ولكن إذا ارتفع سعر الملوخية فإن هذا الخبر يُنشر في الصفحة الأولى، لأن معظم الناس يأكلون الملوخية، وقس على ذلك مما اعتُبر جديداً وقت ظهور «الأخبار»، وأيضاً قلتُ وكتبت هذا الكلام أكثر من مرة.

□ لمن تدين بالفضل في عملك الصحافي؟

ـ بلا شك إنه استاذي الكبير محمد التابعي، وهو أول أستاذ لي في الصحافة، لأنه كان يكتب بأسلوب حديث، كان يكتب باللغة العربية الفصحى السهلة المفهومة، وفوق هذا وذاك كان ناقداً ممتازاً، ينقد في السياسة، وينقد في الأدب، وينقد في الفن، عندما كان رئيس تحرير «روز اليوسف» وغيرها.

□ **لا شك أنك خلال مشوارك الصحافي الطويل قد دخلت الكثير من المعارك؟!**

ـ نعم، كانت أولى معاركي عندما كنتُ أكتب زاوية اسمها «مشاغبات» في جريدة اسمها «الجهاد»، كنت وقتها طالباً في الحقوق.

□ **قلتَ إنك تخرجت من أميركا؟**

ـ صحيح، دخلت كلية الحقوق في مصر ولكني لم أتخرج منها لأني سافرت لأميركا.

□ **نعود إلى موضوع المعارك؟**

ـ كنت أوقع بقلم «مشاغب»، وحدث أن الأمير فاروق ولي العهد المصري آنذاك ـ تقرر إيفاده إلى إنكلترا ليدخل إلى الكلية العسكرية، فكتبت مقالة قلت فيها: «أولاً، أنا لا أفهم أنّ ولي العهد يذهب لدراسة الشؤون العسكرية.. هل سوف يقود الجيش؟.. كلا! إنه سيحكم البلد، فلا بد له إذاً أن يدرس السياسة الدولية، سياسة الحكم، بدلاً من العسكرية. ثانياً، إن فاروق سيسافر تصحبه حاشية كبيرة. ثالثاً، لماذا إلى إنكلترا وليس إلى الجامعة المصرية ليختلط بالطلبة المصريين الذين سيحكمهم يوماً ما؟». بعد المقالة قامت الدنيا ولم تقعد: رئيس الديوان الملكي علي بشمان، كلّم الأستاذ توفيق ذياب رئيس تحرير الجريدة، ثم محمود شوقي باشا سكرتير الملك اتصل برئيس التحرير هو الآخر، وكانوا يبحثون عن الاسم الحقيقي

لهذا المشاغب، وبالطبع فإن توفيق ذياب لم يُصرح لهم باسم كاتب المقال، فسألوا رئيس التحرير إن كان كاتب المقال شيوعياً، فأجابهم: إذا كان هو شيوعياً، فأنا شيوعي أيضاً. ولما عُزل الملك فاروق في ثورة يوليو ١٩٥٢، التقيت برئيس الوزراء علي ماهر، فقال لي: لو كان الملك فاروق متعلماً في مصر ودخل الجامعة المصرية لما حدث له ذلك. فقلت له: أنا الذي كتبت هذا الكلام منذ أكثر من عشرين سنة.

□ **كم عدد الكتب التي ألّفتها؟**

ـ «حياة طالب مُفلس في أميركا».

«سنة أولى حب» وهذا أُخرج للسينما.

«عمالقة وأقزام».

«سنة أولى سجن».

□ **كتبته وأنت في السجن؟**

ـ ليس هذا الكتاب فقط، وإنما كتبت في السجن ست روايات، وثلاث مسرحيات، وثلاثة كتب سياسية، وعشرة آلاف رسالة.

□ **هل من كتب أخرى؟**

ـ عندي كتاب عنوانه «لكل مقال أزمة».

□ **لا بد أن وراء هذا العنوان حكاية؟**

ــ حكاية واحدة بس؟. . والله أنا حياتي كلها أزمات: فراق شقيقي علي أمين، سنوات السجن، وهناك أزمات أخرى لا حصر لها ولا نهاية. باختصار أقول: أي مقالٍ أكتبه لا يسبب أزمة معنى ذلك أنه لم يحقق النجاح.

□ **هل من كتب أخرى؟**

ــ كثير، عندك «أميركا الضاحكة» وغيره وغيره.

□ **هل صحيح أنك كنت وراء احتفال العالم العربي بعيد الأم؟**

ــ الفضل في انتشار عيد الأم يعود لعلي أمي. . والذي حدث أنه في يوم من الأيام قالوا لنا إن سيدة مسنة تريد أن تلقانا، فرحّبنا بها، وروت لنا أنها أرملة وعندها طفل عمره ست سنوات، فأخذت تعمل لكي تربيه تربية حسنة إلى أن دخل الابتدائية والكفاءة والثانوية ثم كلية الطب فأصبح طبيباً، وباعت ما لديها من ممتلكات لتفتح له عيادة، إلى أن تزوج، وباعت مجوهراتها كي توفر له المهر والزواج الذي يليق به.

وما هي إلا فترة وجيزة من هذا كله، استقل في بيته الخاص مع زوجته ولم يعد يزورها إلا بمناسبات الأعياد. وأنا كنت قد كتبت كتاباً عنوانه «أميركا الضاحكة» أشرت فيه إلى احتفالاتهم بعيد الأم وعيدِ الأب، فبعد تلك الحكاية التي سمعناها من السيدة اشتدت الحماسة بعلي أمين فتبنى فكرة عيد الأم الذي أصبح الآن منتشراً في العالم العربي كله.

□ ماذا عن عيد الحب؟. هل أنت وراء انتشاره في العالم العربي؟

ــ نعم، لما رأيت جنازة في حي السيدة زينب ولم أر من يسير وراء ذلك النعش سوى ثلاثة أشخاص، فأصابتني الدهشة!! ففي هذا الحي الشعبي الذي يكتظ بالناس لا يخرج خلف هذه الجنازة إلا ثلاثة؟!. هذه الظاهرة دفعت بي أن أنزل من سيارتي.. وأخذت أسأل: جنازة من هذه؟ قالوا هذا وكيل معاشات؟!. ألا يوجد أحد من معارفه؟. ألم يكن تحت يده موظفون؟.. ألم يكن لديه أصحاب؟.. قالوا: الحال كما ترى.

فهذا الحدث قد كَبُر تأثيره في داخلي وأخذت أتساءل: ألم يبق حبٌ في هذا البلد؟. هل هذا مقبول؟. فمصر التي اشتهرت بالمروءة والصداقة والحب بين الناس لا تجد من يخرج وراء جنازة سوى ثلاثة أفراد؟. من هذا المنطق كرّست ورشة من الكتاب والقصاصين والرسامين للترويج للحب، حتى أصبح عيد الحب منتشراً في معظم البلاد العربية.

□ من منكما كان وراء فكرة «ليلة القدر»؟

ــ الحقيقة ظهرت الفكرة على أيدينا معاً، لكن البداية كانت لعلي وكان ذلك في سنة ١٩٥٧.

□ عندما كنت في الولايات المتحدة الأميركية، وكما أشرت، كنت قد اخترت دراسة المواد الصحافية، فهل فكرت أن ترسل أخباراً من هناك الى مصر؟

ـ كتبت يا سيدي: إن ملك إنكلترا يحب سيدة مطلّقة اسمها مس (سمبسم)، وبعثت به إلى «آخر ساعة»، فاتصل التابعي برئيس الوزراء يُطلعه على فحوى الخبر، فاعترض رئيس الوزراء المصري بحجة أن ملك إنكلترا هو الذي وقّع معنا معاهدة ١٩٣٦، فلا نريد أن نزعله.. فظهرت «آخر ساعة» وقد كتبت التالي: «يشيع دعاة السوء أن ملك إنكلترا يحب واحدة مطلقة، وهذا غير صحيح». وبعد ذلك جاءت صحة الخبر.. فهذا أهم خبر كتبته من هناك.

□ هل أنت صحافي ناجح؟

ـ والله اذا كانت مجلة «الاثنين»، قبل أن أتولاها توزع ١٢ ألف نسخة، فارتفعت بعدما أصبحت مسؤولاً فيها إلى ١٢٠ ألف نسخة وهذا ليس نجاحاً فأنا لست ناجحاً؟

□ طيب ما سر هذا النجاح؟

ـ أنا أتحسس نبض الشارع، وأعرف مواطن حاجة الناس، فمجلة «الاثنين» جعلتها تتبنى قضايا الشباب، فأقبل عليها الشباب. لكن الحكومة لم تعجبها الحال فاعترضت على هذا النجاح وقالت: نحن نحتاج إلى مجلة تصب اهتمامها على نشر مبادئ الاشتراكية، فنزل توزيعها وفشلت ثم أُغلقت.

□ وهل أنت فعلاً تتحسس قضايا الشباب، وما هي؟

ـ بصدق أقول: الجيل الجديد تنقصه الحرية، أعطى جيل الشباب الحرية وأنا على ثقة من أنهم سوف يصنعون المعجزات،

الشاب عندما تقيّده وتخيفه وتضع في طريقه العقبات، لا تستطيع أن تحصل منه على القوة الحقيقية الكامنة في تطلعاته.

□ **ما الذي يميز أبناء هذا الجيل عن جيلكم؟**

ـ أنا أعتقد أبناء هذا الجيل مجنّي عليهم لأنهم لم يتذوقوا طعم الحرية. الرواية تخضع للرقابة، الفيلم لا يمر إلا بالرقابة، الكتاب لا بد أن تجيزه الرقابة.. معظم هذه العوائق لم تكن بمثل هذه الحدة والشدة في أيامنا.

□ **هل مصطفى أمين عاشق لوطنه؟**

ـ لا تطلب من السجين أن يعشق زنزانته. إلا إذا كان قديساً أو متصوفاً.

□ **أستاذ مصطفى، ما هي ظروف الإفراج عنك قبل أن تُتمم سنوات عقوبتك في السجن؟**

ـ والله الفضل في ذلك يعود لأم كلثوم التي قابلت أنور السادات، فقال لها: سأفرج عنه بعد المعركة، لأنني ـ والكلام للسادات ـ أعرف أن مصطفى أمين سُجن مظلوماً.

□ **يُشاع أن أم كلثوم ليست على وفاق مع السادات ولا مع زوجته؟**

ـ كلام فارغ. ليس صحيحاً. وعلى سبيل المثال: كنتُ أتحدث إلى أم كلثوم يومياً، وفي إحدى مكالماتها عرفت أنها كئيبة، فكلّمتُ مدام جيهان السادات فقالت: سأذهب إليها. وبالفعل

قابلتها وركبنا السيارة معاً وأمضنا أمسيةً خففت من كآبة أم كلثوم، فما يقال عن هذا الخلاف لا أساس له من الصحة.

□ **قل لي وبصدق: كيف كانت مشاعرك وأنت داخل السجن؟**

ـ أنا طول عمري كنت صادقاً وأنا خارج الزنزانة، فكيف لا أكون صادقاً وأنا داخلها؟!.. وأقسم بالله وأنا داخل هذه الزنزانة كنت أشعر بأنني أقوى من ذلك السجّان الذي يعيش خارجها خائفاً، بينما أنا أعيش في منتهى الاطمئنان.

□ **هل كانت لك اتصالات بأصحاب القرار وأنت في السجن؟**

ـ كانت عندي رؤية، فحين مات عبد الناصر توقعت أن السادات هو القائم، وتوقعت أن الذين يشتغلون مع السادات سينقلبون عليه، وكان من رأيي أن يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به. وقد فعل.

□ **ماذا يقول مصطفى أمين لجيل الصحافيين من الشباب؟**

ـ أولاً، أن يعرف أن الارتفاع بالحياة ليس بواسطة المصعد. الذي يريد أن يرتفع به بكبسة زر من سفح الجبل إلى قمة الجبل. أنا أريد للشاب الجديد أن يحفر الطريق بيديه، وأن ينسى فكرة النجاح السريع. والشاب لكي يكتب هو بحاجة إلى كمٍّ معرفي هائل وموهبة هائلة، وتمتزج المعرفة بالموهبة لتخلق كاتباً.

□ ذاكرتك مكتظة بالشخصيات السياسية والفنية والأدبية، ولك ذكريات معهم تملأ مجلدات، فمن هو الشخص المتميز عندك ويحتل مكان الصدارة في ذكرياتك؟

ـ إلى جانب شقيقي وتوأمي علي، هناك شخص لا يتكرر، هو من أخف الناس دماً، وهو شاعر من الطراز الأول، وإن كان من عيوبه أنه كسول، وقد قلتُ له يوماً: لو هناك اختراع يُشبه «الركوردر» الذي يصحبك منذ صحوك إلى ساعات نومك لكنت من أكثر الناس إنتاجاً أدبياً وشعرياً وفكرياً في العالم. . لأنه كان يرتجل ويقول حِكماً في كل الأمور، ويُطلق النكات في كل شيء، ويقول الشعر وهو يأكل، لكنه حينما يأتي ويكتب يجلس لثلاثة أو أربعة أيام لا يستطيع أن يؤدي شيئاً. هو شخصية جميلة جداً، ويمكن الكثير من الناس لا يعرفون أنه كان أزهرياً في بداية حياته، وكان يرتدي العمامة، ولكنه دخل مدرسة فرنسية في ما بعد، وكانت له ميزة عظيمة جداً، أنه يختار المواهب، يعني عنده مغناطيس يجتذب له المواهب الشابة ويشجعها ويأخذ بأيديها، فوق هذا وذاك فهو من أظرف ظرفاء مصر. إنه صديقي الذي لا أنساه كامل الشناوي.

□ والزعيم العربي الذي ترك في نفسك أثراً طيباً؟

ـ سوار الذهب. سيبقى هذا الرجل اسمه مخلداً، لأنه ترك قيادة الثورة للشعب، وأسس لانتخاب الديموقراطية ثم أحال نفسه للتقاعد.

□ **هل تمنيت أن يكون سوار الذهب في مصر؟**

ــ الشعب المصري يستحق كثيراً لأننا ظلمناه، ولأننا خدعناه، وأعطيناه الأوهام، ثم وضعنا في يده القيود.

□ **واضح من إجاباتك على أسئلتي في هذا اللقاء أنك رجل مسكون بالحزن، مع أنك مرح والابتسامة تعلو محياك دائماً!**

ــ المرح والضحك أجمل لحظات الحياة. أليس شر البلية ما يُضحك! ولهذا فأنا أضحك كثيراً. لأنني من المؤمنين بفن الضحك للضحك!

□ **ماذا يتمنى مصطفى أمين لصحافة هذه الأيام؟**

ــ أتمنى أن تنقد الحاكم ولا تُدخل الناقد إلى السجن. أتمنى أن تشير الى الفساد عند الكبار. أتمنى أن تسلط الضوء على الحرامية فتزيح عنهم الظلام فيصبحون تحت مجهر النور الذي يفضحهم.

□ **كأنك تطلب من الصحافي أن يكون مقاتلاً؟!**

ــ وألاّ يخاف إلا الله، الصحافي الذي يخاف لا يثق به أحد، وألاّ يكتب خبراً غير صحيح لأن الذي يحرف ويكذب في الخبر إنما يقوم بعملية تزييف، والمزيف لا بد أن يُعاقب بالسجن.

□ **أتقول هذا لأنك عوقبت بالسجن؟**

ــ نعم، ولكن ليس لأنني مزيف، بل لأنني كشفتُ عن زيف السلطة.

□ **هل تنطلق في عملك الصحافي من مبدأ معين؟**

ــ أنا منذ نعومة أظفاري أنادي بالديموقراطية، وأنادي بحقوق الإنسان. ومبدئي أن أنظر إلى الإنسان على أنه قيمة عليا إلى أن يُثبت العكس، وحتى إذا أخطأ ذلك الإنسان أتحين له الفرصة لأنه بشر.

□ **الواضح أنّ قراءاتك وتجاربك ومشاهداتك الخاصة قد امتزجت كلها لتجعل منك صحافياً مثيراً للجدل!!.**

ــ بالنسبة لقراءاتي فهي كثيرة ولكن بالتحديد قرأت غاندي، وتشرشل، وروزفلت، والجنرال ديغول الذي كان مقيماً في مصر وقت الحرب، وكانت السفارة الانكليزية تدعو وترجو رؤساء التحرير أن يذهبوا لزيارته ويقابلوه، ولكننا كنا نفرّ لأننا لم نكن نتصور أنه شخصية ذات أهمية. ومن الشخصيات غير السياسية شارلي شابلن الذي قابلته سنة ١٩٣٥ وأنا طالب في أميركا ووجدت أنني أمام فيلسوف أكثر منه فناناً ساخراً. وشهدت بعيني سنة ١٩١٩ الأقباط وهم يموتون إلى جانب المسلمين، وشهدت القساوسة يعتلون المنابر في الجوامع ويلقون فيها الخطب، وشهدت المشايخ يدخلون الكنائس ويخطبون.

□ **في ضوء هذه التجارب. من هو الحاكم المثالي في رأيك؟**

ــ هو الحاكم الذي يعطي الشعب حقه. وأنا أعتقد أن الهزائم

التي مُنينا بها في العالم الثالث بسبب أن حُكامنا لم يعطوا الشعوب حقوقها.

□ **هل كتبت بعد خروجك من السجن، مقارنة بحريتك خارجه وتلك الأيام داخل الزنزانة؟**

ــ صدقني إذا قلتُ لك لقد وجدت في السجن من النبل والشهامة والمروءة عند المجرمين واللصوص والقتلة، أكثر مما وجدته عند أولئك الذين يعيشون خارج السجن. وبالمناسبة هؤلاء المحكوم عليهم هم الذين تولوا تهريب معظم ما كتبته داخل السجن ولم يشِ بي واحد منهم، وهم يعرفون قصتي مع النظام.

□ **ألا تنوي أن تجعل من قصتك في السجن رواية لفيلم سينمائي؟**

ــ أنا لا أكتب للسينما.

□ **كيف هذا وأنت كتبت فيلم «فاطمة» لأم كلثوم؟**

ــ يا سيدي لهذا الفيلم قصة وحكاية سأرويها لك: طلبت أم كلثوم مني أن أتكلم مع توفيق الحكيم أن يكتب لها رواية للسينما، وعندما كتبها توفيق وقدمتها لها قالت: هذا العمل لا ينفع، لأنه رسم لي دور جارية أيام العصر العباسي، وأنا أريد قصة تتناول حياتنا الواقعية المعاشة. فقلت لها: أبحث لك عن مؤلف آخر؟ فقالت: لا، أنتَ اجلس واكتب. قلت لها: كيف أكتب ولم يسبق لي أن كتبت قصة أو رواية؟ قالت بلهجة آمرة: اجلس. وجلسنا، وأخذت أكتب، وكلما كنت أُنهي ورقة أعطيها

إياها، وتُبدي عليها ملاحظاتها إلى أن وصلنا إلى نهاية قصة «فاطمة».

□ واضح من هذا أن علاقتك بالسيدة أم كلثوم كانت وطيدة جداً؟!

ـــ كانت صديقتي، وكنت معجباً بشخصيتها. هذه الفلاحة التي استطاعت أن تتفوق على كل نساء القصور وصاحبات الصالونات الأدبية.. بل تعلمت الفرنسية، وكانت تكتب اللغة العربية بأسلوب يكاد أن يشابه في جودته جودة صوتها. تخيل واحدةً مثل أم كلثوم ركبت حماراً وراحت تغني من قرية إلى قرية، إلى أن أصبحت أم كلثوم التي تعد أشهر من أي كاتب عربي ومفكر عربي، بل أشهر من أي حاكم عربي. وهناك إجماع من الجميع على محبتها واحترامها.

□ كان الشبه بينك وبين توأمك علي أمين متطابقاً تماماً، ولا بد أن يكون وراء هذا التطابق أكثر من حكاية؟!

ـــ كنا نفكر تفكيراً واحداً، كنت أنا أبدأ المقالة وهو يتمّها، وأحياناً أتكلم عبر الهاتف فأردّ على المتحدث باسمه، ولا يعرف الطرف الآخر أنني مصطفى، وفي بعض الأوقات في مؤتمرات صحافية أسافر بجواز سفره، وكان هو مهندساً، وهذه نفعتني جداً لأنه وأنا في السجن وهو في لندن، كنت أشعر فعلاً كأني في لندن وهو يشعر ساعات أنه في السجن. وكثيراً ما كنا نتفق على أشياء بعينها فأنا مثلاً أُحسن الظن بأشخاص، هو يُحسن

الظن بهم أيضاً. أما عن الطرائف فالحديث عنها بلا حرج، على سبيل المثال: قد دخل علي عند حلاقه فأحلق له ذقنه، وبعد نصف ساعة دخلت أنا على نفس الحلاق الذي لم يكن يعرف أن لعلي توأماً بذقن طويلة، فجلست على الكرسي كي يحلق لي، فصاح الحلاق: يا راجل أنا لسى شايلك ذقنك من ربع ساعة.. طلعت إزاي؟!!.. وهناك الكثير من هذه الطرائف.

□ **أستاذ مصطفى، ما الفرق بين تكنولوجيا الصحافة في عصركم وتكنولوجيا الصحافة هذه الأيام؟**

ـ أنا أعتقد أن الاختراعات والتكنولوجيا في العالم ككل، سوف ينعكس أثرها الإيجابي على المعمورة كلها وستظهر وسائل إعلامية جديدة تجعل من العصر كله جديراً بأن يكون عصر الإعلام.

□ **كنتُ أنوي التحاور معك بشأن عهدَي كلٍ من جمال عبد الناصر والسادات، وخشيت أن يكون لك موقف مسبق في العهد الناصري وهو الذي نراه في كتاباتك هذه الأيام، لكنني تراجعت عن هذا الموضوع!**

ـ خيراً فعلت. فعبد الناصر بين يدي ربه وهو كفيل بمحاسبته، وكذلك هو السادات، فماذا يستطيع مصطفى أمين أن يفعل أمام إرادة الله.

□ □ □

مصطفى محمود

اطلالته الأسبوعية في مجلة صباح الخير كانت مثيرة للجدل، مما جعله من الكُتاب المحببين لدى قطاع واسع من القراء، بالإضافة إلى قصصه العلمية المتميزة والتي كانت تُنشر على شكل حلقات، فقد كان على تواصل مع القراء من خلال الأسئلة التي يبعثون بها إليه فيجيب عليها بما عُرف عنه من براعة وإقناع في حل المشاكل.

التقيته في دار روز اليوسف عام ١٩٦٨ وكان الحوار منصبًّاً حول نشاطاته الفكرية والأدبية وقصصه واهتماماته الأخرى.

وبعد فترة ليست بطويلة على هذا اللقاء وإذا بالدكتور مصطفى محمود يخرج على الناس بتفسيرٍ عصريٍ للقرآن أثار في حينها ضجةً كبيرة وجدلاً واسعاً في الساحة الثقافية والفكرية، بل والدينية.

وبعد شهورٍ على هذا الحدث صادفته في مطار القاهرة في طريقه

إلى بيروت فقال لي: أنا ذاهب الى هناك حتى لا أُمكن الحرامية من السطو على كتابي تفسير القرآن الذي طُبع خلال أشهرٍ أكثر من طبعة.

ولم ألتق به إلا بعد أربع سنوات أي بعد التغير الجذري والتحول مما كان عليه الى الالتزام بعقيدته الاسلامية.. فكان هذا الحوار

□ □ □

□ لأنني التقيتك قبل التحوّل من الشك إلى الإيمان في حوار إذاعي.. فمما لا ريب فيه أن نقطة ما بعد التحول قد لازمتك طيلة السنوات التالية عليها، وأنت بطبيعتك رجل مرتجل، ففي كل مرة كانت إجاباتك تحمل الجديد تلو الجديد لإبراز اشراقة تلك النقطة، نقطة التحول من الشك إلى الإيمان!!

ــ أنا فسرت ذلك في مجموعة كُتب مثل **الله والإنسان** ـ الذي صودر ـ وأعدت النظر فيه، كذلك كتاب **نقطة الغليان** وهو عبارة عن مجموعة من القصص كل واحدةٍ منها تحمل رؤية لنقطة التحول.

□ لعل من المفيد لو أنك تضرب لنا مثلاً عن نقطة التحول عند الإنسان؟

ــ أمثلة كثيرة منها: أن الإنسان قد كُبل كاهله بحشدٍ من الآلام الهائلة من الممكن أن تكون سبباً في أن يتحول، ممكن لقاء مع مفكر أو كاتب أو حكيم قد يؤدي الى التحول، ممكن حادثة ما

تؤثر في حياة الإنسان تؤدي الى التحول، وقد تكون استنارة داخلية أو حالة إشراقية تأتيك من الداخل بإلهام باطني.

□ أيّ هذه الأشياء حدثت لك؟

ـ تقريباً كلها. من تجربة الآلام والمعاناة التي كانت طويلة جداً وأخذت مني فترات من التأمل والعزلة والارتحال، وقد عانيت كثيراً من المونولوج الداخلي. فوق هذا وذاك، أنا رجلٌ قارئ، وهناك العديد من الكتب قد ساهمت الى حد كبير في تحولي.

□ هل ممكن أن تذكر لنا عناوين تلك الكتب؟

ـ **إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي، وكتاب **الظاهرة القرآنية** لمالك بن نبي، وكتاب **المواقف والخطابات** لعبد الجبار بن الحسن، وغير هذه الكتب كان لها تأثير.

□ قلت إن كتابك (الله والانسان) صودر، لماذا؟

ـ إن جئت إلى الحقيقة فأنا نفسي عندما أعدت قراءته وجدته لا يقنعني، فالعلم قد يفسر لك ظاهرة سقوط المطر، وقد يربط المرض بأسباب أو ظروف. . ولكن هناك ظواهر أخرى كالدموع والألم، بل والموت. . هذه ظواهر تحتاج من الانسان أن يقف عليها موقفاً تفسيرياً مخالفاً عن الظواهر العلمية. يعني إذا كانت الحياة تبدأ بالميلاد وتنتهي بالموت، فلماذا البكاء اذاً؟ ونقطة التغيير عند واحد مثلي ليست هينة ولا سهلة، فأنا قرأت منذ سقراط مروراً بما تركه من أثر عند تلامذته، وحتى وليم جيمس

وما بينهما، وهو حشد كبير من الكُتاب والفلاسفة وأصحاب النظريات، كما وقفت على الأديان، فإلى جانب الأديان السماوية توغلت في الهندية والبوذية والزرداشتية وحتى المصلحين أمثال كونفوشيوس ولا وتسي وغيرهم.

وأذكر أنني كنت آخذ الكلمة من السطر والكتاب يعيش معي لشهرين أو ثلاثة أشهر، ثم هناك الرؤى الكشفية التي تجعل الإنسان يُعيد النظر في كل شيء.

□ هذه الرؤى الكشفية دخلت إليك بشكل تدريجي، أم أنها اقتحمت حياتك فجأة؟

ــ الرؤيا الكشفية لا تحدث للمؤمن فقط، هي تحدث للمؤمن والكافر والمجرم، بدليل أن ملك مصر الكافر في القرآن هو الذي حلم بسبع بقراتٍ عجاف وسبع بقرات سمان ومستقبل مصر لسبع سنين، بالرغم من أن النبي يوسف فسر الحلم، لكن الملك لم يرجع عن الكفر بدليل النهاية التي وصل إليها. مثال آخر: المسيح عليه السلام أحيا الموتى أمام اليهود ومع ذلك تآمروا عليه، وسيدنا موسى شق لهم البحر بعصاه ولكنهم عادوا وعبدوا العجل، فالرؤى الكشفية يقيم بها الله حجة على النفس، فيمنحها للكافر والمؤمن والمجرم والسكّير، وهي دليل على الكرم الإلهي.

□ هل شعرت بالندم يوماً على أنك مررت بمراحل من الشك في حياتك؟

ـ بالعكس، لولا تلك المرحلة لما وصلتُ إلى الإيمان الذي أنقذني الله به من الشك، فوالدي مثلاً كان يتوجه الى الله مباشرةً بدون تفكير. والشك لم يكن عبارة عن معاندة مني، لكن الظروف الموضوعية وطبيعة المناخ الذي كان يحيط بي قد دفع بي إلى تلك المرحلة، إلا أن والدي لم يمر بتلك الظروف.

□ ذكرت عدداً من الكتب التي رسّخت فكرة الإيمان بداخلك، ما الكتاب الذي يعدّ أكثرها تأثيراً؟

ـ **المواقف والمخاطبات** لمحمد عبد الجبار بن الحسن، لأنه كان يطرح تساؤلات ويطالبني بالإجابة عليها، مثلاً: لماذا خلقنا الله؟ ماذا يريد منا الله؟ فالإنسان عندما يقول لابنه أو ابنته أو أي عزيز عليه مثلاً: أعطيك روحي، ما تفسير هذا؟ يعود مرجعها إلى أن ربنا أعطانا من روحه (**فإذا نفخت فيه من روحي**)، هذا ليس مجازاً إنما هذا فعل، ونحن هنا ندور في فلك رحمة الله، في الحب، حب ورحمة ومودة وإفاضة، فلو افترضنا جدلاً أن الجنين قطع الحبل السري، وهو الصلة الوحيدة بينه وبين أمه فما الذي سيحدث؟ قطعاً سيموت، فالإنسان عندما يقطع الحبل السري وهو مصدر الحياة التي منحه إياها الله كأنه بذلك رافض لنعمة الله الذي كرّمه بهذا الحبل السري، فقطع ذلك الحبل هو الشرك، هو الكفر، فقطع ذلك الحبل معناه أنك قطعت العلاقة بينك وبين ربك، وعندما تقطع هذه العلاقة فلن يجبرك الله على شيء، فخيار الله وضع كل شيء على مبدأ الاختيار والحرية، الله لا يريد أن يأتي بك من العدم الى الوجود بالقوة. من هنا فلا

بد من الاستنارة الداخلية والحالة الإشراقية التي تعيد ذلك الحبل الى التواصل مع المصدر، مع الأمومة، وهذا لا يتم الا بقيامك أنت بإعادة هذا الحبل الذي يوفر لك الطهارة الداخلية في استقبالك للحياة، وفي تعاملك مع كل مفردات الحياة، والذي يستمر بقطع ذلك الحبل رغم مناداة ربه له لأنه عاكف على زخارف الدنيا وبهرجها، أو لأنه يسب هذا ويسرق ذاك ومشغول في حواراته مع الشياطين لأن بينه وبينهم مصالح مشتركة.. فهذا النمط من البشر يُذكرني بزهرة عبّاد الشمس التي غضبت من الشمس ولا تريد أن تنظر إليها مع أن الشمس هي مصدر حياة هذه الزهرة، وهي التي تعطيها كل مقومات الحياة، اذا غضبت زهرة عباد الشمس تظن أن الشمس سوف تموت فهكذا هي أحوال الذين يشغلون أنفسهم عن ربهم.

□ ما تتفضل به دكتور من الاسترسال بهذه المواضيع هل هو حصيلة قراءة، وبالتالي فهل ستكتبه؟

ــ الذي أقرأه لا أكتبه، إنما يدخل بالمعمل الذي بالداخل ليمر عبر قنواتٍ تتشكل فيها نوازع النفسِ البشرية، ثم يخرج شيئاً آخر بعد أن يُصهر بكيميائية جديدة أُظهرها للناس بما يتناسب وعقولهم، وهو ما يُطلقون عليه في الأدب العربي السهل الممتنع.

□ هل معنى ذلك أن معطيات الدكتور ستكون في معظمها شفاهية ولم يعد يكتب البحوث للتاريخ مثلاً؟

ـ كل الرسالات الأخلاقية، وأقصد بها السماوية تحديداً بدأت شفاهية، ولكن طبيعة رسالتي تقتضي مني التعامل مع نماذج بشرية مختلفة الأهواء والمشارب، فهناك المجرم ومروّج المخدرات وغيرهما ممن فرضت عليهم البيئة أن يسيروا في هذه الطرق الجهنمية، فهؤلاء لم يولدوا كذلك، وما هم عليه لم يكتبة الله لهم فهم قد اختاروا هذه الطرق بأنفسهم، الله يقول: (حسنة من عند أنفسهم)، يعني الحُسن نسبته للإنسان، فما أنت عليه لم يصنعه الله فيك، وبالطبع كل هؤلاء الخطائين لديهم التفسير الجاهز لما هم عليه، ذاك من يقول الفقر وآخر ينسبه للجهل، إلخ. فهل هؤلاء يقرأون البحوث والدراسات؟ للبحوث والدراسات مجالها الثقافي والأكاديمي، لكن واجبي الدعوي كي يستفيد البعض من تجربتي يقتضي مني أن أستخدم وسائل إعلام كالتلفزيون، والمذياع، والمحاضرة، وهذه كلها تقتضي مني أن أتحدث الى الناس مباشرةً، فليس صحيحاً أن الإنسان يسرق لأنه فقير، فهناك أمثلة لكثير من المليارديرات ولكنهم حرامية.. وليس صحيحاً أن النساء العابثات واللواتي يتاجرن بأجسادهن يفعلن ذلك بسبب دوافع مالية أو اجتماعية أو ما شابه ذلك، فالفلاحات في جميع بلاد العالم هنَّ من أكثر الناس فقراً لكنهنَّ الأكثر حفاظاً على شرفهنَّ.

□ أليست هذه مسائل نسبية؟

ـ أبداً، ليْست نسبية.. ولكن كتاب السر الأعظم قد كُتبت فيه كل هذه الأمور التي تسميها نسبية، فطبيعة الانسان خيّرة لكن

احتكاكه في مواجهة الحياة يُرسخ الشر في داخله لأنه ليست لديه مناعة في مواجهة كل ما يسيل لعابه من مباهج الحياة ونزقاتها، مع أن هناك في الحياة مباهج أجمل وأنقى وأطهر من الطُرق التي يختارها البعض. ولذا فإن الاستنارة الداخلية والاشراقة التي بزغت في داخلي كتجربة فريدة ومتميزة لا بد من أن أنقلها أو على الأقل أجعل منها ومضة النور الأولى التي ستكتنف حياتهم إن شاء الله.

□ ما أقرب أعمالك الى نفسك؟

ـ الأقرب حقيقةً هي القصص القصيرة، والمسرحيات، والروايات. أقصد المجموعات الأدبية، ولي كتابات إسلامية أعتز بها جداً.

□ دكتور.. أعمالك السينمائية هل تم اخراجها مثلما كتبتها؟

ـ أبداً، السينما قدمت أعمالي بشكل مختلف عما كتبته، رغم أنني حددت لهم السيناريو لكنهم فاجأوني بسيناريو آخر، وهذه هي طبيعة الأشياء، الكتاب يختلف عن السينما ولكني تعلمت درساً ألا أفكّر إطلاقاً بالسينما، وكذلك من الناحية الأدبية لا أفكر أبداً بالتلفزيون، لكن هذا لا يمنع أن أظهر في برنامج لأتحدث إلى المشاهدين عن الإعجاز الرباني.

□ هل الأفكار التي في ذهنك طيعة بحيث إنك تصبّها على الورق وقت ما تشاء؟

ــ صدقني إذا قُلت لك إني أجلس شهوراً أحياناً ولا أكتب حرفاً واحداً.

□ **لماذا؟**

ــ لأن الفكرة لم تكن قد اكتملت بداخلي، لابد قبل أن يكتب الانسان أن تكون ملامح الفكرة قد بدأت بداخله ثم يعمل على بلورتها.

□ **هل بينك وبين الماركسيين خصومة؟**

ــ إخواننا الماركسيون يقولون بتغيير التاريخ، واختصار التاريخ، والبعض منهم يُفاخر بأن ستالين لكي يُزيل الملكية الفردية ويجعل المزارع جماعية قام بقتل خمسة ملايين إنسان. هذا ما يقولونه هم، لكن خصومهم يقولون أن ستالين قتل عشرين مليون إنسان! أهكذا يتغير التاريخ؟ هم لا يعرفون ما قاله الاسلام في التغيير عندما فعلوا ذلك (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**)، لأن طبيعة الأشياء أن الإنسان قبل أن يُصلح الآخرين يجب أن يُصلح نفسه، وهذا لا يتم بالقتل أو السجن أو القهر، فليس بيني وبين اليساريين أو العلمانيين أو الليبراليين أي خصومة، إنما معركتي هي معركة منهج، منهج السماء ومنهج الإنسان، والغريب أن هؤلاء الذين يريدون تغيير التاريخ كثيراً ما يكذبون على أنفسهم عندما يبررون لأنفسهم ما يقومون به من أفعال فيها امتهان للكرامة الإنسانية. نعم إنهم يكذبون.

□ **ألا ترى أن الانسان يكذب أحياناً تبريراً لما يؤمن به؟**

ــ والله أنا أقاوم كل أشكال الكذب بفضل الله، فعندما أستعرض حياتي أقول إن حياتي الماضية كانت أفضل بكثير من سنوات حياتي السابقة عليها، لأنني أُسائل نفسي دائماً وأُحاسب نفسي دائماً، وكل هذا بفضل الله.

□ **قلت لي في لقاءٍ سابق إن الطبيب يعاصر الإنسان منذ ولادته حتى مماته. . ألا زلت عند هذا الرأي؟**

ــ طبعاً الطبيب لديه فرصة لا تُعطى لأحد لأنه يحتك بكافة شرائح المجتمع، فهو يعاصر ميلاد الإنسان، كذلك يعاصر موت الإنسان، والطبيب يتعامل مع ما يصدر من الإنسان من آهة وحشرجة وصداع وهو على إلمام بكل فعاليات مفردات الجسم البشري. وغير هذا وذاك فأنا قبل أن أدرس وأمتهن الطب مررت بمراحل كنتُ فيها زجالاً وشاعراً وعزفت العود وعزفت آلة الفلوت، ولا أُخفيك سراً عندما أقول كان صوتي جميلاً وكنت أغني.

□ **كنت شاعراً؟**

ــ نعم، وقلت:

صرع الحب فؤادي فاشتكى ماله من صاحب غير البكا

وإذا بأخي يعنّفني ليقول لي: إن أعظم شعراء التاريخ كانوا من «الشحاتين»، يطبلون ويزمرون للخلفاء من أجل بضعة قروش، وإذا لم يحصل عليها فسرعان ما يقوم بهجائهم. . وأنت حتى لو وصلت الى درجة المتنبي ستكون نهايتك شحاذاً.

□ دكتور مصطفى، هل هجرت الطب نهائياً؟

ـ إنني أقرأ كثيراً هذه الأيام في الطب البديل، يعني الأعشاب المغناطيسية، البندول، وليس معنى ذلك أنني ضدّ الطب الكلاسيكي، بالعكس فالجراحة قد تطورت تطوراً عظيماً.

□ هل التزامك الديني قد حال بينك وبين الاستمرار في كتابة روايات الخيال العلمي؟

ـ هذا اللون لم يعد خيالاً علمياً، أصبح يشكل واقعاً جديداً بدليل أنهم جعلوا البكتيريا تصنع أنزولين، هناك الآن الهندسة الوراثية، وهناك بكتيريا تصنع بلاستيك، فأصبح العلم الذي كنا نسميه خيالاً علمياً أقرب ما يكون إلى الواقع.

□ بعدما تحولت من (الشك الى اليقين)، هل تغيرت عناوين الكتب في مكتبتك، وهل هناك كُتبٌ معيّنة تستأثر بها لنفسك؟

ـ مكتبتي مباحة لكل من يريد، والذي أُخفيه أُخفيه في داخلي، في قلبي، وأختم عليه بالشمع الأحمر. أنا لا أجلس وراء مكتب، ومعتاد أن أكتب وأنا في السرير.

□ أصدقاء مرحلة ما قبل الإيمان، هل ما زالوا أصدقاء؟

ـ في الصداقة، قبل أن يحكم كل واحد على الثاني يجب أن يفهم كل واحد منهم الثاني، حتى في تقبّل الأمور التي نختلف فيها، وهذه مسألة ضرورية كالزواج مثلاً، الزواج مبني أصلاً

على أن أقبلك بعملك هذا، ولكي يكون الزواج ناجحاً لابد أن كل طرف يتقبل ما لدى الطرف الثاني، وبالطبع إن هذا يستلزم تنازلات، والتنازلات تستلزم قدراً من النفس الخيّرة، إنما لو تشبث الأصدقاء أو حتى الأزواج كلّ برأيه تكون النتيجة صراعاً، لذلك فإن العلاقات الناجحة، سواء كانت زواجاً أو صداقة أو حب، فهي تحتاج إلى تعقّل وتفهّم وقبول من كل طرف.

□ مفرداتك في الحديث إلى الناس عبر وسائط الإعلام تتحدث إليهم وكأنه لم تعد هناك قيم في المجتمع؟

ـ ليس بالمطلق، ولكن بنسب متفاوتة في ممارسات كثيراً ما أراها تحمل في طياتها انهياراً للقيم. أعطيك مثلاً: أنا لا أشاهد كرة القدم إلا نادراً، ليس معنى ذلك أنني ضدّ كرة القدم، ولكنني ضدّ الجنون. ما معنى أن إنساناً تأتيه سكتة قلبية لأن الكرة ذهبت من هنا ولم تذهب الى هناك؟ ما معنى أن تحدث معارك وتشابك بالأيدي الى درجة القتل! وما معنى هذه الكراهية بين الأهلاوي والزملكاوي! هذا انهيار للقيم لدرجة أن الإنسان أصبح ينتمي الى عالم الكرة والتعصب لها أكثر من انتمائه الى القيم الروحية. عيسى بن مريم عليه السلام حينما ينتمي يقول: **(أنا عبد الله، أهداني الكتاب)**.. انظر إلى الانتماء، إنما انتماء أنا يميني وأنا يساري وأنا كروي وأنا زملكاوي فهذه انتماءات تدل على انعدام القيم لدى الإنسان.

□ دكتور.. هل لك هوايات!

ـ في ما مضى كانت لديَّ الكثير من الهوايات، لكن طبيعة الحياة

الآن لا تسمح لي إلا بمشاهدة القليل من الأعمال التمثيلية عبر التلفزيون.

□ هل طرأ تغير على ميولك الأدبية بعد التحول في حياتك؟

ــ أنا تربيت في مدرسة الأدب الروسي وتشبعت بغوغول وتولستوي وديستوفسكي وتشيخوف، كما قرأت الأدب الإنكليزي وبالذات جورج برناردشو، قرأت الأميركي مارك توين، والفرنسي سارتر، والنرويجي ابسن، ولكن بصدق أقول: إن إعجابي بالأدب الروسي هو الذي استحوذ على اهتمامي، والغريب أنني سافرت إلى معظم بلدان العالم ولكن لم أذهب إلى روسيا.

□ هل من قراءات محددة تعكف عليها الآن؟

ــ أعيش الآن مع العارفين مثل أبو حامد الغزالي، والكزبري، والسنجاري، وابن عربي، ومحمد عبد الستار بن الحسن، والشاذلي، هؤلاء هم زادي الفكري والأدبي والروحي.

□ □ □

ميخائيل نعيمة

في حقبة الستينيات كان الشيخ جابر العلي وزيراً لإعلام الكويت وكان حريصاً على تطوير الحركة الإعلامية في مختلف حقولها، فعلى صعيد الغناء ـ مثلاً ـ كانت أم كلثوم، وعبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، ونجاة الصغيرة، وغيرهم من كبار المطربين في العالم العربي يتغنون بالكويت.

وكذلك كان حريصاً على تغذية كل من الإذاعة والتلفزيون بالمواد الفكرية والثقافية حيث استجلب لهذين الجهازين عدداً من كبار الأدباء والمفكرين والمثقفين العرب، وشجّع الحوارات الفكرية والثقافية فيهما، كما قام بتشجيع الحركة المسرحية مما جعل الكويت في تلك الحقبة تغدو مركزاً ثقافياً وفكرياً وفنياً يشار إليه بالبنان.

وقد كنت في بيروت في عام ١٩٦٩ حيث اعتاد الشيخ جابر العلي أن يقضي الصيف هناك محاطاً بالكثير من الأدباء ورجال

الإعلام، وكان يتخذ له مجلساً في عمارة ستراند، في شارع الحمراء.

وكان من الطبيعي أن أزوره حيث إن الحوارات والمناقشات التي كانت تدور في ذلك المجلس كانت على درجة من الأهمية ثقافياً وفكرياً.

وصادف في أحد الأيام أن الحوار كان يدور حول أدب المهجر والرابطة القلمية، وكيف أن رجالها قد رحلوا عن الدنيا الواحد تلو الآخر، فقلت إن ميخائيل نعيمة قد عاد إلى لبنان وهو يقيم الآن في قرية بسكنتا! وما أن انتهيت من إبداء هذه المعلومة وإذا بالشيخ جابر العلي يقول لي: وماذا تنتظر؟ أليس من الواجب أن تذهب إليه لتجري له حواراً للإذاعة أو التلفزيون؟!.

وقد اعتبرت ذلك أمراً يتيح لي فرصةً طالما تمنيتها، فميخائيل نعيمة قامة فكرية أدبية ثقافية شامخة، والتحاور معه يعدّ تجربةً ثمينةً لا تعوّض.

وبدأت من فوري بالبحث عن الوسيلة التي أتوصل بها إلى ميخائيل نعيمة، فضاقت بي كافة السبل، لأن الرجل على ما يبدو كان قد ضرب حول نفسه طوقاً من العزلة حتى بات من العسير الوصول إليه، باستثناء بعض المقربين منه، وحتى هؤلاء يلتقونه بصعوبةٍ بالغة.

وعندما سألني الشيخ جابر العلي عما فعلت بشأن اللقاء مع ميخائيل نعيمة، أخبرته بالصعوبات التي تحول دون الالتقاء به،

فما كان منه إلا أن طلب من عبد الرحمن الحوت ـ وقد كان مديراً لأعماله في بيروت ـ أن يجد وسيلة سريعة للوصول إلى ميخائيل نعيمة. وفي اليوم التالي أخبرني الحوت بالتوجه إلى منزل نعيمة في بسكنتا حيث تمت كافة الإجراءات لأن أجري معه لقاءً للإذاعة، كما أخبرني أنه طلب مبلغاً مرتفعاً نسبياً مقابل إجراء حوار إذاعي! لكن وزير الإعلام الكويتي ضاعف له المبلغ تكريماً لمكانته الأدبية والفكرية.

□□□

وبصدقٍ أقول: بأنني خرجت ـ ومن معي ـ بعد انتهاء ذلك الحوار بانطباعٍ سلبيٍ إلى أبعد الحدود لدرجة أنني تمنيت لو لم أكن قد التقيتُ بميخائيل نعيمة!

فالرجل كان حاد الطباع في تعامله معنا، وقد أبدى انزعاجاً لوجود ثلاثة أشخاص برفقتي، مع أنهم كانوا من أشد المعجبين به ووجدوها فرصةً أن يلتقوه ويلتقطوا صوراً تذكارية معه، ولكنه رفض كل ذلك بأسلوبٍ جاف.

ليس هذا فحسب، بل إن الحوار الذي كنت قد أجريته معه ـ آنذاك ـ قد حوله مراقب البرامج في الإذاعة إلى قسم البرامج الدينية، ليسمعوه ويبدوا رأيهم في مدى صلاحيته للإذاعة من الناحية الشرعية، وكانت المفاجأة التي صعقتني أن قسم البرامج الدينية أفتى بعدم صلاحية الحوار للإذاعة باعتباره مخالفاً لنهج الشريعة الإسلامية! وكانت هذه أول سابقةٍ من نوعها تحدث لتحول دون إذاعة برنامجٍ أدبي.

واستعداداً للالتقاء بميخائيل نعيمة كنت قد وضعت أسئلةً تتناول رحلته من لبنان إلى روسيا في بدايات القرن الماضي وتجربته هناك ثم رحلته إلى أميركا، والتقاءه بجبران، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، وغيرهم من أدباء المهجر.

كما عكفت في جهدٍ مكثفٍ جداً لإعادة الإطلاع على معظم مؤلفاته لأستخرج منها أسئلتي.

إلا أن ميخائيل نعيمة وبعدما استمع إلى الأسئلة قال لي: ألقي بها وتحدث إليّ بعيداً عن الماضي، ووجه لي أسئلة تتعلق بما أنا عليه اليوم. قلت:

□ وما أنت عليه اليوم؟

ــ أنا من الذين يؤمنون بأن الحياة تتكرر دائماً. والحياة عندي لا يُعرف لها أول من آخر، حياتي تجارب سابقة، وهذه اللحظات التي أتحدث إليك فيها لو لم يوجد ميخائيل نعيمة فيها لما استطعت التحدث إليك.

□ عفواً أستاذي لم أفهم شيئاً؟!

ــ يجب أن تفهم أن العمر الذي نعيشه يُفرض علينا فرضاً، وأنا لي حصتي من هذا العمر، الذي قد يتوقف على أعمالٍ قمنا بها أو أفكارٍ فكّرنا فيها، ولكن الأغلب أن العمر يتوقف على سنواتٍ كنا قد عشناها قبله، أي كانت لنا أعمار قبل هذا العمر.

□ معذرةً أستاذ نعيمة، أنت تتحدث عن حيواتٍ سابقة للحياة التي نحياها، أليس كذلك؟!.

ــ أتحدث عن عقيدة التقمّص، والتقمّص معناه أن الإنسان يولد أكثر من مرة، وكذلك فإنه يموت أكثر من مرة، وهو في كل ولادة جديدة يكتسب خبرةً جديدة تضاف إلى تلك الخبرات التي اكتسبها في الحيوات السابقة التي كان قد عاشها في أزمانٍ سابقة.

□ وهل من نهاية لهذا الأمر؟ أعني هل ستكون حياتنا أن نعيش ثم نموت ونعيش ثم نموت مرةً أخرى وهكذا؟.

ــ نعم، يبقى الإنسان يختبر نفسه على مدى حقبٍ وأزمان إلى أن يبلغ المعرفة التامة! المعرفة الكاملة، ثم تتلاشى بعد ذلك جميع المتناقضات.

□ أستاذ ميخائيل، المستمع يرغب بمعرفة بعض المعلومات عن كاتبه العملاق ميخائيل نعيمة، وأنت تتحدث الآن عن نظرية الحلول، حلول الأرواح، يعني ميخائيل نعيمة الكاتب والمفكر، والشاعر، هذا هو الذي أتمنى أن أتحاور معه ومن الممكن إذا كانت لديه رؤية جديدة تتعلق بنظرية الحلول أن نأتي عليها، أتمنى يا أستاذ نعيمة أن تحدثني عن البداية.

ــ عندما أفكر في إيجاد بدايةٍ لنفسي أجيبك فيها على تساؤلاتك!!.. فإنني لا أستطيع أن أجد تلك البداية لأن نفسي كميخائيل نعيمة متصلةٌ بأول نفسٍ بشرية وجدت فوق هذا الكوكب.

□ هل هذه النظرية قائمة على علم؟!.

ـ سيبقى العلم محدوداً مهما تمادى في اكتشافاته. لماذا؟. لأنه يرتكز على الحواس، والحواس لا يُركن إليها، لأنها تخدعنا، فهي غير مستقرة، متقلبة!! فإن كنت تبحث عن ميخائيل نعيمة الذي تريده فلن تجده!!، لأن حياة الإنسان ترتبط بالإنسان كإنسان، وثانياً بالمطلق.

□ صدقني، إنني أتمنى لو أستطيع استيعاب ما تتفضل به حتى أسايرك في الحوار.

ـ هذا جهل! أنا أقيس الإنسان بالدافع الأول إلى الحركة، والحركة معناها الاشتياق، والاشتياق سيُبقيني أناضل إلى أن أبلغ الهدف، أي أبلغ المعرفة التامة التي تُجيب عن السؤال الأزلي: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟

□ من أين، وإلى أين، وكيف، ولماذا.. أليست هذه التساؤلات الفلسفية الأولى التي طرحها الإنسان؟!.

ـ قد تكون، ولكن ليس هذا هو الموضوع! إن الذي تبحث عنه معي في هذا الحوار الآن، يستحيل عليك أن تجده! أنت تبحث عن ميخائيل نعيمة الذي في ذهنك، وأنا أريد أن أوضح لك ميخائيل نعيمة بما هو عليه الآن!

□ يبدو أن الجانب الميتافيزيقي في تفكير الأستاذ ميخائيل نعيمة يحتل الآن موقعاً كبيراً عنده، مع أننا كنا قد قرأنا أن أفكار الأستاذ نعيمة غالباً ما كانت

تتعامل مع المادي المحسوس، وما أراه الآن من خلال هذه الإجابات أن الأستاذ نعيمة يدير دفة الحوار إلى موضوع الحلول والتقمص وما إلى ذلك كإجابةٍ على كل سؤالٍ أطرحه عليه!

ـ لأنني إنسان أعيش الآن في عالم النسبة، والنسبة هنا مشتقةٌ من النسبية، وعالم النسبة هذا ليس مطلقاً، لسبب أننا لكي نعيش في عالمنا الراهن فلا بدّ لنا أن نكون في داخل جسد، وما دمنا بحاجة إلى جسد فإننا لا نستطيع إلا أن نعيش في عالمٍ مادي أولاً، وماذا يقابل العالم المادي؟ إنه العالم الروحي! وهو الحقيقة الأزلية الأبدية الوحيدة، وبما أننا نعيش في عالمٍ متغيّر فمعنى ذلك أننا نعيش في عالم النسبة، لا في عالم المطلق، لأن المطلق هو الحقيقة، والنسبي هو الذي يتغير وهو الذي يتبدل، بينما المطلق فإنه لا يتبدّل.

□ طيّب، هل هناك إمكانية أن تُعرّف للسادة المستمعين من هو ميخائيل نعيمة الآن؟

ـ إذا كان ميخائيل نعيمة يستطيع أن يعرّفك بنفسه، فمعنى ذلك أنه قد وصل إلى معرفة نفسه! وإذا وصل إلى هذه المعرفة فهو ليس بحاجة إلى التحدث لمستمعيك لكي يُعرّفهم بنفسه، فميخائيل نعيمة يا سيدي كان وما زال وسيبقى باحثاً عن نفسه، لأنه يعيش في عالم النسبيات مثلما ذكرت لك من قبل. هناك عالم المطلق، وهناك عالم النسبة، وميخائيل نعيمة يعيش الآن عالم النسبة، وهو عالم متقلب متبدل كثيراً، فما يجعلك فرحاً قد

يحزنني، وما قد تستطعمه أنت قد أستنفر أنا منه.

□ إلى متى ياسيدي سنبقى ندور في هذه الحلقة؟!

ــ أنت تريد أن نتحدث عن المادي الملموس بعيداً عن الروح الذي سميتَه ميتافيزيقي، وإني لأسألك. أوَتَعرف ما هي الروح؟! بدون المادة لا يمكنك أن تستوعب الروح! الروح كالفضاء، والفضاء عبارة عن فراغ. قل لمستمعيك ولقُرّائك هكذا يفكر ميخائيل نعيمة.

□ أنا يا سيدي أرغب بالتحاور معك حول أفكارك التي أوردتها في كتاباتك.

ــ وأنا بدوري أقول لك الآن: إنني لا أعرف ما هي الدوافع التي دفعت بي لكي أقوم بتأليف هذا الكتاب أو ذاك؟! مع أنني أدرك أن هناك دوافع جعلت يراعي يكتب. نعم. كتبت ذاك الكتاب، وتلك المقالة، ونظمت تلك القصيدة، كل ذلك حدث بدوافع لم تكن كلها تحت إرادتي. أنا كنت مدفوعاً بل شبه مكره على كتابة كل ما كتبت!

□ أين أجد ميخائيل نعيمة في كتاباته؟!

ــ أنت تريد أن تقودني إلى الحديث عن الذات، أقول نعم، أحببتُ أن أجعل من ليوناردو صورةً لي كي يتحرر من كل شيء عن طريق الموسيقى، فنقّى نفسه من الشهوات الإنسانية، ونأى بنفسه عن شهوات التسلط، وارتقى بنفسه عن روح التملّك حتى صار ليوناردو فوق كل الشهوات، مثلما فعل غاندي، ومن قبله

تولستوي، فبالموسيقى استطاع أن يحقق ذاته، والموسيقى عبارة عن ألحان لا مادة لها، ولا لون، وهي لا تخضع لمقاييس الطول والعرض، ومصيبة الإنسان في عالمنا أنه يعيش في عالمين كما قلت لك. العالم النسبي والعالم المطلق، ومن غير المنطقي أن يتمكن الإنسان الذي وصل إلى مستوى العيش في العالم المطلق أن يتقهقر إلى العالم النسبي، فالنسبي مذبذب، متقلب، غير مستقر ولو للحظاتٍ متالية، لكن عالم المطلق أبداً لا يتغير.

□ **أستاذ ميخائيل، أرجو المعذرة، فأنا كلما حاولت أن أتحدث إليك عما يجري في الأرض أجدك تجيبني بتحليقاتٍ فضائية؟!**

ـ أوَتسخر من الفضاء؟!

□ **عفواً..**

ـ ماذا تعرف أنت عن الفضاء؟ الفضاء يا إبني هو الروح يتكثف فيغدو مادةً لأن هناك أشياء مادية لها تأثيرٌ علينا مصدرها الفضاء: المجرات، النجوم، الشمس، القمر... وكل هذه لا تشغل من الفضاء إلا حيّزاً ضيقاً وصغيراً إلى أبعد الحدود! نحن يا إبني نعيش ضمن فضاءٍ لا نعرف له بداية، ولا نعرف له نهاية، الفضاء هو الحقيقة! تسألني عن بدايتي؟ أنا هنا لا أستطيع أن أضع لنفسي بداية، لأنني أيضاً لا أستطيع أن أحدد لنفسي نهاية.

□ **اسمح لي أستاذ ميخائيل...**

ـ (مقاطعاً): إسمع، يقولون لنا خداعاً: إن أول إنسان كان اسمه

آدم، وهذه خرافة ابتدعها العبرانيون، الإنسان قديمٌ قدم الكون، وما آدم إلا تعبير عن فكرة! آدم لم يكن يعرف نفسه عندما كان وحيداً. إنه الكون نفسه. وأنا للكون. هذه فلسفتي. أساس الحياة روح! الروح تتكثف، فتغدو مادة، لكني لا أستطيع أن أعرف في أي زمان وفي أي مكان كان الإنسان.

ولحكمةٍ إلهية عاش الإنسان في جسدٍ ليكتسب المعارف عن طريق هذا الجسد، وعندما يصل إلى المعرفة يصبح بلا حاجة إلى جسد.

□ **أنت درست القانون في أميركا، وطبيعة القانون هي الاحتكاك المباشر والمادي في حياة الناس، فأين أنت الآن من هذا القانون الذي درسته؟!**

ــ نعم درست القانون، لكنني تركته ولم أمارسه لكراهيتي الشديدة له.

□ **لماذا؟**

ــ لأن فكرة القانون بحد ذاتها تتنافى مع العدالة كما أفهمها أنا.

□ **وكيف تفهم العدالة؟!**

ــ العدالة لو فهمها البشر كما أفهمها أنا لما وجد إنسان يوجه إدانةً لإنسانٍ آخر في هذا العالم، فالقوانين نسبية هي الآخرى، تتبدل وتتغير، ألم تسمع بتغيير مواد القانون بين حينٍ وآخر؟ أنا أعتقد أن الإنسان يستطيع العيش بدون قوانين لأنه يستطيع أن يسنّ قوانينه بنفسه.

□ هل تستطيع أن تعيش حياتك بدون الاحتكام للقوانين في الحياة؟

ــ نعم أستطيع، فأنا عندما أكون في بيتي أتناول طعامي وأقرأ سطوراً من كتابي فهذا قانوني أنا، أما ماذا يحدث للعالم خارج حدود بيتي فلا أدريه. ولو كلهم فعل مثلما أفعل فما كان الإنسان بحاجة إلى القوانين.

□ ولا حتى القوانين السماوية؟!

ــ يا ابني تتكلم عن القوانين السماوية، أو تعرف ما هي القوانين السماوية؟ أتعتقد أن الشمس تشرق بقانون؟ وخسوف القمر يتم بقانون؟ والنجوم تضيء بقانون؟ هذه هي قوانين السماء، أما قوانين الأرض فخذ منها على سبيل المثال الوصايا العشر التي تقول لك لا «تسرق»! هل توقفت السرقة، ووصية أخرى تقول لك «لا تزن»! هل حدّ ذلك من ظاهرة الزنا المتفشية في العالم؟ القانون ياابني لا يقدم ولا يؤخر. وأنت كإنسان عليك أن تحاول الوصول إلى الهدف! فالبشر غير متساوين بقدراتهم لبلوغ ذلك الهدف، لكنْ هناك نوعٌ من البشر يستطيع بلوغ أهدافه بسرعةٍ متناهية، بيد أن هناك من يحتاجون إلى الملايين من السنين لكي يصلوا!

أنت تتصور إذا قيل لك اليوم «لا تسرق» فهل معنى ذلك أن السرقة قد توقفت؟! ملايين البشر يسرقون ولم تحل بينهم وبين السرقة هذه التوصية، والأمر كذلك يسري على (لا تزنِ)! المسألة ليست مسألة قوانين إنما هي كبح جماح النزق في

الإنسان كي يسير حثيثاً لبلوغ الهدف، وعندها لا يحتاج إلى قوانين.

□ **هل أعتبر ما سمعته الآن من ميخائيل نعيمة في هذا الحوار مرحلة جديدة أو فلسفة جديدة ينتهجها وهو على أبواب الثمانين؟!**

ــ أنت ياابني تصر على استخراج معلوماتٍ معلّبةٍ في ذهنك عن ميخائيل نعيمة، ولا تريد أن تعي أن الذي يتحدث إليك الآن هو استمرارٌ لميخائيل نعيمة الذي كان أمس وكان منذ سنة أو حتى الذي كان منذ نصف قرن. والحقيقة أن ميخائيل نعيمة هو امتداد لنفسه التي تمثلت فيها الإنسانية على امتداد تاريخها، وبهذا المعنى فإن ميخائيل نعيمة يتمثل فيه الكون كله، هذا ليس قصراً على ميخائيل نعيمة فقط وإنما ما أقوله يسري على كل إنسان آخر، بل إنه يسري على كل كائنٍ من الكائنات.

□ **كأني أراك تعيش أيامك وأنت في هذه السن في عزلةٍ عن العالم؟**

ــ الإجابة أكثر تعقيداً مما تتصور، فميخائيل الذي ينام في المساء ويستيقظ في الصباح، ويمارس بعض الأعمال في النهار، هو لا يعيش ضمن هذا الحيّز الزمني لممارسة هذه الأمور فقط، لأنه في حالة النوم يكون قد عاش في دنيا لا تُعرف لها حدود! وهو يفكر أثناء الطعام ويفكر أثناء السير بل يفكر حتى عندما يستقبل تلك الأنماط البشرية المختلفة التي يلتقيها، إذن فمن المستحيل عليّ أن أعطيك صورةً واضحة عن كيفية مرور مراحلّ زمن

اللحظات التي تمر بي، لأنني مهما كنت دقيقاً في تصوير تلك اللحظات فلن أستطيع أن أجيبك عليها إجابةً دقيقة.

□ **هل لك أصدقاء تلتقيهم؟**

ـ نعم هناك من تربطني بهم صلة الدم وندعوهم أقرباء، وهناك بعض من نسميهم معارف وأصدقاء، ألقاهم بين الحين والآخر، وأسمع أشياء تكدّر الخاطر يأتوني بها من عالمهم الخارجي إلى عالمي، فأتألم لما أسمع من تلك المآسي التي يجلبها الناس على أنفسهم، غريبٌ أمر هؤلاء، أغنياء كانوا أو فقراء، حكاماً أو محكومين، حقراء أو متغطرسين، ظلاّماً أو مظلومين، علماء أو جهالاً، أستمع إليهم بصمتٍ وأنا أتمزق إرباً إربا وأتقطع لوعةً وهلعاً على ما أسمع من أخبار.

لكن عندما أصفو إلى نفسي تغدو الحياة عندي أشبه ما تكون بالسمفونية المحكمة التراتيل اللحنية بعيدة عن النشازات، فأنا هنا بعيدٌ عن ضوضاء الحضارة ومتاجر الكذب والخداع والرياء، بعيد عن دور العبادة التي يتزاحم البعض عليها ويظنون أنها تغسل آثامهم وأدرانهم، إنهم يكذبون على أنفسهم.

□ **كيف لي أن أُطمئن السادة المستمعين عن صحتك؟**

ـ لا تسأل عن صحتي، بل اسألني عن العالم الذي أعيش فيه، أو تدري لماذا؟ لأن صحتي مثل الجسد فالجسد إذا وجعك فيه ضرسٌ من أضراسك فإن جسمك كله يعاني آلاماً بسبب وجع ذلك الضرس الصغير، وأنا جزءٌ من هذا العالم، إذن فلا بد من

إجراء اتفاقية حسن جوار تبدأ من شعر الرأس حتى أخمص القدمين، فأي خللٍ في أي جزء صغير في هذا العالم يسبب لي ألماً كبيراً. من هنا يجب أن يكون سؤالك كيف هو الكون الذي أعيش فيه.

□ هل هناك إمكانية لأن أسألك عن علاقتك بجبران؟

ـ أنت إما أنك تبحث عن ذكريات، وهذا ما لا أستطيعه، أو أنك تبحث عن تقييم، وهذا يجعلنا بعيدين نسبياً عن إصدار أحكام صائبة في تقييمنا، فإذا ابتعدنا مسافةً كبيرة في الزمان والمكّان وتراكم السنين والأحداث فإن ذلك يجعل ما نريد الحديث عنه بعيداً عن متناول تقييمنا. وعلى سبيل المثال فحرب طروادة نقرأها في التاريخ لكن الحروب التي تحيط بنا الآن هي مصدر اهتمامنا لأننا أكثر اقتداراً على تشخيصها بسبب معاناتنا الراهنة منها، بل حتى هذه الحروب المحيطة بنا ستغدو بالنسبة لأبناء الأجيال القادمة كأنها حروب طروادة أو نابليون أو الحروب العالمية، وجبران، بيني وبينه نصف قرن فعن أي جبران تريدني أن أحدثك؟

□ أستاذ ميخائيل نعيمة أشكرك شكراً جزيلاً.

□ □ □

هذا ما استطعت تفريغه من الأشرطة، بيد أن ما تم تجاهله من الثلاث ساعات التي احتوت عليها تلك الأشرطة كانْ أكثر بكثير مما قرأتموه آنفاً.

ولكن وبصدقٍ أقول أيضاً: أن إعادة كتابة هذا الحوار على الورق بعد تفريغه من أشرطة التسجيل جعلتني أنظر إلى الموضوع من زاويةٍ أخرى تختلف عن نظرتي إليه عندما قمت بعملية المونتاج استعداداً لبثه في الإذاعة في أواخر الستينيات لكنه كما قرأتم كان قد مُنع وها هو ينشر للمرة الأولى.

□ □ □

هنري بركات

إذا ما صنفنا مخرجي السينما المصرية، فإن بركات يحتل موقعاً بارزاً في الصفوف المتقدمة، فمشاهير الإخراج السينمائي في عقود منتصف القرن الماضي كان من أبرزهم: محمد كريم، أحمد بدرخان، نيازي مصطفى، وغيرهم، ثم يليهم عز الدين ذو الفقار، وصلاح أبو سيف، ويوسف شاهين، وهنري بركات، إلخ.

والمخرج هنري بركات كان الأكثر صمتاً بين هؤلاء جميعاً، فمن النادر أن نجد له حواراً صحافياً أو إذاعياً، أو حتى تلفزيونياً بعدما دخلنا في عالم الفضائيات.

عرفتُ بركات في الستينيات، إذ كان واحداً من ثلاثي نادراً ما يفترق: فاتن حمامة والمصور الحاج وحيد فريد وهنري بركات. حاولت محاورته في الستينيات فلم أوفق، ولما استقر بي المقام في لندن وكنتُ أشرف على إذاعة عربية، التقيت بالعديد ممن يزورون العاصمة البريطانية وكان هنري بركات من بينهم، وبعد

جهد متواصل ساهم فيه المخرج صلاح أبو سيف الذي كان هو الآخر في لندن، قَبِل بركات أن يكون ضيفاً على إذاعة «كل العرب» التي كنت مسؤولاً عنها.

□ □ □

□ **ماذا يقول هنري بركات عن وضع السينما العربية؟**

ــ أقول يا خسارة.

□ **لماذا؟**

ــ لأنني لم أعد أفهم على أي أساس ترتكز سينما هذه الأيام.

□ **وفي أيامكم على أي أساس كانت ترتكز؟**

ــ في أيامنا كان هناك جمهور للسينما، وفي الوقت الحاضر لا يوجد هذا الجمهور.

□ **تقصد النوعية اختلفت؟!**

ــ نعم، النوعية التي تذهب هذه الأيام للسينما أنا أعرف مقدماً ماذا تريد.

□ **ماذا تريد؟**

ــ ما تريده لا أستطيع أن أقدمه لها.

□ **أليس المفروض أنّ المخرج يعيش المراحل حتى لا يغيب عن الشاشة؟!**

ــ لكن ينبغي أن يكون المخرج محترماً لمهنته أولاً، ولماضيه ثانياً، ولاختياراته للموضوعات التي يريد أن يقدمها للمجتمع. جمهور هذه الأيام يريد العنف، يريد الجنس، يريد المخدرات، وأنا لا أستطيع بعد «دعاء الكروان» وسلسلة أفلامي التي هي من نمط «دعاء الكروان» أن أنحدر إلى مستوى ما يريده جمهور هذه الأيام، أنا غير قادر أن أقدم ذلك.

□ ولكنك سبق أن قدمت أعمالاً وقلتَ أنك لست راضياً عنها؟

ــ هذا صحيح، أي عمل بدون الإيمان به ستكون نتائجه سيئة.

□ هل تشعر بأنها سيئة قبل أن تُقدم عليها أم بعد أن تنتهي منها؟!

ــ أقول لك: أنا حينما أذهب إلى الاستديو لأشتغل في عمل لستُ راضياً عنه، أشعر بأني قد أخذت «علقة».

□ وعندما يُعرض الفيلم بعد ذلك ماذا تفعل؟

ــ أهرب.

□ ولكنك لا تستطيع أن تشطبه من تاريخك السينمائي؟

ــ لا أستطيع، ولكني لا أفكر فيه، أنساه!!

□ الرواية التي تقنعك، هل يكون اقتناعك بها أكثر عندما تشارك في كتابة السيناريو؟!

ــ على طول، لأن المشاركة تجعلك تتعايش أكثر مع الرواية،

يعني حينما أجلس مع المؤلف هو يعطيني رؤيته وأنا أعطيه رؤيتي، ونتناقش ونصل إلى حل، الرؤية هذه تفيدني، لماذا؟ لكي أعرف ماذا سأعمل على الورق، وأتعايش معه، وحينما آتي وأنفذه فلن أجد نفسي أبحث عن شيء لا أعرفه.

□ **ألا ترى معي أن هناك فرقاً بين الشخصية المكتوبة على الورق والشخصية المجسدة على الشاشة؟**

ــ أكيد.

□ **هل تشعر بالشخصية على الورق وكأنها مجسدة أمامك؟!**

ــ تقريباً، يعني تبقى ملامحها واضحة، طبعاً الوضوح ليس مئة بالمئة، وإنما تصبح واضحة حينما يتلبس الممثل الشخصية التي يؤديها.

□ **هل من ممثلين معيّنين تفضّل التعامل معهم؟**

ــ نعم، إلا إذا كان البعض منهم قد فُرض عليَّ فرضاً.

□ **مَنْ مِنَ الممكن أن يفرض عليك ممثلاً؟!**

ــ بعض الأحيان المنتج، وبعض الأحيان الظروف.

□ **ما نوعية الممثلين الذين تفضّل التعامل معهم؟**

ــ هم الذين لا يبالغون في التمثيل أمام الكاميرا، لأنهم لا يفرقون

بين الكاميرا والمسرح. فالممثل المسرحي يُتعب المخرج. مثلاً، هناك ممثل حينما يتكلم يهز رأسه، هزة الرأس هذه لو كانت على المسرح فسوف يراها المشاهد، ولكن حينما يقف أمام الكاميرا فمن الممكن أن تؤخذ له لقطة كبيرة تُغني عن هزة الرأس.

□ **مَنْ مِنَ الممثلين أتعبك في العمل؟**

ــ كثير.

□ **بماذا يتعبونك؟**

ــ يا سيدي. جيل فاتن حمامة وعمر الشريف ويوسف وهبي كانوا على الأقل يحترمون الالتزام بمواعيد العمل ويتعايشون مع أدوارهم، الآن تغير كل شيء. الممثل زمان كان يعرف يتعامل مع الكاميرا.

□ **أستاذ بركات، إذا كنت داخل الاستوديو ومعك فاتن حمامة التي عُرفت بدكتاتوريتها داخل الاستديو، فهل تعترض على تدخلاتها؟!**

ــ هي دكتاتورة صحيح، لكن ديكتاتورة عادلة، لأنها في النهاية تطلع لك عملاً جيداً، ولذلك أنا لا أعاني من التعامل مع فاتن حمامة.

□ **تعاملت مع الجيل الجديد من الشباب، ما الفرق بينهم وبين الجيل القديم؟**

ــ أولاد النهاردة مستعجلين، عايزين الشهرة والمال بأسرع وقت

ممكن، والبعض منهم يقبل توجيهات المخرج من غير نفس.

□ الملاحظ أن معظم أفلام فاتن حمامة من إخراج بركات، ما حكاية هذا الارتباط؟

ــ والله الارتباط سببه العلاقة. فاتن تستوعبني كما أستوعبها، فهي تحب الرواية التي أتقدم بها إليها وتناقشني فيها كما تناقش أم كلثوم الشاعر الذي يأتي لها بقصيدة. باختصار هناك تفاهم تام بيني وبينها منذ أن التقينا.

□ هل تذكر فيلماً قمت بإخراجه لفاتن حمامة ولم تكن راضية عنه؟

ــ هناك فيلم لن أذكره ولن آتي على سيرته.

□ لماذا؟

ــ لأنه فيلم لم يرضني، ولم يُرضِ فاتن، وكان عذاباً بالنسبة لنا.

□ رغم أنكما اخترتماه بإرادتكما قبل العمل به؟!

ــ نعم.

□ إذاً فما هي ظروف ذلك للفيلم؟

ــ المشاهد ليس لها طعم، وبصراحة ارتبطنا بهذا الفيلم بحيّز زمني لم يساعدنا على النجاح فيه، وكانت فاتن دائماً تقول لي: خلصنا من هذا العمل بسرعة علشان نتخلص من هذا الهم. نفس شعورها هو شعوري.

□ **ما هي الظروف التي أدّت إلى اختيارك رواية «دعاء الكروان» للدكتور طه حسين؟!**

ــ هي حكاية ظريفة جداً، لأن الذي اختار هذه الرواية بالأساس كان فريد الأطرش.

□ **وما علاقة فريد الأطرش بـ«دعاء الكروان»؟!**

ــ أقول لك: أراد فريد أن يلعب دور المهندس، وأنا قرأت الرواية ووجدت أنها ممتعة، ولكن آخر من يصلح للقيام بدور المهندس هو فريد الأطرش، فقلت له: يا فريد أنت لا تستطيع أن تلعب دور المهندس لأن شهرتك مبنية على الغناء. فقال لي إنه لن يغني وسيكتفي بالتمثيل. قلت له: يا فريد سوف يكون الفيلم فاشلاً بدون الغناء. وكانت النتيجة أن خسرت صداقة طويلة مع فريد الأطرش.

□ **هل تعاملت مع الدكتور طه حسين كمؤلف لرواية «دعاء الكروان»؟**

ــ نعم، وكان في غاية الظُرف. فحينما جئنا إليه بالسيناريو وقرأته عليه لم يراجع ولم يبدِ أي ملاحظة، وصورنا له المقدمة بمشهد واحد لم نتوقف فيه لأي سبب من الأسباب، وهذا أمر نادر في التصوير السينمائي.

□ **هل تعتبر «دعاء الكروان» master peace لهنري بركات؟**

ــ هو من أفلامي المفضلة. وكذلك أعتز بفيلم «الحرام».

□ **لكن «الحرام» لم يحقق نجاحاً عند عرضه؟!**

ـ صحيح، ولذلك زعلت وزعلت جداً! انجرحت! «كشيت»!!

□ **كيف تقيس نجاح الفيلم وفشله؟**

ـ أنا عندما أنهيت فيلم «الحرام» وشاهدته بعد المونتاج كنتُ فرحاً جداً وأقول لكل من حولي: هذا الفيلم ممتاز. ولما حسيت عند العرض أنه لم يحقق النجاح كنتُ ساعتها في الصالة وعرفت أن توقيت عرض الفيلم كان خطأ لأنه مليء بالكآبة، قد يكون هذا السبب في عدم الإقبال عليه لأن الجمهور يحتاج إلى المرح والتهريج.

□ **لماذا أنت حزين على وضع السينما الآن؟!**

ـ بسبب دخول عناصر لا علاقة لها بالسينما.

□ **هل تذهب لمشاهدة الأفلام السينمائية التي يخرجها هؤلاء الذين تقول عنهم لا علاقة لهم بالسينما؟!**

ـ لا يمكن أن أذهب، لأني جربت فاكتشفت تلك النوعيات الرديئة من الجمهور الذي يجعل من صالة السينما عبارة عن ساحة للألفاظ البذيئة، فضلاً عن الروائح الكريهة التي يشمها من يذهب إلى هذه النوعية من السينمات، أضف إلى هذا وذاك رداءة الكراسي، وباعة المرطبات الذين يتجولون داخل الصالة. هذه ليست دور عرض سينمائي محترمة كما الحال في الدول المتحضرة.

□ **من المسؤول عن هذا كله؟!**

ــ بالدرجة الأولى الدولة ممثلة بوزارة الثقافة باعتبارها مشرفة على القطاع السينمائي، وبالدرجة الثانية هم تُجار المقاولات في السينما من مخرجين ومنتجين، وللأسف بعض الممثلين.

□ **كيف يشارك ممثل له جمهوره الذي يقدره في مثل هذه الأعمال الهابطة؟!**

ــ أنا أعتقد أنها الظروف الاقتصادية، النجم مهمته أن يشتغل حينما يطلبه المخرج، سيقرأ له رواية، يجد أنها مكتوبة على الورق بشكل جيد، ولكن ما إن يدخل الاستديو للتنفيذ يبدأ العد التنازلي في المستوى فيُسلق الفيلم سلقاً لتتربى على هذه النوعية من الأفلام نوعية أخرى من الجمهور لا تُقبل على الأفلام الجدية والجيدة كـ«الحرام» مثلاً.

□ **ماذا تُطلق على أفلامك مع فريد الأطرش؟!**

ــ هي أفلام استعراضية. لكنني كنتُ أتخانق معه كل يوم عشرين خناقة.

□ **لماذا؟!**

ــ فريد لا يزعل مني أبداً، ولكن عندما يأتي مثلاً مشهد ويتدخل في شغلي ويقول لي: خلينا نعمل بهذا الشكل أو ذاك الشكل.. أقول له: أسكت، هذا ليس من اختصاصك.

□ **هل كان مطيعاً؟!**

ــ طبعاً كان مطيعاً رغم أنه المنتج.

□ قلتَ إنك كنت تقوم بإخراج أفلام استعراضية، هل هناك أفلام استعراضية الآن؟!

ــ جيل الطرب اختفى، يعني في الوقت الحاضر لا تستطيع أن تقول سوف أعمل فيلماً، قبل ذلك كان يمكن أن تتعامل مع فريد الأطرش، أو عبد الحليم، أو أم كلثوم. هؤلاء العمالقة ليس لهم ما يماثلهم في هذا الجيل.

□ ألا تستطيع أن تُخرج فيلماً لأحد المطربين المعاصرين؟!

ــ أنا لا أبحث بالدرجة الأولى عن مطرب، إنما أبحث عن الرواية الجيدة، ولا أتوقع أن أجد رواية مقنعة من الممكن أن أخرجها لواحد من مطربي هذا الزمن.

□ أستاذ بركات، قبل أن أختتم هذا اللقاء أريد منك اعترافاً لم يسبق لك أن بحت به؟!

ــ والله ساعات أفكر بأني أريد أن أضرب نفسي، ولا أريد القول «بالجزمة» لأني قمت بإخراج أفلام سينمائية لم أكن راضياً عنها.

□ كثيرة؟!

ــ ليست كثيرة. ولكن هناك أعداداً تتجاوز العشرة.

□ هل مثلت فيها فاتن حمامة؟!

ــ نعم، أكثر من فيلم!!

□ **أستاذ هنري، ألم تكن مغامرة منك أن تُسند بطولة فيلم «دعاء الكروان» لنجم جديد آنذاك هو أحمد مظهر؟**

ــ هو مش جديد «أوي». لأنه طلع في فيلم «ردَّ قلبي».

□ **ظهر في مشهد صغير؟**

ــ صحيح، بس أحمد مظهر أخلاقه وأدبه سهلا طريقة التعامل معه، وفي عمله كان مقنعاً جداً.

□ **مقنعاً لهنري بركات أم للجمهور؟**

ــ لا، أنا حينما كنت أتفرج عليه، أنا أمثل الناس، وحينما نشتغل أنا أكون عين الجمهور، فلو عيني كانت مستريحة، الجمهور سيكون مستريحاً، هذا هو التجاوب بيني وبين الجمهور، أنا أكون ساعتها عين الجمهور.

□ **نراك توقفت عن الإخراج في السنوات الأخيرة؟**

ــ زمان كان الواحد يخرج الفيلم الذي يكلف عشرة آلاف جنيه أو عشرين ألف جنيه، ولكن مع ارتفاع أجور الممثلين صار الفيلم يكلف ملايين.

□ **إذاً الأزمة هي أزمة إنتاج؟**

ــ والله أنا عندي أصحاب كثيرون يقولون لي: لو عندك رواية حلوة نحن مستعدون نمول حتى لو كانت الأرقام بالملايين، لكني لا أريد أن أعمل لأني زعلان! وزعلان جداً!!.

□ لماذا؟

ــ أنا زعلان وخلاص؟!!.

□ هل الأسباب فنية؟

ــ فنية، واقتصادية، وسياسية.. «غير كده أديت دوري وخلاص»!!.

□ □ □

يوسف إدريس

هذا الرجل شخصية محيّرة، لا يستطيع المتعامل معه أن يُمسك له بطرف، فعندما التقينا في لوس أنجيلوس في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي قال لي: أريد أن تعطيني سيارتك ولا تسألني إلى أين أنا ذاهب!

أذعنت لطلبه وسلمته مفتاح السيارة، وبعد أكثر من ساعة بدأ القلق يساورني، وما هي إلا ساعتان حتى تلقيت هاتفاً من محطة شرطة (بير بانك) حيث أَقيم، يطلبونني للحضور لأمرٍ يتعلق بسيارتي. وفي قسم الشرطة وجدت الدكتور يوسف إدريس محجوزاً، لأنه تجاوز السرعة المسموح بها وهي (٥٥) كلم / سا، إلى ما يقرب من المئة، فلاحقته دوريات الشرطة فلم يستجب، فما كان إلا أن حاصرته أربع سيارات، مما اضطره للاستجابة لهم، ولما طلبوا منه أوراقة قال لهم: أنا كاتب شهير في العالم العربي! فلم يعبأوا وقادوه الى الحجز، ثم هاتفوني باعتباري صاحب السيارة ورفضوا إطلاق سراح الدكتور إلا بعد

دفع كفالة مالية نقدية لا تقل عن ثلاثة آلاف دولار، فكثفت اتصالاتي بالأصدقاء لجمع المبلغ.. ولما استفسرت منه عمّا حدث قال: أردت أن أمّر بهذه التجربة لأكتب عنها! وبالفعل بعد أسابيع من هذه الحادثة كتب في جريدة الأهرام تفاصيل ما حدث له فيها.

اشتركت مع الدكتور ادريس في أكثر من فعالية أدبية خلال فترة نشاطاته في لوس أنجيلوس، وكنتُ قبل أن ألتقيه هناك على معرفة وطيدة به منذ الستينيات في القاهرة، وسجلت له أكثر من لقاء، وحاورته في كثير من الأمور، بعضها غير قابل للنشر، لكنني اكتشفت أن الدكتور ادريس في معظم لقاءاته وحواراته وبرغم قدرته المفرطة في إيضاح وجهة نظره، إلا أنه كثيراً ما يُعيد ويكرر معظم الأفكار التي يُدلي بها هنا وهناك.

وحواري معه هنا يكاد أن يكون خلاصةً لمعظم الأفكار التي يؤمن بها.

□□□

□ **دكتور يوسف أنت الآن أمام المايكرفون، وقبل أن أبدأ بالتحاور معك لتبدأ أنت بالحديث لقرائك في الوطن العربي، ماذا تقول لهم؟**

ــ الحديث للناس مسؤولية، مسؤولية خطيرة! فأنا كلما زرت بلداً عربياً ألتقي بعدد من الأصدقاء والكُتاب، أقرأ في وجوههم هموماً شبه كارثية، فأقول لهم: يا إخوان لن يمون الواحد منا في

غياهب سجون النفس، وفي الوقت نفسه لن تُهزموا هزيمة ساحقة، وهناك تعبير إنكليزي يقول: «عندما تحل كارثة كبيرة فليس معنى ذلك أن هذه الكارثة هي نهاية العالم»، ونحن الشعب العربي يجب علينا أن نردد أن ما حدث لنا في الماضي وما يحدث لنا الآن هو ليس نهاية هذا العالم، وإذا وصلنا الى درجة الصفر من الانحدار فماذا سيحدث بعد ذلك؟! لابد أن يحدث شيء ما يخبئه مستقبلنا وسيتفجر كما يتفجر النفط، والنفط هو أقل من الصفر لأنه عفن والعفن كريه جداً لكن بعد تفجره أصبح نفطاً بل أصبح عصب الحياة المعاصرة. فإذا كان العفن قد جاء بكل هذا الخير، فالآلام التي تعتلج في نفوسكم ـ أيها الأحباء ـ ستغدو خيراً، وخيراً عميماً.

□ لكل كاتبٍ أو شاعرٍ نماذج من الكُتاب أو الشعراء يتأثر بهم، فبمن تأثرت؟

ــ بأمانة شديدة أقول لك: أنا منذ البداية كنت أحاول اكتشاف نفسي، اكتشاف ذاتي، وأول كاتب كبير عرفته كتب لي مقدمة لكتابي الثاني الذي أعجبه، لكنني اختلفتُ معه لأنه استخدم أسلوب طه حسين، استخدم اللغة أداة موسيقية، وأنا اللغة عندي أداة فنية، ولا يهمني موسيقاها أو إيقاعها بقدر ما يهمني إيصالها لإحساسي بدقةٍ شديدةٍ جداً. فاعترضت على بصمته اللغوية لأنه كان كاتباً يسير على نهج طه حسين، تقليدياً. وأيضاً توفيق الحكيم بسهولته، إنه يقلده أيضاً، بينما أنا أحرص على أسلوبي الخاص، فخطواتي تسير وفقاً للفنار الاستراتيجي الذي بداخلي.

يعني أنا لي خصوصيتي، وأتحكم في ما يجب أن أفعله وفقاً لرؤية بعيدة جداً مثل الفنار البعيد. طبعاً عندما يرى الإنسان الفنار قد يكون بعيداً عنه ومن الممكن أن يضل طريقه إليه وقد تلاطمه عُباب أمواج المياه الموصلة إليه بعض الشيء، ولكن ما دام هناك إحساس بوجود ذلك الفنار فإن هذا الإحساس هو الذي يُمهد الطريق للإنسان ويصححه، لأنني عندما أكتب أكون أنا يوسف إدريس مئة بالمئة، قد أنفعل بظروف الحياة وقد أتكيف معها وأعبر على المخاطر، إنما الكاتب وهو يكتب فأنا هنا يوسف الحقيقي، لذلك أنا لا أُسمي نفسي كاتباً أبداً، فأنا إنسان، وفي لحظات معيّنة أكون كاتباً.

□ **في لحظات معيّنة؟**

ــ طبعاً، وكثيراً ما يعتريني الخجل عندما يقولون: الكاتب فلان، فأنا لستُ كاتباً في كل الوقت حتى أُسمى كاتباً بالزمن المطلق. أنا كاتب بعض الوقت في اللحظات التي أكتب فيها.

□ **حدّثنا عن طفولتك؟**

ــ رغم الانفصال الطويل بيني وبين تلك الطفولة، لا بد أن أتذكر ذلك الطفل الخجول جداً، نعم. . فمنذ نعومة أظفاري وأنا منطو على نفسي ولا أحب العنف، كنت جسماً صغيراً جداً، فكان أقراني من الطلاب يمسكون بطربوشي لينالوا مني لأني ضئيل الحجم، وفوق هذا وذاك كنتُ دائماً الأول على الفصل وكان المشاغبون من زملائي يطلبون مني أن أغشهم في الامتحانات، وكان البعض منهم قد ظهرت شواربهم، ولمّا لم أكن أفعل كانوا

يتوعدونني بالضرب! كانت طفولة صعبة جداً بسبب ذلك الطفل الخجول الذي كلما تذكرته أشفقت عليه.

□ يوسف إدريس الآن يُعد رجلاً شجاعاً! كيف لم تكن طفلاً شجاعاً؟!

ـ الطفل لكي يكون شجاعاً لا بد أن يشعر بأنه قريب من أبيه أو أمه أو عائلة تسنده، بينما أنا كنت بمفردي، فوالدي كان يشتغل في أماكن بعيدة جداً عن مكاني، وكنت أعيش مع أقرباء لي، أعيش وحدي. يعني أنا في المجتمع القاهري كنت خجولاً وسط غابةٍ من الذئاب، لأنني كنتُ طفلاً صغيراً.. ولذلك لم أكن شجاعاً.

□ كيف اكتسبت جرأتك بعدما عشتَ طفولةً لم تكن فيها شجاعاً؟

ـ يوم كتبت! عندها وجدت نفسي شجاعاً، وانتفى عني الخوف الى الأبد وتلاشى الخجل بالاختفاء شيئاً فشيئاً. أما نقص الشجاعة فقد عوضته بقول الحقيقة وكتابتها، فعندما كتبت اكتملت معالم شخصيتي التي كنت أبحث عنها.

□ هل خط سيرك في حياتك هو تنفيذ لخطة وضعتها لنفسك وسرتَ بموجبها؟

ـ إطلاقاً. كنت وأنا في السادسة عشرة أو السابعة عشرة شغوفاً بالعلوم جداً، لدرجة أنني صنعت لنفسي معملاً كيميائياً في

البيت، وفي إحدى المرات انفجر بسبب الضغط وكان على وشك أن يُضرم حريقاً كبيراً. فأنا أعشق العلوم جداً وكنت أرغب بدخول كلية العلوم وليس كلية الطب، لكن لأني حصلت على معدل مرتفع في الثانوية العامة فأصر أهلي على الطب بدلاً من العلوم. ومن حسن حظي أن الحصة الأولى في كلية الطب هي دراسة العلوم كالنبات والحيوان والطبيعة وغيرها، وأنا لم أكن أحب الطب، فظللت أحقق فيه النجاح سنة بعد أخرى. ودراسة الطب صعبة جداً، لأنها معتمدة على الحرص والصبر والتشريح ودراسة الأنسجة والبيوكمستري والكيمياء الحيوية، دراسات صعبة جداً. وأنا لم أتخيل نفسي يوماً طبيباً أمسك بسماعة وأكشف على المريض.

أنا أحب العلم المتغير مثل الكيمياء والطبيعة كأن تركب مادة على مادة ثم تستخرج منها مادة أخرى. الطب ليس فيه هذا، فيه من العروق والأوردة والشرايين وبعض الأمراض التي يجب حفظها، ثم تذهب لتكشف على المريض وتكتب له كذا وكذا. ليس في ذلك اختراع في العمل. ومصدر حبي للعلم أنه يدفع بي إلى الاختراع، ولمّا بدأت أذهب الى المستشفى بعد السنة الرابعة في الطب، ابتدأت أقترب من الانسان المريض كانسان، كبشر، أتكلم معه وأحس أن المسألة ليست شيئاً جامداً. لا، إنما هناك إنسان، هناك معاناة، هناك أُناس يشفون ويظهر عليهم الفرح بعد أن يذهب عنهم الألم. هنا بدأت الحركة، والحقيقة أن مزاولة الطب أعجبتني جداً وبالذات مزاولة الجراحة، لأن في الجراحة نوعاً من التصرف البشري هو الذي قادني إلى الكتابة، وما إن

جاءت السنة النهائية حتى بدأت أشعر بأنني كاتب ولست طبيباً. ومن حسن حظي أن الصورة فتحت لي فرصةً لمعرفة كُتابٍ شُبان في سني في كلية الطب كانوا يعملون في الحركة الوطنية حيث المؤتمرات والمظاهرات التي جعلتني أستشعر هموم الناس وتطلعاتهم، فبدأ اكتشافي لنفسي ككاتب وأدركت أن سر تعاسة معظم الذين يعملون في وظائف لا يريدون أن يشتغلوا بها، أنهم أُجبروا على دراسة مواضيع لا يحبونها كما كنت لا أُحب الطب. أليس هذا سراً أكشفه لك الآن لكي يطّلع عليه الناس، ولكي يعرفوا أنني لا أسير وفق خطة أرسمها لنفسي حسب سؤالك؟

□ ثلاثة اهتمامات تتنازعني لأتحاور معكَ بشأنها، يوسف إدريس القاص، ويوسف إدريس الصحافي، ويوسف إدريس الطبيب!

ــ يا أخي تعامل مع يوسف إدريس الإنسان. ومع ذلك لتكن الصحافة مدخلاً لحوارنا.

□ لنبدأ بالصحافة اذاً. ماذا منحتك الصحافة؟

ــ الصحافة منحتني أشياء كثيرة، وعلمتني كيف أكتب، علمتني كيف أمسك بالقارىء من الجملة الأولى، فالكاتب الذي لا يستطيع أن يمسك قارئه من أول جملة يكون كاتباً فاشلاً، وهذا ما تحقق لي في الصحافة، لأن قارىء الصحيفة إما أنه سيقرأ الجملة الأولى وتمسك بهٰ حتى يُكمل الموضوع، أو سيقرأ السطور الأولى ثم يعدل عن المواصلة، ثم يقلب الصفحة. لذلك هناك الكثير ممن عابوا عليّ الاشتغال في الصحافة إيماناً

منهم بالتخصص، فردّي عليهم: أن عملية الكتابة الصحافية هي المولّد الحقيقي لكتابة أي قصة. لذلك فإن فن القصة القصيرة وحتى فن الرواية لم ينشأ إلا في ظل الصحافة.

□ لاشك أنك لقيت بعض المشاكل في الصحافة؟

ـ كتير! لأني كاتب صريح وعندما أكتب لا أقف أمام أي اعتبارات لكثير من المشاكل، فأدخلني ذلك في معارك لا حصر لها ولا نهاية وضايقتني كثيراً. أنا أحب أن أقول رأيي، وأحب أن ينقد أحد ما رأيي، إنما للأسف يتحول ذلك إلى كثير من المعارك مع من يتصدون لي وأتصدى لهم ليصل إلى نوع من السُباب والشتائم. والكاتب يكتب المقال في أكثر من ساعة والقارىء يقرأه في نصف ساعة بينما تدخل المعارك في حيز الزمن إلى أشهر بل وسنوات. ثم إن في مجتمعاتنا كميات كبيرة من جرعات النفاق، والناس لا يحتملون النقد، حتى الناس الذين يُطالبون بحماية حريتهم في النقد هم أنفسهم لا يحتملون حرية أن ننقدهم.

□ معروفٌ عنك أنك إنسان ثائر؟

ـ لا، لا، أنا ثائر ولكن ليس على طريقة أن أكسر المجتمع وأَكسر الأوضاع الاجتماعية، أنا ثائر بمعنى أن أرى رؤية يمكن من وجهة نظري تكون هي الأفضل لأوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية عموماً. الثورة بهدف التنظيم. الثورة بهدف إعادة تركيب الأشياء بطريقة أفضل. أنا ثائر صحيح، ولكن ثورة بناءة. ولو أن هذه الكلمة (بناءة) قد استعملت

استعمالات سخيفة جداً واستهلكت، كأن يقول البعض: النقد البناء، والنقد الهادم، الخلاصة: أنا ثائر بنّاء.

□ **هل ثورتكَ هذه هي التي جعلتك مبدعاً في كيفية إبراز قبائح المجتمع في قصصك؟**

ـ في كثير من الأحيان أُبرز كيف تعيش النماذج البشرية حياةً قبيحة. ووقفت على هذا القُبح في حياة هؤلاء الناس، ولكن كم هناك جمال داخل هذا القبح! وقد كتبت قصة اسمها «الشخشيخة» عن كاهن، الناس كانوا يتصورون أنه لا يسمع ولا يتكلم، وهو يعيش في قرية صغيرة، ثم اكتشف الناس أنه يتكلم ويسمع! مع أنهم كانوا يتعاملون معه على أنه ضرير وأصم، فكان البعض منهم يقولون أمامه أسرارهم، ولمّا اكتشفوا أنه يسمع ويتكلم في كل ما كانوا يقولونه أمامه فما كان منهم إلا أن قتلوه. فمن هنا يتضح لك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا أسرار، فالأسرار هي الأصول المتجذرة في داخل هذا الإنسان، وهي التي تشكل القوى الدافعة التي تدفع بالنوازع، وهي التي تصنع الجريمة، أو هي التي تفجر العبقرية، هذا كله داخل كل إنسان، ففي داخل كل إنسان خفايا، لكن كتمان بعض تلك الخفايا يضرّ بصحته أحياناً، يعني هناك خفايا لا بد أن تُعرف ولا بد أن يواجه الإنسان الناس بخفاياه التي يستطيع أن يقولها لهم. وإذا لم يفعل ذلك فإنه يمرض ويمكن أن يموت.

□ **قارنوك بأنطوان تشيخوف لأنه كان أميناً في ما يكتب، فهل أنت أمين في ما تكتب؟**

ـ مسألة الأمانة مسألة خطيرة جداً، وأي إخلال بها يعني أن هناك إخلالاً بالنظام البشري نفسه. فالكاتب والقاضي والطبيب والمحامي وكل أصحاب المهن التي يتحرك المجتمع بها إذا تخلى الواحد فيهم عن الأمانة حدث ذلك الاختلال. يعني الكاتب إذا كذب على قرائه كذباً واعياً، فأنا أعتقد أنه انتهك عرضه الأخلاقي والشخصي. وأنا كل ما أكتبه حقيقي. أنا لا أكتب بعض الحقائق التي أعرفها، ولكن كل الذي أكتبه لا بد أن يكون حقيقياً وصادقاً. فالكاتب الذي لا يكون أميناً هو كاتب كارثي، وجوده مأساة على المجتمع. وعلى سبيل المثال: أنا عندما أُظهر امرأة داعرة فليس حباً مني في إظهار العُهر بشكل فاقع، وإنما لأنني أبحث عن القيم المعاكسة لهذا العهر في الإنسان، ولأني لا أتعامل مع الناس كأخيار وأشرار وإنما أقسّم الناس الى قسمين: (أنانيين وغير أنانيين). هناك أناس يحبون أنفسهم فقط، وهناك من يحبون أنفسهم ويحبون الآخرين، فكل ذنب ممكن أن يغتفر إلا الأنانية لأنها تؤدي إلى القتل، تؤدي الى الاغتصاب، تؤدي إلى أذى الآخرين.. باختصار أنا أكره الأناني لأنه شرّير. ولذلك فإن قصصي تحفل بهذه النماذج التي أُعرّيها بشكل فاقع للمجتمع كي يرى البعض منهم نفسه في النماذج التي أكتبها في قصصي.

□ **هل لك أصدقاء؟**

ـ سؤال غريب وعجيب! طبعاً يا أخي، أن تعمل في الصحافة لزمن يقترب من نصف قرن يصعب عليك أن تعيش بلا أصدقاء.

□ ما هي العجينة التي تصنع كاتباً؟

ــ أولها القراءة، ثم الكتابة والانكباب لوقتٍ طويل يومياً على الكتابة. ولا بد من القول أنه في الستينيات وأوائل السبعينيات كان إنتاجي يتدفق، بعض ذلك الإنتاج قد ظهر ونُشر والبعض الآخر قد تأخر ظهوره لأسباب سياسية، مثل مسرحية «البهلوان» التي أراها من أفضل ما كتبتُ للمسرح، وأنا أحب هذه المسرحية لأنني استخدمت فيها كل ما أملك من امكانات لتفجير الضحك الهادف عند المتفرجين.

□ هل هناك ضحك هادف وضحك غير هادف؟

ــ طبعاً، بعض الكُتاب صاروا يأخذون من الشارع وما فيه من مفردات ويصفونها على ألسنة شخوصهم في المسرحية، ومنذ سنة ١٩٦٣ وأنا أبحث في أدوات التعبير الفنية كالقصة والأقصوصة والرواية والمسرحية، وللأسف، وجدت أننا قد تبنّينا نماذج بشرية لمجتمعات هي غير مجتمعاتنا، ففي كل هذه الفنون يصول ويجول فيها النموذج الغربي سواء في السينما أو المسرح أو طريقة صناعة الرواية. عارضني كثير من النقاد في هذا الذي كنتُ أصرخ فيه بوجوههم: «أين بطلنا الشرقي الحقيقي؟ أين واقعنا الذي نعيش فيه كل يوم؟» والبعض الآخر يقول إنه يكتب مسرحية عربية. كيف تكون عربية؟! يعني يصنع لها رقصة فلكلورية من هنا، وأغنية رِيفية من هناك فيظن أنه مسرح عربي، وهذا ما نجده في معظم البلدان العربية. خصائص المسرح العربي الحقيقية لم تبدأ ملامحها بعد على خشبة مسارحنا.

□ عندما تقول ضحكاً هادفاً، فلا بد إذاً من أن يجسده ممثل كوميدي قادر، فهل ستكتب نصوصاً لكي يمثلها ـ على سبيل المثال ـ الفنان عادل إمام؟

ــ لا يمكن! لن أكتب نصاً يمثله عادل إمام لأن هذا الرجل سوف يُلغي نصي، ليكتب هو مسرحية جديدة تقوم على أشلاء مسرحيتي التي سوف يشوّهها، مثلما عملوا بمسرحية (to sir with love) التي جعلوا منها مدرسة المشاغبين، حيث أُلغي فيها الجانب الفلسفي وصارت تهريجاً يدغدغ مشاعر الجمهور.

□ إذا كنتَ خائفاً من تعرّض مسرحياتك للتشويه فوق خشبة المسرح، فماذا بشأن ما قدمته السينما لرواياتك؟

ـ نتاجي للسينما قليل جداً، لأني أتعامل في كتاباتي مع أعماق النفس البشرية، أتعامل في قصصي بمزج العقل الواعي باللاواعي، وهذا الأمر إذا لم يتيسر له ذلك المخرج الذي يستبطن بكاميرته وعملية مونتاجه وتأثيراته الخاصة (special effect) والصوتية (sound effect) أقصد التأثيرات الموسيقية، باختصار: قصصي تحتاج إلى عقلية إخراجية وعقلية فنية وعقلية كاتب سيناريو محترف.

□ كيف يقضي يوسف إدريس أوقاته؟

ــ يا أخي أنا أعيش كأي مواطن عادي وأعاني المشاكل التي يعانيها أي مواطن، ولي عائلة ولديّ مسؤوليات اجتماعية، لكن لا بد لكل إنسان أن يخلق لنفسه فلسفة خاصة يريح بها نفسه.

وبالمناسبة من أكثر عيوب الناس أن البعض منهم يعيش بدون فلسفة خاصة، لأن كل إنسان لا بد أن يفلسف الحياة ولا يعتمد على مقولة: (إن كل ما يحدث لنا هو مقدّر علينا)، ويريح نفسه ويعتبر أن المشكلة قد حُلت في هذه المقولة وانتهى كل شيء! أنا أحب الجلوس إلى الناس، أحب أن أسمعهم وأضاحكهم، وأحب كذلك أن ألعب الشطرنج، وكثيراً ما أحب الجلوس للقراءة، وقراءتي معظمها للكتب العلمية، لأنني أريد أن أعرف عن الكون عن الإنسان عن الطبيعة النووية عن الفلك.

□ هل أنت زوج ناجح؟

ــ كنتُ هلعاً مرعوباً وخائفاً من فكرة الزواج لكي لا يحبطني ويحول بيني وبين الكتابة، بل إنني طرحتُ على نفسي سؤالاً مفصلياً، سؤالاً يكاد يكون إما أسود أو أبيض: يعني أتزوج أم أكتب؟ فكانت النتيجة أنني وفّقتُ تماماً بزوجتي، فهذه الإنسانة حالما تشعر بأني انفصلت عن الواقع وأنا منكّب بين قلمي وأوراقي تنسلّ بهدوء وتذهب. فأنا مدين لزوجتي بأن أتزوج وأكتب، لكنّ هذا لا يعني أن الأمور سارت بسهولةٍ في حياتي بعد الزواج، فكل ما في حياتي قد حفرته كما يُحفر الرخام بالأظافر، وأنا حفرتُ ذلك الرخام. تعبتُ وشقيت ولم أكن محظوظاً. الجانب الوحيد الذي حالفني به الحظ هو أن تكون لي زوجة مثل زوجتي.

□ **كُتّاب الرواية، كنجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس، ويوسف السباعي، وغيرهم تعاملوا مع**

الحب بأشكالٍ مختلفة، فهل تعامل يوسف إدريس مع ظاهرة الحب في حياتنا بشكل مختلف؟

ـ ما يحدث عندنا، أقصد في بلادنا، هو أننا نرتكب كل يوم ألف جريمة وجريمة بحق الحب. نحن كثيراً ما نتحدث عن الحب في القصص وفي الأفلام وفي المسلسلات التلفزيونية وحتى في الحياة، والذين يتحدثون عن الحب هم من أكثر الناس ممن لا يعرفون ممارسة الحب ولا يعايشونه. الحب ليس كلمات تُقال، فإننا بذلك كمن يتغنى بأصناف شتى من الطعام وهو غير قادر على أن يتذوق شيئاً منه، علينا أن نتعلم ما هو الحب، وكيف نحب، وكيف نغدو مجانين في الحب. فالكتاب المقدس قد قرن الله بالحب فقال: (الله محبة).. فهل بمقدورنا أن نقترب ولو قليلاً بالحب كي يقترب منا.. لأن ما هو معاكس للحب، أقصد الكراهية، قد كثُرت في حياتنا لأننا نقترب منها كل يوم فتقترب منا. أما كيف نغتسل من أدران هذه الكراهية؟ فليس أمامنا سوى صابونة واحدة تزيلها من حياتنا هي الحب.

□ **أين نجد هذه الصابونة؟**

ـ نجدها عند مقولةٍ كتبها يوسف إدريس فحواها: «الحب يُولد من كل شيء، ويموت حين يموت كل شيء».

□□□

فهرس الأعلام

أ

آدم ٢٠٣، ٢٠٤
الآغا، رياض نعسان ٣٢
آل سعود، بدر بن عبد العزيز (الأمير) ١١٦
أباظة، عبد العزيز ٥٢
أباظة، جمال الدين بيك ٥٢
أباظة، رشدي ١٢٠
أباظة، عزيز ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٦٢
إبراهيم، حسن ١٣٥
ابسن ٢٧٧
ابن الحسن، محمد عبد الجبار ٢٦٩
ابن الحسن، محمد عبد الستار ٢٧٧
أبو ريشة، عمر ١٨١
ابن عربي ٢٧٧
أبو سيف، صلاح ٢٩٥، ٢٩٦
أبو شادي، أحمد زكي ١٨١
أبو نواس ٥٤
أحمد، فايزة ٤٩، ١١٦
إدريس، يوسف ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠
أدونيس ١٨١
إسماعيل، محمود حسن ١٨١
أسمهان ١١٠، ١١٢، ١١٣
الأطرش، سلطان باشا ١١٢
الأطرش، فريد ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ٣٠٤
أم كلثوم ١٢، ١١٥، ١١٩، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٩، ٣٠٤
إمام، عادل ٣١٨
أمين، علي ١٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣
أمين، مصطفى ١٢، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٥

الأنصاري، محمد جابر ١٤٣
الأيوبي، صلاح الدين ٦١

ب

الباز، فاروق ١٥٢
باكثير، علي أحمد ٢٢٤
البحتري ٥٤
بلدرخان، أحمد ٢٩٥
بلدرخان، محمد ٩٦
بركات، هنري ١١٧، ٢٩٥
برناردشو، جورج ٢٧٧
البشري، عبد العزيز ٥٤
بشمان، علي ٢٥١
البصري، حميد ١٧٩
البغدادي، عبد اللطيف ١٢٧، ١٣٢، ١٣٥
بن غوريون، ديفيد ١٣٩
بنت الشاطئ ١٢
البياتي، عبد الوهاب ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٣، ٦٠
بيغن، مناحيم ١٣٩، ١٤٠

ت

تشرشل، ونستون ١٦٣
تشيخوف ٢٧٧
تلحوم، الوديع ٢٣٥
التوحيدي، أبو حيان ١٦
تولستوي ٢٧٧، ٢٨٧
توين، مارك ٢٧٧
تيمور، أحمد ٢٢٢، ٢٢٤
تيمور، محمود ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦

ج

الجابري ١٥
الجاحظ ١٦
جاهين، صلاح ٦٤
جعيط، هشام ١٤٣
جلال، محمد فؤاد ١٠٣
جمال الدين، مصطفى ١٧٩، ١٨٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣
الجواهري ١٢، ١٨١، ١٩١

ح

حاتم، عبد القادر ١٠٤
حافظ ٢٤١، ٢٤٢
حافظ، سليمان ٩٤
حافظ، عبد الحليم ١١٦، ٢٧٩، ٣٠٤
الحبابي ١٥
حجازي، أحمد عبد المعطي ٦٠، ٦٤، ١٨١

الحسن الثاني (الملك) ١٦٠

حسين، رجاء ٧٥، ٧٦

حسين، طه ٤٧، ١١٧، ١٤٦، ١٥٨، ١٦٤، ٢١٩، ٢٣٤، ٣٠١، ٣٠٩

حسين، كمال الدين ١٢٣، ١٤٢

حسين (الملك) ١١٧

حقي، يحيى ٦١، ٦٢، ٩٥، ٩٦، ٢٣٢

الحكيم، توفيق ٢٤٤، ٢٦١، ٣٠٩

حلمي، يوسف ٩٣

حماد، محمد علي ٢٤٧

حمامة، فاتن ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٢٩٥، ٣٠٥

حمدي، وداد ٧٦

حمروش، أحمد ٦٢

حمزة، عبد القادر ٢٣٥

الحيدري، بلند ١٩١، ١٩٢

خ

خشيم، علي فهمي ١٥

الخضري، محمد ٥٤

د

داروين، تشارلز ١٠٧

درويش، محمود ٢١، ١٨١

دنقل، أمل ١٨١

ديستوفسكي ٢٧٧

ديغول، شارل ١١٣، ١٦٣

الديلمي، مهيار ٥٤

ذ

ذوالفقار، صلاح ١٢٠

ذياب، توفيق ٢٥١، ٢٥٢

ذوالفقار، عز الدين ٢٩٥

ر

رامي، أحمد ٥٦، ١١٩

الرجيب، حمد ١٠٩

رضوان، فتحي ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٧

روتشيلد ١٣٩

روسو، جان جاك ١٦٤

ز

زغلول، سعد باشا ١١٠، ٢٤٦

زغلول، صفية ٢٤٦

الزهاوي ٢٤٢

زويل، أحمد ١٥٢

زياد، توفيق ٥٦

زيدان، جميل ٢٤٨

س

السادات، أنور ٩٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٣

السادات، جيهان ٢٥٦

سارتر، جان بول ٢٧٧

سالم، صلاح ١٠٣، ١٠٤

السباعي، يوسف ١٠٤، ٣١٩

ستالين ٢٧٣

السعيد، نوري ١٥٣

السنجاري ٢٧٧

السنهوري، عبد الرزاق ٩٤

سوار الذهب ٢٥٨، ٢٥٩

السياب، بدر شاكر ١٢، ٣٩، ٤١

السيد، لطفي ١٤٦

ش

شابلن، تشارلي ٧٩، ٢٦٠

الشاذلي ٢٧٧

الشافعي، حسين ١٢٧

شاكر، محمود ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤١

شادية ١٢٠

شاهين، يوسف ٢٩٥

الشريف الرضي ٥٤

الشعراوي، محمد متولي (الشيخ) ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٤

شعراوي، هدى ٢٢٩

شكسبير ٥٥

شمس الدين، محمد علي ١٨١

الشناوي، مأمون ١١٥

شهرزاد ١١٤

شوقي، أحمد ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٨٨، ١١٩، ٢١٦، ٢٤١، ٢٤٢

شوقي، محمود ٢٥١

الشيخ، عصام ١٩٥

ص

صادق، مصطفى ٢٣٥

الصافي، وديع ١١٤

صباح ١١٤

صدقي باشا، إسماعيل ٢٤٨

الصكار، محمد سعيد ١٧٧

ط

طالباني، جلال ١٢

طليمات، زكي ١١، ١٣٠

الطهطاوي، رفاعة رافع ١٥٨
عامر، عبد الحكيم ٩٤
عبد الحميد (السلطان) ١٤٥
عبد الصبور، صلاح ٦٠، ٦٤، ١٨١
عبد القدوس، إحسان ٣١٩
عبد الكريم، نجم ١١، ١٢
عبد الناصر، جمال ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٦٣
عبد الوهاب، محمد ٦٨، ٩٠، ١١٣، ١١٦، ١١٩، ٢٧٩
عثمان، أمين ١٣١
عدوان، ممدوح ١٨١
العروي ١٥
العقاد، عباس محمود ٤٧، ٢٤٤
العلوي، حسن ٣٢
العلوي، هادي ١٨٢، ١٩١، ١٩٣
علي بن أبي طالب (الإمام) ١٦٩، ٢١٤
العلي، جابر ٢٣١، ٢٧٩، ٢٨١
عمر بن الخطاب ١٦٨
عوض، لويس ٢٣٩
عيد، عبد العزيز ٨٨

غ

غالي، طالب ١٧٩
غاندي، المهاتما ٢٨٦
الغزالي، أبو حامد ١٦، ١٧، ٢٦٧
غوبلز ١٠٠، ١٠١
غوغول ٢٧٧

ف

الفارابي، أبو نصر ١٦
فاروق (الملك) ٩٤، ٢٥١، ٢٥٢
فاطمة الزهراء ١٦٨
الفراهيدي، الخليل بن أحمد ٦٠
فرج، أحمد ٢٣١
فريد، وحيد ٢٩٥
فضل الله، محمد حسين (السيد) ١٢، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣
فهمي، إسماعيل ١٣٨
فؤاد، محرم ١١٢
فوزي، حسين ٩٩
فوكوياما ٢٠
فولتير ١٠٥، ١٦٤
فيللا، كلود ميديا ١٨٥

ق

قباني، نزار ١٢

القرضاوي، يوسف ١٦٢
قطب، سيد ١٨٢

ك

كاريوكا، تحية ١٢
كامل، سعد ٩٣
كريم، محمد ٢٩٥
الكزبري ٢٧٧
كورنيه ٥٦
كونفوشيوس ٢٦٨

ل

لارشيه، جان ١٨٥

م

مارلو ٥٦
المازني ٤٧
الماغوط، محمد ١٨١
مانديلا، نيلسون ١٢
ماهر، علي ٩٣، ٩٤، ٢٥٢
مائير، غولدا ١٣٩
مبارك، حسني ١٣٦، ١٣٧
محفوظ، نجيب ٢٢٤، ٣١٩
محمد، سعاد ١١٤
محمد علي باشا ١٣٩
محمود، مصطفى ١٢، ٢٦٥
محيي الدين، زكريا ١٢٧، ١٣٥
المسدّي، عبد السلام ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٥
المسعدي، محمود ١٥
مصابني، بديعة ١١٢
مصراتي، علي ١٥
المصري، عزيز ٥٢
مصطفى، نيازي ٢٩٥
مطر، محمد عفيفي ١٨١
مظهر، أحمد ٣٠٥
مظهر، إسماعيل ١٠٧
الملائكة، نازك ٣٩
الموجي، محمد ٤٩
مونتسكيو ١٤٦

ن

نجاة الصغيرة ١١٦
النجفي، أحمد الصافي ١٨٩
نجيب، محمد ١٣٠، ١٣١
نخلة، أمين ١٨١
نعيمة، ميخائيل ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠
النواب، مظفر ١٨٠
نور الهدى ١١٤

هـ

هاكوبيان، سيتا ١٧٩
هتنجتون ٢٠، ١٥٩
هيكل، محمد حسين ١٦٣

و

وجدي، فريد ١٠٧
ويلز، أورسون ٨٨

ي

يعقوب، مجدي ١٥٢
يوسف، سعدي ١٨١
اليوسفي، عبد الرحمن ١٦٠، ١٦١

فهرس الأماكن

أ

أبو ظبي ٤٩

الاتحاد السوفياتي ٤٧ ، ١٨١

الأردن ٣٢، ١٨٤

إسرائيل ١٢٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٦، ١٧١

أفغانستان ٢٣

ألمانيا ١٨٥

أميركا انظر الولايات المتحدة الأميركية

أميركا اللاتينية ٧٩

أوروبا ١٤٦ ، ١٦٣

إيران ١٦٥

إيطاليا ١٦٤

ب

بريطانيا ١٤٠ ، ١٦٣

بغداد ١٨٦

بلاد الشام ٢٣٣

بلجيكا ١٨٥

بيروت ٢٦٦، ٢٧٩

ت

تركيا ١٨٣ ، ٢٢٠

تونس ١٥ ، ١٣٨ ، ١٤٣

د

دمشق ٣٢، ١٩١

ر

روما ٤٢

الرياض ٣١، ١٢٣

س

السعودية ١٨٣

السودان ٢٤٦

سورية ٣٣، ١٠٠، ١١٠، ١٢٥، ٢٢٠

ش

شمال أفريقيا ١٥

ص

الصين ٤٧، ١٤٦، ١٦٢

ع

العالم العربي ٢٦، ٤٠، ٨٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٠٧

العراق ٤٠، ٢٢٠، ٢٣٣

ف

فارس ٤٧

فرنسا ١٥٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٥

فييتنام ٢٤

ق

القاهرة ٤٩، ٥٢، ٦٣، ٩١، ٩٣، ١١٠، ١١١، ١١٦، ١٣٣، ١٤٣، ٢٤٣

ك

الكويت ١٨٤، ٢٣٠، ٢٧٩

ل

لبنان ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢

لندن ٣١، ٨٦، ١٩٢، ١٩٥، ٢٤٤، ٢٩٦

لوس أنجلوس ١١

ليبيا ١٤

م

مدريد ٣١

مصر ٥٥، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ١٨١، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٨

المغرب ١٥، ١٦١

مكة المكرمة ٥٠

ن

نيويورك ١٥٨

هـ

الهند ٤٧، ١٤٦، ١٦٢

و

واشنطن ١٥٨

الوطن العربي ١٨، ١٥٠، ١٧١
الولايات المتحدة الأميركية ٢٤، ٢٦، ١٥٦، ١٧٢، ١٨٥، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٨٨

ي

اليابان ١٤٦، ١٥٥، ١٦٢
يوغسلافيا ١٨٥